

ك  
مجلة المجمع العلمي العراقي

المجلد الرابع عشر

(١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م)

١٤



مطبعة المجمع العلمي العراقي

١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م

# مَصَادِرُ دُرَاسَةِ خَطِّ بَغْدَادَ فِي العَصْرِ العَبَّاسِيِّ

الدكتور صلاح أحمد العجلى

من الحقائق التي تصل الى مستوى البديهيات ان المدن هي المراكز الرئيسة التي تزدهر فيها الحضارة وتمتد فيها النظم وتنمو فيها الحركة الفكرية ، وتتوفر فيها بصورة خاصة الوثائق المكتوبة عن نشاط الانسان الاجتماعي الذي هو موضوع دراسة التاريخ ، وقد ادى هذا الى ان يكون التاريخ المؤلف عندنا هو في الحقيقة تاريخ المدن ووصف فعاليات اهلها بالدرجة الاولى ، واننا عندما نتحدث عن التقدم العلمي العظيم في العصر العباسي فنحن نقصد ما كان في المدن ، دون الريف او الصحارى التي كانت تظ في غياب الجهل . فدراسة تكوين المدن وتطورها يمكننا من التعمق في تفاصيل التنظيم الاجتماعي والاداري والجوانب الاخرى من نشاط الانسان ، ويقدم لنا اساساً اذق وواضح في معرفة الاحداث التاريخية .

ولعل الخطوة الاولى لتفهم تنظيم اية مدينة والحياة فيها هو دراسة خططها ، لان هذه الدراسة لها اهمية كبرى في اشباع غريزة حب الاستطلاع وتوفير اللمحة التي تنبعث من الكشف عن المجهول وتوسيع افق المعرفة وخاصة لمن يقيم في تلك المدينة او يهتم بها ، غير ان اهميتها تمتد الى ابعد من ذلك ، فهي تقدم مادة اساسية لمن يريد دراسة توزيع

# مَصَادِرُ دُرَاسَةِ خَطِّ بَغْدَادَ فِي العَصْرِ العَبَّاسِيِّ

الدكتور صلاح أحمد العجلي

من الحقائق التي تصل الى مستوى البديهيات ان المدن هي المراكز الرئيسة التي تزدهر فيها الحضارة وتمتد فيها النظم وتنمو فيها الحركة الفكرية ، وتوفر فيها بصورة خاصة الوثائق المكتوبة عن نشاط الانسان الاجتماعي الذي هو موضوع دراسة التاريخ ، وقد ادى هذا الى ان يكون التاريخ المؤلف عندنا هو في الحقيقة تاريخ المدن ووصف فعاليات اهلها بالدرجة الاولى ، وانا عندما نتحدث عن التقدم العلمي العظيم في العصر العباسي فنحن نقصد ما كان في المدن ، دون الريف او الصحارى التي كانت تغط في غياهب الجهل . فدراسة تكوين المدن وتطورها يمكننا من التعمق في تفاصيل التنظيم الاجتماعي والاداري والجوانب الاخرى من نشاط الانسان ، ويقدم لنا اساساً اذق وواضح في معرفة الاحداث التاريخية .

ولعل الخطوة الاولى لتفهم تنظيم اية مدينة والحياة فيها هو دراسة خطتها ، لان هذه الدراسة لها اهمية كبرى في اشباع غريزة حب الاستطلاع وتوفير اللذة التي تنبعث من الكشف عن المجهول وتوسيع افق المعرفة وخاصة لمن يقيم في تلك المدينة او يهتم بها ، غير ان اهميتها تمتد الى ابعد من ذلك ، فهي تقدم مادة اساسية لمن يريد دراسة توزيع

السكان واحوالهم البشرية والاجتماعية والاقتصادية ، وتوضح بعض ما يؤثر في العلاقات بينهم ، وتفسر بعض عوامل ظهور التنظيمات الادارية كما تقدم تفسيرات لكثير من الحوادث السياسية والوقائع العسكرية .

غير أن دراسة خطط المدن ليست سهلة او يسيرة ، لان مناطق السكنى والبيوت تتبدل بتغير الازمان والاحوال ، بل حتى العوارض الطبيعية معرضة لمثل هذا التبدل ، حيث ان الانهار والقنوات والترع قد تبدل مجاريها ، وقد تختفى التلول والمرتفعات او قد تتكون على مر الايام في المدن تلول من تكدس الانقاض . ثم ان التكوين الاجتماعي والاقتصادي لاية مدينة يتبدل بمرور الزمن ، ويرافقه تبدل الخطط . ويلاحظ ان الحفريات الاثرية بالرغم من فائدتها القصوى في تعيين مجاري الترع والانهار ، وتبيين امتداد الشوارع ، وتوضيح اتساع المدن ، الا انه لا يزال الاعتماد الاول في معرفة اسماء الخطط على المصادر الادبية التي كثيراً ما تستعمل تعبيرات غير محددة ، كالشارع والطريق والدرب ، فضلاً عن انها كثيراً ما تذكر اما كن دون تحديد سعتها او حجمها ، وهذا بالاضافة الى ان هذه المصادر الادبية وخاصة المتأخرة منها ، قلما تعين تاريخ ظهور او اختفاء اية خطة . ولما كانت المدن معرضة للتطور والتبدل تبعاً لتبدل الاحوال السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، فان الباحث الحصيف لا بد له من الحذر والتدقيق عند دراسة هذه المصادر الادبية .

ولدراسة خطط بغداد اهمية خاصة في فهم الحضارة الاسلامية ، نظراً لكونها ظلت عاصمة الدولة العباسية كانت خلالها موئل الحركة الفكرية ، ومقصد العلماء والادباء والمفكرين ، ومركز الحياة الاقتصادية ، وقد عبر اليعقوبي عن ذلك اوضح تعبير بقوله إن اهل بغداد « فضلوا الناس في العلم والفهم والادب والنظر والتميز والتجارات والصناعات والمكاسب والحذق بكل مناظرة ، واحكام كل مهنة ، واتقان كل صناعة ، فليس عالم اعلم من عالمهم ولا اروي من راويتهم ولا اجدل من متكلمهم ، ولا اعرب من نحويتهم ، ولا اصح من قارئهم ، ولا امهر من متطبيبهم ، ولا احذق من مغنيهم ، ولا الطف من صانعهم ،

ولا اكتب من كاتبهم ، ولا ابين من منطيقهم ، ولا اعبد من عابدهم ، ولا اورع من زاهدهم ، ولا افقه من حاكمهم ، ولا اخطب من خطيبهم ، ولا اشعر من شاعرهم ، ولا افتك من ماجنهم « (البلدان ٢٣٥) .

ومن ابرز خصائص بغداد تنوع سكانها وتعدد اصولهم ، وهنا ننقل عن اليعقوبي قوله عن بغداد انها « المدينة العظمى التي ليس لها نظير في مشارق الارض ومغاربها سعة وكبراً وعمارة وكثرة مياه وصحة هواء ، ولانه سكنها من اصناف الناس واهل الامصار والكور ، وانتقل اليها من جميع البلدان القاصية والدانية ، وآثرها جميع اهل الافاق على اوطانهم ، فليس من اهل بلد إلا ولهم فيها محلة ومتجر ومتصرف ، فاجتمع بها ما ليس في مدينة في الدنيا ، ثم يجري في حافتها النهران الاعظمان دجلة والفرات ، فيأتيها التجارات والمير برأً وبحراً بايسر السعي حتى تكامل بها كل متجر يحمل من المشرق والمغرب من ارض الاسلام وغير ارض الاسلام ، فانه يحمل اليها من الهند والسند والصين والتبت والترك والديلم والخزر والحبشة وسائر البلدان ، حتى يكون بها من تجارات البلدان اكثر مما في تلك البلدان التي خرجت التجارات منها ويكون مع ذلك أوجد وامكن « (البلدان ٢٣٣ - ٤) .

ومن المعلوم ان بغداد منشأة في ارض سهلة مستوية تقل فيها العوارض الطبيعية ويتعرض مجرى دجلة والقنوات الاخرى فيها إلى تبدلات كثيرة ، ثم ان بغداد مرت بتطورات سياسية واقتصادية واجتماعية خطيرة كان لها اثر في تبدل احوالها وتغير اوضاعها ، وقد ظهرت اثار هذه التطورات منذ وقت مبكر حتى ان اليعقوبي بعد أن وصف خطط بغداد في عهد المنصور عقب على ذلك بقوله « وقد تغيرت ومات المتقدمون من اصحابها ، وملكها قوم بعد قوم ، وجيل بعد جيل ، وزادت عمارة بعض المواضع ، وملك قوم ديار قوم ، وانتقل الوجوه والجلّة والقواد واهل النباهة من سائر الناس مع المعتصم الى سر من رأى في سنة ثلاث وعشرين ومائتين » (ص ٢٥٤) فاذا كان مثل هذا التطور قد حدث

في اول قرن مضى على تأسيسها ، فان تطورات وتبدلات اوسع حدثت في القرون التالية التي مرت ببغداد فيها .

فاذا كانت لدراسة خطط بغداد اهمية كبيرة ، فان على الباحث الاهتمام بالتطور التاريخي لهذه الخطط ، وتحديد اماكنها وخططها في زمن معين ، لان الخطط تتطور ، فتتسع او تضيق ، او تتبدل فيها مواضع الاسواق ، ومراكز اللهو او السكنى ، فلا بد لهذه الدراسة من تحديد زمن المصدر او الكتاب الذي يصف خطط المدينة ، وبيان ان وصف الخطط في ذلك المصدر ينطبق على زمن المؤلف ، وتمييز ذلك عما نقله ممن سبقه . فاذا كانت وفرة مادة المصدر او الكتاب مهمة ، فان معرفة الزمن الذي ينطبق عليه هذا الوصف لا يقل اهمية عن ذلك ، ولهذا الامر اهمية بالغة في دراسة خطط بغداد ، التي مرت بادوار من التوسع والتقلص بالرغم من اهميتها الكبرى . وجدير بنا ان نشير قبل بحث مصادر دراسة خطط بغداد ، الى ان المؤلفين العرب والمسلمين اهتموا بدراسة المدن واحوالها واكثرها من التأليف فيها ، حتى انك قلما تجد مدينة في العالم الاسلامي لم يؤلف فيها كتاب او اكثر ، ولا ريب ان بحث اسماء المؤلفات في المدن الاسلامية خارج عن الصدد ، ويمكن لمحبة الاستزادة الرجوع الى ما ذكره السخاوي في « الاعلان بالتوبيخ » او الى بحث روزنثال في « علم التاريخ عند المسلمين » ، ولكننا نكتفي بالاشارة هنا الى ان المؤلفين الاولين في المدن اهتموا بوصف خطط المدن التي يبحثونها ، وسكانها ، واحوالها البشرية والاجتماعية ، واوضاعها الادارية والاقتصادية ، اما المتأخرون فقد اهتموا بذكر اسماء او تراجم العلماء الذين ظهروا او عاشوا او مروا بالمدينة التي يبحثونها كما ان حظ المدن الاسلامية من التأليف لم يكن واحداً ولا متناسباً دائماً مع اهمية المدينة فوجدت عدة كتب عن بعض مدن قليلة الاهمية ، ولم يؤلف الا كتب قليلة جداً عن بعض المدن المهمة .

ان المؤلفات التي كتبت عن بغداد لا تتناسب مع اهميتها العظيمة في تاريخ الحضارة الاسلامية

فابن النديم الذي ألف كتابه العظيم « الفهرست » في سنة ٢٧٨ واستوعب فيه كل المؤلفات العربية تقريباً ، لم يذكر عن بغداد الاثلاثة كتب هي بغداد واخبارها لاحمد بن الطيب السرخسي (ص ٣٦٦) وفضائل بغداد وصفتها ليزدجرد بن مهندار (ص ١٨٥) وكتاب بغداد لطيفور وما زاده عليه عبد الله (ص ٢٠٩ - ٢١٠) . اما السخاوي فانه في كتابه « الاعلان بالتوبيخ » الذي استعرض فيه المؤلفات العربية في التاريخ حتى عصره فانه يذكر ان المؤلفات عن « بغداد لاحمد بن ابي طاهر ، ولا بن اسفنديار ، وللخطيب ابي بكر وهو اوسعها في عشر مجلدات وعليه معول من بعده ، وذبوله لابي سعد عبد الكريم بن محمد السمعاني .. الخ » (ص ٦٢٢ ط روزنثال) اما حاجي خليفة فيذكر « قيل اول من صنف لها تاريخاً احمد بن ابي طاهر البغدادي ، وتلاه الامام الحافظ ابو بكر احمد بن علي المعروف بالخطيب البغدادي المتوفى سنة ٤٦٣ » ثم يصف كتاب الخطيب ويذكر ما ألف عليه من ذبول تكون قائمة لا تضيف الى ما اورده السخاوي ، مما يدل على اقتباسه من السخاوي غير انه يضيف الى آخر القائمة « ومختصر تاريخ بغداد لابي الجين مسعود بن محمد البخاري المتوفى سنة ٤٦١ ، وصنف ابو سهل يزدجرد بن مهنداد الكسروي كتاباً حسناً في وصف بغداد وعدد سككها وحماماتها وما يحتاج اليه في كل يوم من الاقوات والاموال ذكره الصفدي . وفي اخباره كتاب التبيان لاحمد بن محمد بن خالد البرقي الكاتب » (كشف الظنون ١/٢٨٨) .

يتبين مما ذكر ان ابرز المؤلفين المسلمين في تاريخ التاريخ عند المسلمين يرون ان احمد ابن ابي طاهر طيفور المتوفى سنة ٢٨٠ هـ هو اقدم من الف في تاريخ بغداد وقد وصف القفطي اهمية هذا الكتاب بقوله « واذا اردت التاريخ متصلاً جميلاً فعليك بكتاب ابي جعفر الطبري رضي الله عنه فانه من اول العالم الى سنة ٣٠٩ ومتى شئت ان تقرن به كتاب احمد بن طاهر وولده عبيد فنعم ما تفعل لانها قد بالغافي ذكر الدولة العباسية واتيا من شرح الاحوال بما لم يأت به الطبري بمفرده ، وهما في الانتهاء قريباً المدة » (اخبار الحكماء ص ١١٠) .

لقد بقيت من كتاب طيفور قطعة تتناول الاحداث في زمن المأمون بين سنتي ٢٠٤ - ٢١٨ هـ ، طبعها كيلر مع مقدمة تحليلية في تبيان اهمية معلوماتها ومقارنة هذه المعلومات بما ذكره الطبري الذي لم يشر الى طيفور . وقد اعاد طبع هذه القطعة السيد عزت العطار الحسيني سنة ١٩٤٩ . وتبين هذه القطعة المطبوعة ان المؤلف دون الحوادث السياسية . وقد اورد روزنثال في كتابه « علم التاريخ عند المسلمين » من نقل عنه ؛ ويتبين منها ان معظم النقول تتناول الحوادث السياسية .

ويبدو ان طيفور ضمن كتابه وصفاً لخطط بغداد ، لأن الحميدي يذكر ان احمد بن محمد ابن موسى الرازي « الف في صفة قرطبة وخططها ومنازل العطاء بها ، كتاباً على نحو ما بدأ به احمد بن ابي طاهر في اخبار بغداد وذكره لمنازل صحابة المنصور بها » ( جذوة المقتبس ص ٩٧ طبعة محمد بن تاويت ) غير ان المؤرخين المتأخرين لم يعنوا بذلك ما نقلوه عن احمد بن ابي طاهر ، فيافوت لم ينقل عنه الا في اربعة مواضع لا علاقة لها بالخطط ، اما الخطيب فقد نقل عنه في القسم الخاص بالخطط من الجزء الاول ، خمسة نصوص ( ١/٨٤ ، ٨٨ ، ١١٢ ، ١٢٠ ) منها روايتان غير مسندتين ( ١/١١٧ ) اما الثلاث الباقية فقد رواها عن طريق محمد بن علي بن مخلد ( ٨٨ ، ١٢٠ ) وعن طريق محمد بن خلف عن محمد بن موسى بن القرات . وهذه الروايات عن مربعة ابي العباس وعن بادوريا ، وعن مساحة بغداد ، وذرع بغداد ، وحماتها . ولعل هذه الكتب وغيرها نقلت عن طيفور نصوصاً اخرى دون ان تشير الى مصدرها .

اما احمد بن الطيب السرخسي ( ت ٢٨٦ هـ ) فهو تلميذ الكندي وقد الف عدداً كبيراً من الكتب جمع روزنثال الاشارات اليها والنقول عنها في كتاب الفه عن السرخسي ونشره في نيوهافن سنة ١٩٤٣ ؛ وقد ذكر اشارات ابن النديم ، وابن القفطي ، وحاجي خليفة الى كتاب السرخسي غير اننا لانعلم احداً غير ابن الفقيه نقل عنه شيئاً عن خطط بغداد . اما يزدجرد بن مهرداد فقد ذكر كتابه ابن النديم وحاجي خليفة ونقل عنه التنوخي

في نشوار المحاضرة (١/٦٤ - ٦٥) كما نقل عنه ياقوت في معجمه في موضعين (١/٤٤٨ ، ٤/٤٤٥-٦) وقد جمع السيد ميخائيل عواد النصوص التي نقلها عنه في بحث نشره في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق (المجلد ١٩ سنة ١٩٤٤) ثم اعاد طبع البحث مرتين . وأشمل هذه النصوص كلاماً عن المدائن ، وعن بابل ، وعن هجمات بغداد ؛ وإذا كانت النصوص المتعلقة بهجمات بغداد مأخوذة عن كتابه « فضائل بغداد » فاننا لا نستطيع الجزم في اسم كتابه الذي نقلت منه نصوص المدائن وبابل .

اما كتاب التبيان لاجم بن خالد البرقي الكاتب الذي ذكره حاجي خليفة من ضمن الكتب التي تتحدث عن بغداد (كشف الظنون ١/٢٨٨) وقد ذكر المسعودي في مروج الذهب هذا الكتاب ضمن كتب التاريخ التي اعتمد عليها (١/١٩ طبعة باريس) دون ان يشير الى محتواه . وقد فقد هذا الكتاب ولم نعث على نص منقول منه ، ولانعلم اذا كان كتاباً قائماً بذاته ام هو نفس كتاب « البلدان والمساحة » كما يبدو لاغازرك (انظر الذريعة ج ٢ ص ١١٥ ، ٢٢٦) وما اذا كان قد تناول بحث خطط بغداد .

لقد اشارت كتب التاريخ والتراجم الى بعض خطط بغداد في معرض الكلام عن الاحداث السياسية او من تراجم بعض الاشخاص حيث يذكر مكان اقامة المترجم له او دفنه في بغداد ، كما يشيرون الى الحرائق والتخريبات او الاماكن التي حدثت فيها بعض الاحداث التي دونوها ؛ وهذه المعلومات غير قليلة حيث انها تعين على تحديد زمن وجود المكان واهميته احياناً ، غير ان الاغلبية المطلقة لهذه المعلومات هي اشارات عابرة لخطط تذكر عادة منفردة ، اللهم الا ما يرد في وصف الحروب واحوال الحصار من ذكر عدة اماكن وairاد معلومات عن مواقعها . ولما كانت هذه المعلومات مشتتة مبعثرة فاننا لا نتطرق الى تقييمها او حصرها ، بل نكتفي بالاشارة الى اهميتها لمن اراد استكمال البحث اما هنا فاننا نقصر بحثنا على عرض المؤلفات التي اختصت كلها او فصول منها لخطط بغداد .

ان اغلب المؤلفين العرب الذين كتبوا في التاريخ العام لم يخصصوا موضوع بناء بغداد وتوسعها وخططها بتفاصيل وافية . فالبلاذري المتوفى سنة ٢٢٩ هـ لم يذكر شيئاً عن بناء بغداد في الفصل الذي كتبه عن المنصور في انساب الاشراف ، اما في فتوح البلدان ، فقد خص مدينة السلام بفصل تبلغ صفحاته ستاً فقط اورد فيه معلومات قيمة ، ولكنها لا تقارن بتفاصيلها وشموها بما اوردته عن الكوفة او البصرة ، دذا بالرغم من ان كتابه مزيج من التاريخ والجغرافية ، ولعل البلاذري كان يشعر ان بغداد خارجة عن نطاق بحثه المحدد بالاماكن المفتوحة والتي لها اهمية عسكرية . ولم يخص خليفة بن خياط بغداد بشيء في كتابه التاريخ الذي يؤمل طبعه قريباً .

اما اليعقوبى الذي سأتحدث فيما بعد عن الفصل القيم الذى كتبه في كتابه البلدان ، فانه لم يخص في تاريخه بناء بغداد باكثر من ثمانية اسطر اجمل فيه اهمية موقع بغداد ، وعدد ابوابها ، وسورها ، وقطائفها ( ج ٢ ص ٤٤٩ - ٥٠ ) .

اما المسعودي فانه خص في كتابه « التنبية والاشراف » بغداد ببضعة اسطر يتحدث فيها عن اشتقاق كلمة بغداد ، وزمن بناء المدينة ، وعن الرصافة ، وكل ذلك في معرض كلامه عن الامصار ( ص ٣١٢ ) .

واقصر كتاب مروج الذهب على نقل حكاية عن ابن عياش المنتوف ، وذكر معها عرضاً ابواب المدينة وطاقتها وبقائها الى زمنه ( ج ٣ ص ٢٩٩ ) غير انه ذكر « وقد أتينا على كيفية بناء هذه المدينة ، واختيار المنصور لهذه البقعة بين دجلة والفرات ، ودجيل والصرافة ، وهذه أنهار تأخذ من الفرات ، وأخبار بغداد ، وعلة تسميتها بهذا الاسم ، وما قاله الناس من ذلك ، وخبر القبة الخضراء وسقوطها في هذا العصر ، وقصة قبة الحجاج الخضراء التي كان الحجاج بناها بواسطة العراق وبقاؤها الى هذا الوقت وهو سنة ٣٢٢ في كتابنا الأوسط الذي كتابنا هذا تال له » ( ٢٩٩/٣ ) ومن سوء الحظ ان الكتاب الأوسط مفقود ، غير انه اذا كانت هذه هي كل المواضع التي بحثها ، فان بحثه لا يكون

شاملاً لكل خطط بغداد .

ومن الغريب أن يهمل هؤلاء المؤرخون دراسة بغداد على عظيمها وأهميتها ، في هذا العصر المبكر الذي اهتم فيه المؤلفون بدراسة خطط المدن كالذي فعله الأزرقى في أخبار مكة ، وابن زباله ، ويحيى بن الحسن ، والزيير بن بكار في خطط المدينة ، وابن يونس ، وابن زولاق والكندي في خطط القاهرة .

وقد خص معظم الجغرافيين العرب بغداد ببحوثهم ، فذكروا وصفها ، وخاصة في زمنهم . وهذا ما فعله ابن جبير وابن بطوطة في رحلاتهم ، وابن رسته .

تعد الفصول التي أوردها اليعقوبي في البلدان وابن سيرايمون في كتاب عجائب الأقاليم وابن الفقيه في كتاب البلدان والطبري في تاريخه والخطيب في تاريخ بغداد والمواد المشتتة في معجم البلدان والتي لخصها وأضاف إليها مؤلف مراصد الاطلاع من أغنى الفصول التي وصلت إلينا عن خطط بغداد وسنقتصر في هذه الدراسة على دراسة ما جاء في المصادر الخمسة الأولى مرجئين دراسة ما ورد في معجم البلدان ومراصد الاطلاع الى مقال آخر .

خص اليعقوبي خطط بغداد بعشرين صحيفة تلت مقدمة كتابه « البلدان » ، وقد تقصد البدء بدراسة بغداد وتصيل أحوالها لان العراق « وسط الدنيا وسرة الأرض » وبغداد « وسط العراق والمدينة العظمى التي ليس لها نظير » ( ٢٣٤ ) وبعد أن بين أهمية موقعها ، والمحاولات التي قام بها أبو العباس والمنصور لإيجاد عاصمة لها حتى استقر رأي الأخير على موقع بغداد ، ثم بحث عن بناء مدينة المنصور ووصف أسوارها وأبوابها ، وعدد سككها ، وأرباع أرباضها ومن اختط فيها ، ثم تكلم عن الشرقية وعن الكرخ وقنواتها ، وعن الجانب الشرقي . وقد حصر اليعقوبي كلامه بوصف المدينة عند بنائها وفي أوائل عهدها ، وكان يعلم أن بعض خطط المدينة قد تبدل ، وقد أشار إلى ذلك عند كلامه عن بعض سكك المدينة المدورة حيث يقول « وسكة تعرف في هذا الوقت بالقواريري قد ذهب عني اسم صاحبها .. وسكة تعرف اليوم بالزيادي وقد ذهب عني اسم صاحبها » ( ٢٤٠ ) ؛ ويقول في آخر الفصل الذي كتبه عن بغداد « وهذه القطائع

والشوارع والدروب والسكك التي ذكرتها على ما رسمت في أيام المنصور ووقت ابتدائها ، وقد تغيرت ومات المتقدمون من أصحابها وملكها قوم بعد قوم ، وجيل بعد جيل ، وزادت عمارة بعض المواضع وملك قوم ديار قوم ، وانتقل الوجوه والجله والقواد وأهل النباهة من سائر الناس مع المعتصم إلى سرمن رأى في سنة ثلاث وعشرين ومائتين .

ان المعلومات التي قدمها اليعقوبي تفوق ما قدمه غيره ، فالسكك التي ذكرها في المدينة المدورة تبلغ اربعين سكة ، في حين أن الخطيب لم يذكر سوى خمس سكك ، وقطائع الأرباض لا تقارن بتفاصيلها بما ذكره الخطيب . لذلك فأننا نعجز عن تدقيق ما أورده اليعقوبي لانفراده في ذكر معظم المعلومات التي أوردها .

ان الفقرة الأخيرة التي أوردها اليعقوبي تشير صراحة الى أن بحته قائم على وصف المدينة أيام بنائها ، لاني أيامه ، ومع أنه يؤكد أنها ظلت عامرة حتى زمنه رغم من انتقل عنها بعد انشاء سامراء ، إلا أنه لا يذكر ما عرى خططها من تبدل وتغير ، حتى انه وهو المحقق الذي ظل يجمع مادة كتابه منذ عهد شبابه ( ص ٢٢٢ ) غاب عنه إسم صاحبي سكة القواريري وسكة الزيادي . ويلاحظ انه ألف كتابه وهو بعيد العهد عن بغداد حيث يقول عند كلامه عن سويقة عبد الوهاب « وبلغني ان السويقة أيضاً خربت » ( ٢٤٢ ) .

ولا يفوتنا أن نذكر ان كتاب البلدان طبع على نسخة فريدة ناقصة ، ويظهر نقصها في مقدمتها ، وفي القطع الواضح في الفصل المكتوب عن البصرة ، وفي النصوص غير القليلة المنقولة عن بلدان اليعقوبي في الكتب الأخرى ، هذه النصوص التي جمعها دي غويه وألحقها بالمطبوع ، تعد دليلاً واضحاً على نقص الكتاب ، وكان المؤمل ان تكون حافظاً للبحث عن نسخة أكمل من هذا الكتاب العظيم ، ولكن يبدو أن الناس ظلوا يعتمدون على النسخة المطبوعة ولم يحاولوا البحث عن نسخة أكمل ، وهكذا أعيد طبع هذا الكتاب

في النجف عدة مرات دون أية محاولة لإكمال هذا النقص .

\* \* \*

ومن الفصول القيمة عن خطط بغداد الفصل المنسوب إلى سهراب أو ابن سيرايون والذي نشره وترجمه لي سترانج ، ثم أعاد نشره مزرك ضمن كتاب عجائب الأقاليم . وفي هذا الفصل تفصيل دقيق عن أنهار بغداد أي الترع التي تخترقها ، مع ذكر ما يتشعب منها وما عليها من خطط ، وهو أوسع فصل في موضوعه ، وقد نقله الخطيب البغدادي حرفياً تقريباً بسنده من « عبد الله بن محمد البغدادي بطرابلس عن بعض متقدمي أهل العلم » ( ١١٢/١ ) . وقد نقل ياقوت أيضاً هذه المعلومات عن أنهار بغداد ووزعها على حروف الهجاء لتنسجم مع تنظيم كتابه ، دون الإشارة إلى المصدر الذي استقى منه هذه المعلومات وما إذا كان استمدها من الخطيب أم من سهراب أم من مصدر آخر غيرها . ان تشابه مادة هذه المصادر الثلاثة تجعل فصل أنهار بغداد خالياً من العيوب التي نجدها في وصف سهراب لأنهار المناطق الأخرى ، وذلك كالعيوب التي لاحظها هرزفيد عن أنهار سامراء وروبرت أدامز عن مجرى دجلة بين المدائن وواسط ( انظر ص ١٧٨ من كتاب « ارض وراء بغداد » لروبرت أدامز ) وعمما نلاحظه من عيوب وخلل في وصف الأنهار المتشعبة من دجلة أسفل واسط ، أو مجرى نهر سورا بين بابل والنيل .

\* \* \*

بحث الطبري في كتابه العظيم « تاريخ الأمم والملوك » عن انشاء بغداد في مكانين من القسم الثالث ( ٢٧٢ - ٢٨١/٢٢٠ - ٣٢٧ ) ومجموع كلامه لا يزيد على خمسة عشر صحيفة ، تناول في القسم الأول منها اختيار موقع بغداد وخصائصه ، والقرى التي كانت في موضع بغداد قبل إنشائها ، أما في القسم الثاني فتحدث عن بناء بغداد ، ومحاولة نقض إيوان كسرى ، والاشراف على البناء ، ونفقاته ، وعن أبواب المدينة والأسواق ونقلها . ويتبين من هذا ان القسمين متكاملان ، وان فصلهما جرى بسبب تقسيم الكتاب . غير ان هذه المعلومات متقطعة ، غير كاملة ولا شاملة ، ولا يستطيع المرء تكوين صورة واضحة

أو دقيقة للمدينة منها . ولا نستطيع الجزم بسبب اختياره هذه المادة دون غيرها عن بغداد الأولى . وجدير بالذكر ان المعلومات التي أوردها مذكورة عند ابن الفقيه الهمداني والخطيب البغدادي . كاسنين فيما بعد .

لم يستخدم الطبري فيما رواه عن بغداد سلسلة كاملة من المساند ، ولكنه ذكر عدداً من الأخبار دون التصريح بمصدرها واكتفى بكلمة « وذكر بعضهم » ( أنظر ص ٣٢٢/٣٢٣/٣٢٥ ) كما انه لم يذكر شيوخته في هذه المساند . اما الرواة الذين أخذ عنهم مادته فهم متعددون ، وأغلبهم منفردون . وأهمهم :

(١) حماد التركي ، فقد روى عنه نصوباً عن أهمية موقع بغداد ، وما حوّلها من القرى ، والاديرة ، وقد روى عنه أيضاً اخباراً عن المنصور ، يبدو منها انه كان من الفرسان (٣/٤٣٠) وانه كان مقرباً من الخليفة (٣/٣٤٣/٣٩٢) . وقد جاءت معظم روايات حماد عن طريق ابراهيم بن عيسى بن أبي جعفر .

(٢) سليمان بن مجالد وهو من القواد المقربين للمنصور (٣/٤٢٩) وقد روى الطبري عنه أهمية موقع بغداد ، وقصة المقلاص ، وتولية أبي حنيفة الإشراف على البناء . كما روى عنه أخباراً عن ثورة أهل الكرخ .

(٣) يحيى بن الحسين بن عبد الخالق وهو خال الفضل بن الربيع ، وقد روى عنه شكوى عيسى بن علي من المشي ، ونقل الأسواق ، وتولية القواد البناء . وقد روى عنه أيضاً اخباراً عن أرزاق الكتاب ، وعن مقتل موسى الهادي ، وعن الرشيد والمأمون .

(٤) وقد روى عن الفضل بن سليمان سبب نقل الاسواق ، وعن ابراهيم الموصلبي محاولة هدم إيوان كسرى ، وعن رشيد أبي داود عن احتراق الساج والخشب ، وعن محمد بن موسى بن الفرات عن نهر طابق . كما روى عن كل هؤلاء أخباراً قليلة عن أمور أخرى .

\* \* \*

يصح القول ان اوج ما وصلنا عن تاريخ بغداد هو الكتاب الذي ألفه أبو بكر أحمد ابن علي البغدادي ، فقد وصفه السبكي بأنه « من أجل الكتب وأعودها فائدة » ( طبقات

الشافعية ١/١٧٢) ووصفه حاجي خليفة بأنه « كتاب عظيم الجمع والنفع » ( كشف  
الظنون ١/٢٨٨ وقد ادرك الأقدمون عظمة هذا الكتاب فقاموا بتلخيصه وتذييله ، فقد  
ذكر حاجي خليفة ممن لخصه أبو اليمن مسعود بن محمد البخاري ، وان من ألف ذيلًا  
على تاريخ بغداد أبو سعد عبد الكريم بن محمد السمعاني صاحب الانساب ( ت ٥٦٢ هـ )  
وأبو عبد الله محمد بن سعيد المعروف بابن الديلمي ( ت ٦٣٧ هـ ) ومحب الدين محمد بن محمود  
ابن النجار ( ت ٦٤٣ هـ ) . وقد ذيل على كتاب السمعاني عماد الدين محمد بن محمد الكات  
( ت ٥٩٧ هـ ) ، وعلى كتاب ابن الديلمي ابن القطيعي ، كما لخص شمس الدين الذهبي ( ت ٧٤٨ )  
ذيل ابن الديلمي ، وذيل على كتاب ابن النجار تقي الدين محمد بن رافع ( ت ٦٧٤ هـ ) وأبي بكر  
المارستاني الذي ذيل عليه علي بن أنجب بن الساعي ( ت ٦٧٤ هـ ) . ولم يطبع من هذه  
الكتب غير ملخص شمس الدين الذهبي لذيل ابن الديلمي ، فقد طبعه الزميل الدكتور  
مصطفى جواد ، أما بقية الكتب فلم يطبع منها شيء ، وقد بقيت منها مخطوطات متفرقة  
في مكتبات الشرق والغرب ، وقد فصل بروكلمان في كتابه العظيم تاريخ الأدب العربي مواضع  
وجود مخطوطاتها ، دون المصورات التي نقلت عن تلك المخطوطات .

لقد طبع تاريخ بغداد في أوائل الثلاثينات ، ثم أعيد طبعه حديثاً مصوراً على الطبعة  
القديمة ، ويتكون الكتاب في كلتا الطبعتين من أربعة عشر جزءاً يضم كلاً منها حوالي  
أربعمئة صحيفة . وقد تكلم في الجزء الأول عن حكم أرض بغداد والسواد ، ومناقب بغداد ،  
ونهر دجلة والفرات وبعض أخبار المنصور ، ثم خصص ٥٤ صحيفة ( ٦٦ - ١٢٠ ) لمخطوط  
بغداد ، ثم تكلم عن المدائن ومنزلها ، أما الباقي فقد خصصه كله لتراجم من عاش ببغداد  
أو مر بها . وقد ذكر في ثنايا هذه التراجم آلاف الاشارات الى خطط بغداد وأنها  
وجوامعها وأسواقها ومقابرها ودروبها وقصورها مما له أهمية عظيمة في دراسة خطط  
بغداد . ولما كانت هذه الاشارات عرضية مفردة ، فالتنا لاندخلها ضمن نطاق  
بحثنا الحالي الذي نركزه على الرابع والخمسين صحيفة التي خصصها لدراسة خطط بغداد .

لقد أشرنا في أول مقالنا الى الأهمية الكبرى لدراسة تطور خطط بغداد وتقرير الأوضاع التي كانت قائمة في كل زمن أو حقبة معينة ؛ وبيننا أن دراسة هذا التطور يستلزم معرفة الزمن الذي تشير اليه المعلومات التي تذكرها المصادر ، وان من أهم وسائل تقرير هذا الزمن هو معرفة تاريخ المصدر الذي تنقل عنه معلوماتنا ، وان غرضنا الرئيسي من هذا المقال هو فحص التاريخ الذي وجدت فيه الخطط التي يصفها المصدر ؛ ومما يسهل تحقيق غرضنا هو معرفة مصادر الأخبار المتعلقة بالخطط . ومما يسهل تحقيق هذا الغرض ان معظم المؤرخين المسلمين القدماء ، ومنهم الطبري والخطيب ، كانوا يذكرون مصادر رواياتهم ، كما ان كثيراً من هذه المصادر كانت تشير الى الفترة التي يتناولها بحوثهم .

غير ان معرفتنا أسماء الكتب التي اختصت أو اهتمت بدراسة خطط بغداد لا يكفي لتقرير مدى مساهمتها ، أو مدى مساهمة الخطيب في دراسة خطط بغداد وتاريخ تطورها ؛ لأن هذا لا يتم إلا اذا وجدت الكتب نفسها كاملة ، وقد لاحظنا ان معظم هذه الكتب مفقود ، زال أثره أو لم تبق منه الا مقتطفات مهملها كان طولها فهمي لا تكفي لإصدار حكم قاطع على أهمية هذا المصدر . ثم ان الخطيب يذكر الرواة الذين نقل عنهم ، ولا يشير الى أسماء كتبهم التي نقل عنها هذه المعلومات . ومن المعلوم انه يذكر السند كاملاً في الغالب وان رجال السند كلهم ، أو معظمهم أحياناً ، علماء ومؤلفون ، فلا نعلم أحياناً أيهم المؤلف وأيهم الراوية . ثم أن الخطيب يورد أحياناً معلومات دون ذكر مصدرها ، كما انه ينقل معلومات مسندة تشبه المعلومات الموجودة في الكتب الأخرى المعتمدة ، ولكنه لا يذكر انه أخذها من تلك المصادر . وقد ذكرنا من قبل اشاراته الى ما نقله عن طيفور ، أما في الصفحات التالية فسنتقارن ما ذكره عن الخطط بما ورد في الكتب الرئيسة الثلاثة التي بحثت خطط بغداد في أدوارها الأولى ، وهي الطبري ، واليعقوبي ، وسهراب ، بما جاء في الخطيب ، ثم نحلل مساند الخطيب في بحثه عن خطط بغداد في القسم الذي أشرنا الى ان البحث سيقصر عليه .

لم يذكر الخطيب سهراب واليعقوبي ، وقد ذكر الطبري مرة واحدة (ص ٦٦) غير ان مقارنة ما أورده بالمادة الموجودة في هذه الكتب تبين انه نقل حرفياً ، تقريباً ، كل ما أورده سهراب عن أنهار بغداد ، غير ان الخطيب يذكر انه حدثه بها عبد الله بن محمد بن علي البغدادي بأطرابلس عن بعض متقدمي العلماء وذكر أنهار بغداد فقال .. ( ١١٢ )  
وجدير بالملاحظة ان هذا الفصل يطابق ما جاء في سهراب ( ١٢١ - ٣٢ ) وما جاء في مناقب بغداد المنسوب لابن الجوزي ، وينطبق بعضه على ما نقله ياقوت والراجح ان سهراب هو مصدر الجميع .

أما علاقة الخطيب بالطبري ، فلا بد أن نذكر انه بمقارنة ما كتبه الخطيب بما كتبه الطبري عن نشوء بغداد ( ٢٧٢ - ٢٨١ ؛ ٣٢٠ - ٣٢٧ ) نجد ان الطبري انفرد بتفاصيل عن تفتيش المنصور عن موضع لبناء بغداد ، وخصائص موقعها ( ٢٧٢ - ٢٧٨ ) ومقام المنصور بالدير ( ٢٨١ ) ؛ وكذلك عن احتراق الساج عند بناء بغداد ( ٣٢٠ ) ومحاولة نقض إيوان كسرى ( ٣٢١ ) وبناء الطاقات ( ٣٢٦ ) . غير ان بقية المعلومات التي أوردها الطبري نقلها الخطيب بنصوص روي أغلبها عن وكيع . وهذه المعلومات تشمل تولية أبي حنيفة الاشراف على عدل اللين ( ٢٧٩ ط = ٧١ خ ) وقرية بني زرارة والشرفانية وقطيفة الربيع وبنو اوري ( ٢٨٠ ط = ٢١ ( ٨١ ، ٨٨ خ ) وأبواب بغداد ( ٣٢٢ ط = ٧٥ خ ) واشراف الحاج بن ارطاة على عمارة المسجد ( ٣٢٢ ط = ٧٠ خ ) ووزن اللين ( ٣٢٣ ط = ٧٢ ، ٧٠ خ ) وركوب عيسى بن علي في المدينة المدورة ( ٣٢٤ ط = ٧٣ خ ) وانتقاد البطريرك خطط بغداد ( ٣٢٤ ط = ٨٠ خ ) وثورة أهل الكرخ ونقلهم ( ٣٢٥ ط = ٧٩ خ ) ونفقات البناء ( ٣٢٧ ط = ٦٥ خ ) . ويتبين من كل هذا ان الخطيب استوعب المادة المهمة في الطبري ، ولكنه نقلها عن وكيع ، ولم يشر فيها الى الطبري بالرغم من تشابه المادة .

اما اليعقوبي فان الخطيب نقل عنه نصين ( ٦٦/٦٩ خ ) دون ذكر مصدره ، ومع

ان كلام من اليعقوبي والخطيب متفقان في ذكر سكك بغداد وقطائعها واهميتها ، الا ان اليعقوبي اشمل بحثاً وادق تعبيراً ، اما الخطيب فقد ذكر بعض السكك والقطائع ، مع معلومات اوضح عن اصحابها ، كما ذكر اهمية بغداد وعظمتها ولكن بافكار واسلوب يخالف ما جاء في اليعقوبي . ان المعلومات التي اوردها الخطيب عن خطط بغداد فيها نصوص ذكر انها كانت منه او لم يذكر مصدرها ، ولكن اغلبتها المطلقة جاءت مسندة ، اي انه اخذها من مصادر ذكرها . وتختلف المصادر في كثرة ما نقله عنها الخطيب وسنذكرها فيما يلي مرتبة حسب كثرة من نقل عنهم .

نقل الخطيب اغلبية المعلومات التي اوردها عن خطط بغداد في اوائل عهد تأسيسها عن محمد ابن خلف المعروف بالقاضي وكيع ؛ فقد نقل بسند عن وكيع مباشرة ما اورده عن استخدام ابي حنيفة في بناء بغداد ( ٧١ ) وابواب مدينة المنصور وسورها ( ٧٢ - ٧٣ ) وصفة المدينة ( ٧٦ ) وسوق البطيخ والاسواق ( ٨١ ) والطاقت والارباض ( ٨٣ ) ومربعة ابي العباس ( ٨٤ ) وبستان القس ( ٨٥ ) وبعض الاقطاعات ( ٨٥ ) وبعض الدور والسكك ( ٨٧ ) وبركة زلزل ( ٨٨ ) وقطيفة الربيع ( ٨٨ ) وطاقتا الحراني ( ٩٠ ) والانهر والقطائع ( ٩١ ) والسويقات ( ٩٣ ) ومربعة الحرشي وقصر رنج ( ٩٤ ) والدروب ( ٩٦ ) وسوق الثلاثاء ( ٩٦ ) وحوض داود ( ٩٧ ) وسجن المنصور ( ١٠٧ )

وروى الخطيب ايضاً احد عشر نصاً عن وكيع الذي نقلها بدوره عن راوية آخر فقد نقل الخطيب رواية وكيع عن ابن الاعرابي حول انحراف القبلة ( ١٠٧ ) وعن الحارث بن اسامة حول البطريق والاسواق ( ٨٠ ) وتاريخ اكمال الرصافة ( ٨٢ ) وعن ابي هيثم الفراهي حول اقطاع المسيب ( ٨٥ ) وعن ابي زيد الخطيب عن جهار سوق المنار ( ٨٥ ) وعن يحيى بن الحسن بن عبد الخالق عن دار عباد ( ٩٦ ) وعن بعض الخطط ( ٧٠ ) وعن احمد ابن الحارث العتابي عن مصادر ابواب بغداد ( ٧٥ ) وعن احمد بن ابي طاهر عن مربعة العباس ( ٨٤ ) وعن مساحة بغداد ( ١٢٠ ) وبادوريا ( ٨٨ ) .

وقد نقل الخطيب رواية وكيع عن احمد بن الخليل بن مالك عن ابيه حول جسور بغداد ( ١١٥ ) وما رواه عن محمد بن ابي علي عن محمد بن عبدالنعم بن ادريس عن هشام بن محمد ( الكلي ) حول المخرم ( ٩٥ ) .

يبدو ان الخطيب نقل نصوصه من كتاب مدون الفقه القاضي وكيع ، وانه كانت لهذا الكتاب منه روايتان بينهما بعض الاختلاف ، وان الخطيب اطلع على كلتا الروايتين لكنه فضل احدهما فاكثر النقل عنها ، ولم يهمل الثانية بل نقل عنها نصين على الاقل .

والنسخة التي اعتمدها الخطيب ونقل عنها اكثر نصوصه عن القاضي وكيع هي رواية محمد بن علي الوراق واحمد بن علي المحتسب عن محمد بن جعفر النحوي عن الحسن بن محمد السكوني عن محمد بن خلف وكيع ، فاما الوراق فهو محمد بن علي بن محمد بن مخلد بن خداح بن مجلان المتوفى سنة ٤٢٢ هـ وقد ذكر الخطيب اسمه بعدة صور هي : محمد بن علي الوراق ومحمد بن علي بن مخلد ، وابن مخلد . وقد ترجم له ترجمة قصيرة ذكر فيها « وكتبت عنه » ( ٣ / ٩٤ - ٥ ) .

اما احمد بن علي المحتسب فهو احمد بن علي بن الحسين بن محمد بن موسى المحتسب المعروف بابن التوزي ( ٢٦٤ - ٤٤٢ هـ ) وقد ذكره الخطيب مرة على احمد بن علي ، ومرة على احمد بن علي المحتسب ، ومرة على « التوزي » . وترجم له ترجمة مقتضبة ذكر فيها انه « كثير الكتاب .. كتبت عنه وكان صدوقاً » ( ٤ / ٣٢٤ )

لقد ذكرنا ان محمد بن علي الوراق واحمد بن علي المحتسب رويا عن محمد بن جعفر النحوي المعروف ايضاً بابن النجار ( ٣٠٣ - ٤٠٢ هـ ) وقد الف محمد بن جعفر هذا كتاباً في تاريخ الكوفة نقل عنه ياقوت في ارشاد الارب ( ٣ / ٦٩ ، ٤ / ٢٤٥ ، ٥ / ١١٣ ، ٦ / ٤٦٨ ) ومعجم البلدان ( ٣ / ٨٤٨ ، ٤ / ٥٦٨ / ٦٣٣ ) . وقد ترجم الخطيب لمحمد بن جعفر وذكر انه من اهل الكوفة ، وأنه قدم بغداد وحدث بها عن « الاشعري والحريزي وابن مروان والمحاربي وابن دريد ونفطويه وابي روق الهمداني ومحمد بن يحيى الصولي ،

وذكر أيضاً « حدثنا عنه محمد بن علي بن مخلد الوراق واحمد بن علي بن التوزي » .  
اما الحسن بن محمد السكوني فلم يترجم له الخطيب ، وفعل ذلك القهبائي في مجمع  
الرجال ( ١٤٨ / ٢ ) والتستري في الرجال ( ٢٣٣ / ٣ ) والارديلي في جامع الرواة ( ٢٢٤ )  
وكرروا القول بانه « الحسن بن محمد بن الحسن السكوني الكوفي ابو القاسم وروى  
عنه التلمكبري وسمع منه في داره بالكوفة سنة ٣٤٤ » . وقد ذكره كل من ابن المطهر في  
خلاصة الاقوال ( ٥٩٥ ) والحسن بن داود في الرجال ( ٤٤ ) الحسن بن الحسين  
السكوني ، ولا نعلم اذا كان المقصود هو الحسن بن محمد السكوني الراوية ام انها  
شخصان مختلفان .

ويبدو ان الخطيب اعتبر السكوني راويها المعتمد فهو يقول « وذكر باب خراسان  
كان قد سقط من الكتاب فلم يذكره محمد بن جعفر عن السكوني وانما استدر كناه من  
رواية غيره » ( ١٧٢ / ١ ) وواضح من هذا النص ان لمحمد بن خلف كتاباً مؤلفاً نقلت عنه  
النصوص .

وجاءت روايتان عن وكيع لم يذكر الخطيب سندها بل اكتفى بالقول « فيما بلغني  
عنه » ( ٧٣ ، ٧٢ / ١ ) وبالإضافة الى ذلك توجد ايضاً روايتان نقلها الخطيب عن طريق ابي  
عبدالله الحسين بن محمد بن جعفر الخالغ عن علي بن محمد بن السري الهمداني عن محمد بن  
خلف ( ٩٤ ، ٩١ / ١ )

ولا نعلم من اي كتب وكيع نقل الخطيب النصوص المتعلقة بخطط بغداد ؛ لان النص  
الذي نقلناه فيما مر يدل على ان الخطيب نقل عن احد كتب وكيع ، لكنه لا يصرح اي  
كتب وكيع جاء منه النقل ، فهو بالرغم من كثرة ما نقل عن وكيع لم يذكر  
في ترجمته انه الف كتاباً عن بغداد ، بل يقتصر على القول انه « محمد بن خلف بن  
حيان بن صدقة بن زياد ابو بكر الضبي القاضي المعروف بوكيع كان عالماً فاضلاً عارفاً  
بالسير وايام الناس واخبارهم ، وله مصنفات كثيرة منها كتاب الطريق وكتاب الشريف ،

وكتاب عدد آي القرآن والاختلاف فيه . و يروى ايضاً انه « كان من اهل القرآن والفقه والنحو له تصانيف كثيرة في اخبار القضاة ، وفي عدد آي القرآن وكتاب الشريف ، والرمي والنضال ، والمكاييل والموازن ، وغير ذلك » ( ٥ / ٢٣٦ - ٧ ) ويذكر ابن النديم في الفهرست ( ص ١٦٦ ) ان لوكيع « كتاب اخبار القضاة وتاريخهم واحكامهم ، كتاب الشريف مجري مجرى المعارف لابن قتيبة ، كتاب الانواء ، كتاب الغزو وأخباره ، كتاب المسافر ، كتاب الطريق ويعرف ايضاً بالنواحي ويحتوي على اخبار البلدان ومسالك الطرق ولم يتعمه ، كتاب التصرف ( لعلمه الصرف ) والنقد والسكة كتاب البحث . وقد ذكر المسعودي في مقدمة مزوج الذهب مؤلفات العرب في التاريخ ومنها « الكتاب الشريف تأليف ابي بكر محمد بن خلف المعروف بوكيع القاضي في التاريخ وغيره... »

ويتبين من ذلك أن نصوص خطط بغداد ربما كانت من كتاب اخبار البلدان او الكتاب الشريف ، وكلاهما مفقود ولم يشر احد الى محتواها او ينقل منها .

والمصدر الرئيس الثاني من حيث الكمية ، الذي استقى منه الخطيب معلوماته عن خطط بغداد هو ابراهيم بن محمد بن عرفة الازدي المعروف بنقطويه ( المتوفى سنة ٣٢٣ هـ ) فقد اخذ عنه معلومات عن الطالع ( ٦٧ ) وثورة اهل الكرخ واسواقها ( ٧٩ ) وشارع القحاطبة ( ٨٥ ) والقطائع ( ٨٨ ، ٩٢ ) وقطيعة العباس ( ٩٥ ) ودار اسحق ( ٩٣ ) وقصر رنج ( ٩٤ ) ونهر المهدي والمعلی ( ٩٦ ) وحوض داود ( ٩٧ ) وقصور بغداد الشرقية ( ٩٨ ) .

لقد استمد الخطيب معلوماته من نقطويه عن طريق ابي القاسم الازهري عن احمد بن ابراهيم بن الحسن عن ابيه عن ابراهيم بن محمد بن عرفة ، دون ذكر اسم الكتاب الذي اخذ منه الخطيب هذه المعلومات عن ابن عرفة ، وجدير بالذكر ان الخطيب عندما ترجم لابن عرفة هذا لم يذكر له غير كتابين هما « غريب القرآن » و « التاريخ » ( ٥ / ١٥٩ - ٦٠ ) اما ابن النديم فقد ذكر بالاضافة الى ذلك كتباً اخرى في القراءات والنحو واللغة والعقائد ( ١٢١ ) وقد نقل ياقوت عن ابن عرفة في عشرة مواضع من معجم البلدان نصوصاً لا علاقة

لها بخط بغداد ولا اشارة الى الكتاب الذي نقلت منه . اما المسعودي فانه يعدد في مقدمة كتابه مروج الذهب المؤلفات العربية في التاريخ ويذكر من ضمنها « تاريخ ابي عبدالله ابراهيم بن محمد بن عرفة الواسطي النحوي المعروف بنفطويه فحشو من ملاحاة كتب الخاصة مملو من فوائد السادة ، وكان احسن اهل عصره تأليفاً واصلاحهم تصنيفاً » ولعل الخطيب نقل عن نفطويه في خطط بغداد من هذا الكتاب المفقود الذي لا نعلم احداً نقل عنه غير الخطيب .

نقل الخطيب مباشرة عن هلال بن الحسن ستة نصوص عن خطط بغداد ، وهي تتعلق بدار الخلافة والتاج ( ٩٩ ) والمخرم ( ١٠٥ ) والمسجد ( ١٠٩ ) والجسور ( ١١٦ ) والسميريات ( ١١٧ ) والحمامات ( ١١٨ ) . ونقل بواسطة هلال عن ابي الحسن بن بشر بن علي بن عبيد النصراني حول الازدحام في بغداد ( ٧١ ) ومن ابي نصر خواشاذ خازن عضد الدولة حول دار الخلافة ( ١٠٠ ) ومن جماعة عارفين حول زيارة رسول ملك الروم ( ١٠٠ ) ومن ابن ام شيبان عن هذه الزيارة ايضاً ( ١٠٢ )

لم يذكر الخطيب من اي كتب هلال نقل هذه النصوص . ومن المعلوم ان هلال بن الحسن الصابي ( ٣٥٩ - ٤٤٨ ) الف عدة كتب منها كتاب الامثال والاعيان ، وكتاب التاريخ الذي اشتمل على الحوادث التي جرت بين سنتي ٣٦٠ - ٤٤٧ ، وكتاب تحفة الامراء في تاريخ الوزراء ، وكتاب الرسائل ، ورسوم دار الخلافة ، والسياسة ، وغرر البلاغة ، والكتاب ، ومآثر اهل ؛ كما الف عن بغداد كتاباً نقل عنه ياقوت اربعة نصوص عن دار الخلافة ( ٢ / ٢٥٥ ) والانحلال الذي اصابها وتناقص الزرع فيما بين المحول والسندية ( ٢ / ٥٤٢ ) وفي درتا من نواحي الكوفة ( ٢ / ٥٦٥ ) وفي قصر ابن هبيرة ( ٤ / ١٢٣ ) كما نقل عن هلال نصوصاً عن أربقباد ( ١ / ٩٠ ) وبردعة ( ١ / ٥٥٨ ) والمبارك ( ٤ / ٤٠٩ ) والرواية المنقولة عن دار الخلافة هي نفسها التي رواها الخطيب ، مما يرجح ان الخطيب اخذ رواياته عن كتاب التاريخ . وجدير بالذكر ان صاحب كتاب مناقب بغداد نقل

عن هلال بن المحسن نصاً يتعلق بما حدث من انحطاط في احوال بغداد في اواخر عهده (٣٣) ولما كان معظم ما نقله ياقوت من هلال نصوصاً يتعلق بانحطاط بغداد في اواخر حياة هلال الصابي ، فانه يمكن القول ان هلال اهتم بدراسة « بغداد وذكر خرابها » كما يقول ياقوت ( ٤ / ١٢٣ ) ولعل هذا هو العنوان الاصيلي لكتاب هلال . ومهما يكن الأمر فان النصوص المنقولة عن هلال تتعلق باحوال بغداد في القرن الرابع الهجري ، فهي تصف الاحوال التي وقعت في زمن مؤلفها ولا تتطرق الى خطط بغداد واهوالها في اوائل عهد تأسيسها .  
ونقل الخطيب عن ابراهيم بن مخلد القاضي عن اسماعيل بن علي الخطيب اربعة نصوص :  
واحد منها عن انشاء المهدي قصر السلام بعيساباذ ( ٩٧ ) والثلاثة الاخرى عن توسيع جامع المنصور ( ١٠٨ ) وعن سقوط راس القبة الخضراء ( ٧٣ )

لقد كان ابراهيم بن مخلد ( ٣٢٥ - ٤١٠ هـ ) من شيوخ الخطيب وقد ترجم له في الجزء السادس وقال « كتبت عنه » اما اسماعيل بن علي الخطيب ( ٢٦٩ - ٣٥٠ هـ ) فقد ترجم له في الجزء السادس ( ص ٢ - ٣ - ٥ ) وذكر انه « صنف تاريخاً كبيراً على السنين » وقد ذكر ابن النديم هذا الكتاب ( ٢٤٣ ) ويبدو ان النقل جاء من هذا الكتاب .

ونقل الخطيب بسند عن محمد بن الحسين بن الفضل القطان عن عبدالله بن جعفر بن درستويه النحوي عن يعقوب بن سفيان اربعة نصوص عن تاريخ انتهاء البناء ( ٦٧ ) وتاريخ الانتقال الى الكرخ ( ٧٩ ) ومسجد الرصافة زمن المهدي ( ١٠٩ ) وبناء الخلد ونصب الجسر ( ١١٥ )

ومحمد بن الحسين بن الفضل القطان ذكره الخطيب وقال انه توفي سنة ٣٠٦ هـ وانه روى عن عمرو بن الفلاس كتاب التاريخ ( ٢٣٢ ] ٢ ) ولما كان الفلاس محدثاً بصرياً مشهوراً ( ١٢ / ٢٠٧ ) فالراجح ان المعلومات الواردة في كتاب الخطيب لم تؤخذ من هذا الكتاب .

اما عبدالله بن جعفر بن درستويه النحوي ( ٢٥٨ - ٣٤٧ هـ ) فقد ترجم له الخطيب

وذكر انه حدث عن عدد من العلماء منهم يعقوب بن سفيان النسوي « وحمل عنه من علوم الادب كتب عدة صنفها منها تفسير كتاب الجرمي ، ومنها كتابه في النحو الذي يدعى الارشاد ومنها كتابه في الهجاء وهو من احسن كتبه .. وحدثنا عنه ابو الحسن بن رزقويه وابو الحسين بن الفضل وابو علي بن شاذان .. سألت البرقاني عن ابن درستويه فقال ضعفوه لانه لما روى كتاب التاريخ عن يعقوب بن سفيان انكروا عليه ذلك وقالوا له انما حدث يعقوب بهذا الكتاب قديماً فمتى سمعه ؟ وفي هذا القول نظر لان جعفر بن درستويه من كبار المحدثين وفهائهم وعنده عن علي بن المديني وطبقته فلا يستنكر ان يكون بكرابانه في السماع عن يعقوب بن سفيان وغيره مع ان ابا القاسم الازهري قد حدثني قال رأيت اصل كتاب ابن درستويه بتاريخ يعقوب بن سفيان لما بيع من ميراث ابن الأبنوس فرأيتة اصلاً حسناً ووجدت سماعه صحيحاً » ( ٤٢٨ / ٩ ) وقد ذكر له ابن النديم عدداً كبيراً من المؤلفات ليس فيها كتاب في التاريخ ( ٩٢ - ٤ )

ولم يترجم الخطيب ليعقوب بن سفيان ، كما ان صاحب لسان الميزان ترجم له ترجمة غامضة ذكر فيها رواته ( ٣٠٧ / ٦ )  
ويتبين مما ذكره الخطيب من ترجمة ابن درستويه ان المعلومات التي نقلها مستمدة من كتاب التاريخ .

وقد نقل الخطيب عن ابي عبدالله محمد بن عمران بن موسى المرزبان ثلاثة نصوص احدها عن عبد الباقي بن قانع حول تسمية سويقة ابي الورد ( ٨٧ ) والثانية عن محمد بن يحيى عن محمد بن موسى المنجم حول ارتفاع مدينة بغداد ( ٨٢ ) والثالثة نقلها المرزباني عن كتاب بخط عبدالله بن ابي سعد الوراق عن عبدالله بن محمد بن عياش التميمي عن جده عياش ، وهي عن حرس ابواب بغداد ( ٧٠ )

وترجم الخطيب للمرزباني ( ٢٩٦ - ٣٨٤ هـ ) وذكر انه « حدث عن ابي القاسم البغوي وابي حامد محمد بن هارون الحضرمي واحمد بن سليمان الطوسي وابي بكر بن دريد وابي

عبد الله نبطويه و ابى بكر الانباري ومن في طبقتهم بعدهم ؛ حدثنا عنه القاضيان ابو عبد الله الصيمري و ابو القاسم التنوخي .. كان صاحب اخبار ورواية للادب و صنف كتباً كثيرة في اخبار الشعراء المتقدمين و المحدثين على طبقاتهم و كتباً في الغزل و النوادر و غير ذلك ، و كان حسن الترتيب لما يجمعه ، غير أن اكثر كتبه لم تكن سماعاً له و كان يرويها اجازة ( ٦-١٣٥/٣ ) .

و قد خصص له ابن النديم ثلاث صفحات ، و وصفه بأنه « آخر من رأينا من الاخباريين المصنفين ، راوية صادق اللمحة و اسع المعرفة بالروايات » و يذكر انه عاش ما بين ٢٩٧-٣٧٨ و عدده له كتباً كثيرة في الشعراء و غيرها . و لا نعلم من اي الكتب اخذ الخطيب ما نقله عنه من نصوص عن بغداد .

نقل الخطيب عن عبيد الله بن احمد بن عثمان الصيرفي نصين ، احدهما نقله عبيد الله عن الحسن بن علي بن عمر الحافظ عن ابن دريد حول المخرم ( ٩٥ ) و الثاني نقله عبيد الله عن محمد بن عبد الله بن ايوب عن ابى العباس احمد بن عبد الله بن عمار الثقفي عن أبى ايوب ، وهو حول هدم المنصور دور الصحابة ( ٩٥ ) .

و قد ترجم الخطيب لعبيد الله فذكر انه عاش بين ٣٥٥ - ٤٣٥ هـ و انه روى عن كثيرين ، و كان احد المكثرين من الحديث كتابة و سماعاً و من المعنيين به و الجامعين له ( ٣٨٥/١٠ ) و لكنه لم يذكر له كتاباً .

نقل الخطيب روايات مفردة عن خطط بغداد الاولى دون ان نعرف مؤلفات اصحابها وهي :

(١) ابو عمر الحسن بن عثمان بن احمد القلو الواعظ عن جعفر بن محمد بن احمد بن الحكم الواسطي عن الفضل العباس بن احمد الحداد عن احمد البربري : وهي عن مساحة بغداد و نفقاتها ( ٦٩ ) .

(٢) أبو الفضل - أبو الطيب البراز - خاله قيم بدر غلام المعتضد : مساحنة بغداد (٦٩) .

(٣) محمد بن اسحق البغوي - رباح البناء : ابعاد المدينة المدورة (٧١) .

(٤) الحسين بن محمد المؤدب - ابراهيم بن علي الشطي - ابو اسحق الهجيمي - محمد بن القاسم - الربيع ! نفق بغداد (٧٧) وافتقاء الرومي لبغداد ٧٨ .

وقد اورد الخطيب في الصفحات التي خصصها للاخطط تسعة نصوص لا علاقة لمحتواها بخط بغداد ، وستة نصوص فيها شعر ؛ وروايتها وهم :

١ - ابو عبد الله احمد بن محمد بن عبد الله الكاتب عن ابن ميثم عن احمد بن عبيد الله ابن عمار عن محمد بن داود الجراح ( لم يمت فيها خليفة ٦٨ ) .

٢ - ابو الحسن محمد بن رزق البراز - جعفر الخلدي - الفضل بن محمد الدقاق - داود ابن جعفر بن شبيب بن رستم البخاري ( الاسعار زمن ابي جعفر ٧٠ ) .

٣ - الحسن بن ابي بكر - عثمان بن احمد الدقاق - الحسن بن سلام السواق - الفضل ابن دكين ( الاسعار في الكوفة ٧٠ ) .

٤ - الجاحظ ( احكام بناء بغداد ٧٧ ) .

٥ - الحسن بن ابي طالب - ابو عمر محمد بن العباس الخزاز - ابو عبد الله الناقد - محمد بن غالب - عبد الرحمن بن يونس - الواقدي ( ذم الكرخ ٨١ ) .

٦ - محمد بن الحسن الاهوازي - ابو احمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري - ابو العباس بن عمار - ابن ابي سعد احمد بن كلثوم ( نسب ابي دلالة ٨٦ ) .

٧ - ابو الفضل عيسى بن احمد بن عثمان الهمداني - ابو الحسن بن رزقويه - القاضي الجمالي ( مرور على بغداد ٩٠ ) .

٨ - ابو عبد الله الحسين بن علي الصيمري - احمد بن محمد بن علي الصيرفي - القاضي الجمالي ( مرور على ببغداد ٩٠ ) .

٩ - الوزير ابو القاسم علي بن الحسن بن المسلمة - الخليفة القائم - الخليفة القادر - زوجة المقتدر (زيارة رسول ملك الروم بغداد ١٠١) .

١٠ - محمد بن احمد بن مهدي الاسكاف (موت هيلانة ٩٩) .

اما النصوص المقصورة على رواية أبيات شعر تتعلق ببغداد فرواهاهم :

(١) الحسن بن بكر بن شاذان - أبيه - أبو عبد الله ابراهيم بن محمد بن عرفة (٨١) .

(٢) الحسن بن أبي بكر - أحمد بن كامل القاضي - محمد بن موسى - محمد بن أبي

السرى - الهيثم بن عدي (٨٢) .

(٣) أبو الحسين علي بن محمد بن عبد الله المعدل - عثمان بن أحمد الدقاق - محمد بن أحمد

ابن البراء - علي بن يقطين (٨٢) .

(٤) علي بن محمد بن عبد الله المعدل - الحسين بن صفوان البردعي - أبو بكر عبد الله

ابن محمد بن أبي الدنيا (٩٢) .

(٥) محمد بن أحمد بن رزق - عثمان بن أحمد الدقاق - محمد بن أحمد بن البراء - علي بن

أبي مريم (٨٦) .

(٦) أحمد بن أبي علي الاصهباني - أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد السكري

- محمد بن يحيى الصولي - الغلابي - محمد بن عبد الرحمن .

أما النصوص التي أورد فيها الخطيب معلومات من عنده فهي قليلة وأكثرها تعليقات

على مروياته من المصادر الأخرى وتشمل :

(١) تعليق على قول أحمد بن حنبل ان بغداد من الصراة الى باب التبن (٧١) وفيه

معلومات عن انحطاط بغداد في زمنه .

(٢) تسمية قصر المنصور الخلد وموضعه واندراسه في زمن المؤلف (٧٥) .

(٣) القنوات التي مدها المنصور في مدينته وفي الكرخ واندثارها في زمن

المؤلف (٧٩) .

(٤) عمارة طغرل بك دار المملكة (١٠٦) .

(٥) تعليقات قصيرة على تسميات بعض المحال وهي عسكر المهدي (٨٣) شيرويه (٨٤) العباسية (٩٥) وكذلك مناقشة بعض الآراء عن استهلاك بغداد لسويق في زمنه (١١٩) .  
(٦) اطراء بغداد (١١٩) .

(٧) مساجد الشيعة ببغداد (٨١ ، ٩٠) .

ويتبين من هذا ان النصوص التي أضافها الخطيب من عنده قليلة جداً نسبياً ، وهي تعكس انحطاط بغداد في زمنه ، فهي تكمل نصوص هلال بن الحسن الصابي ، كما ان هذه النصوص توضح اتجاهه العقائدي .

أما بقية المادة التي أوردتها فقد اعتمد فيها على رواة متعددين أغلبهم عاشوا في القرن الرابع الهجري ، أي في الفترة التي وصلت فيها بغداد الى أوج العمران ، ولم يذكر الخطيب كتب الرواة الذين اعتمد عليهم ، ونسبة ما نقل مما أهمل ، ومبرره في نقل بعض النصوص وإهمال البعض الآخر كما ان ذكره السند كاملاً يسبب ارباك الباحث الذي يريد معرفة المصدر المسؤول عن الخبر . ومن حيث العموم فان أغلب ما روى يتعلق بوضع بغداد أيام تأسيسها أما النصوص التي تمثل الفترة المتأخرة فهي قليلة نسبياً ، ولا يستطيع المرء أن يحصل على فكرة واضحة مما كتبه عن تطور خطط بغداد بصورة شاملة .

لم يعتمد الخطيب على الكتب المشهورة عندنا كالطبري واليعقوبي ، فلم يشر إلى الاول إلا مرة واحدة (٦٦) أما الثاني فقد نقل عنه نصين دون أن يشير إلى اسمه . وعلى كل فان الخطيب استوعب المادة المهمة الموجودة في الطبري ، كما استوعب ما أورده سهراب عن أنهار بغداد ، ولكنه لم يستوعب ما كتبه اليعقوبي عنها ، هذا فضلاً عن أنه أورد نصوصاً من كتب مفقودة لها أهمية كبيرة لأنها غير موجودة في الكتب المتداولة عندنا . وبهذا يكتب الخطيب أهمية الخاصة من حيث تعريفنا بعلماء أو كتب بحثت خطط بغداد،

ونقله عنها نصوصاً نموذجية لها قيمتها الخاصة في دراسة خطط بغداد . وان تشابه المادة في بعض ما ورد مع المادة الموجودة في بعض الكتب كالطبري وابن سرايون يفيد في تدقيق طبع هذه الكتب وتصحيحها ، اما المادة الجديدة فتبقى ذات أهمية خاصة لدراسة خطط بغداد تكمل المادة التي قدمها اليعقوبي وخاصة عن وضع المدينة في أوائل عهد تأسيسها .

\* \* \*

خصص ابن الفقيه الهمداني لبغداد وخطتها اربعين صحيفة ( ٢٩ - ٦٩ ) من كتابه «البلدان» ، وهذه الصفحات موجودة في مخطوطة محفوظة بمشهد الرضا ويفتقدتها المختصر المطبوع من الكتاب . وقد بحث الهمداني اشتقاق اسم بغداد وتأسيسها وخطتها وخصائصها وسكانها بالتفصيل ؛ وقد ذكر مصادر عن بعض ما نقل ، ولكنه أغفل مصادر كثير مما نقل . غير اننا إذا قارنا ما ذكره بما ورد في الكتب الاخرى نستطيع معرفة كثير من المصادر التي اغفلها وتمكن من تقييم المعلومات التي أوردها عن بغداد . وسنصنف فيما يلي مادته تبعاً لمصادرها وليس تبعاً لتسلسل كتابتها في المخطوطة .

١ - لقد أشار بصراحة الى نقله عن احمد بن أبي طاهر نصاً عن مساحة بغداد ، وعن يزدجرد ابن مهندار في ذم مصر ومقارنتها ببغداد ، وعن أحمد بن الطيب السرخسي عن سعة بغداد وفطنة أهلها .

٢ - وأورد في القسم الاخير من كلامه عن بغداد صفحات كثيرة لم يشر إلى مصدره وفيها معلومات لم نستطع معرفة أصولها ، وهي تتناول وصف بغداد وخصائصها . وكذلك اشعار في مدح بغداد والشوق اليها ؛ مع ذكر أسماء بعض ناظميها ومنهم الحسن ابن أبي الرعد ، وهرودن الرشيد ، وعبيد الله بن عبد الله بن طاهر . وقد ذكر هذه المعلومات بعد النص المنقول عن ابن أبي طاهر ، مما قد يدل على انه نقلها منه .

كما أورد كلاماً طويلاً عن مقارنة بغداد بمصر ، وهذا الكلام مذكور بعد النص المنقول عن يزدجرد بن مهندار مما قد يدل على انه أخذها عن يزدجرد .

وبحث أيضاً عن تجارة بغداد مع الشرق الأقصى عن طريق الأبله ، ومع الموصل ، ومع خراسان وأهمية موقعها كعاصمة للدولة .

كما بحث في تقدير عدد سكانها مستنبطاً ذلك من طول سورها ، وحماماتها ، وجوامعها ، وعدد بيوتها ، وما تستهلكه من دهن للاضاءة ، ومن الفواكه والخضرات ، والمواد العطارية ، واللحوم ، والحنطة ، وجباية الجوالي ومسكوكات الدراهم . ومعظم هذه المواضيع بحثها يزيدجرد بن مهمندار علي ما يذكر صاحب كشف الظنون ( ٢٨٨/١ ) كما أشرنا الى ذلك من قبل . ولعل الهمداني نقلها من يزيدجرد رغم انه ينص على ذلك صراحة .

٣ — ان مقداراً كبيراً من المعلومات التي أوردتها الهمداني عن بغداد يمكن معرفة أصولها عند مقارنتها بما ورد في المصادر الاخرى ، وهذه الأصول هي :

١ — البلاذري : فقد نقل الهمداني كل ما جاء في باب « أمر مدينة السلام » من فتوح البلدان غير ان الهمداني قسم هذه المادة قسمين ، وضع القسم الأول منها ( المذكور في ص ٢٩٤ من البلاذري ) في أوائل مقاله ، ووضع الباقي ( المذكور في ص ٢٩٤ — ٢٩٧ من البلاذري ) في أواخر مقاله منسوباً الى ابن الكلابي ، الذي يصرح البلاذري بانه اقتبس هذه المعلومات منه ، ويبدو ان الهمداني أخذ من فتوح البلدان أيضاً خبر إغارة المثنى على سوق بغداد .

ومع ان الهمداني نقل حرفياً عن البلاذري ، إلا أنه أغفل ما ذكره البلاذري عن الصالحية ، واقطاع كل من سليمان بن مجالد ، والمهمل ، وسبيل ، كما ان يختلف عن النسخة المتداولة من البلاذري في قراءة بعض الكلمات .

ب — نصوص محمد بن خلف وكيع التي أوردتها الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد .

١ — نقل الهمداني ما رواه الخطيب عن محمد بن خلف وكيع فيما يتعلق بخط الجانب الشرقي من بغداد ، وقد حافظ النقل على المادة المذكورة وترتيب عرضها . غير انه حذف ما ذكره وكيع عن قنطرة البردان ، وشارع عبد الصمد ، وخان أبي زياد ، وأورد معلومات

إضافية لم يذكرها الخطيب فيما رواه عن وكيع عن شارع الميدان ، ودار الربيع ، وقصر  
الطين ، وخان وردان ، وبعض أنهار شرقي بغداد ، وتفاصيل إضافية عن طاق السما ،  
وقصر أم حبيب ، وسوق العطش ، ودار ورج ، كما أورد عن بيع السويق ببغداد معلومات  
تختلف عما ذكره الخطيب .

٢ — نقل الهمداني كثيراً من المعلومات التي أوردها الخطيب عن وكيع في فصله عن  
« محال مدينة السلام وطاقاتها .. » . وكثيراً ما كان النقل حرفياً ، غير أن الهمداني لم  
يتبع نفس التسلسل الذي اتبعه وكيع ، بل قدم بعض النصوص وأخر بعضها ، ولكنه  
على تسلسل ذكر بعض الأماكن .

كما أن الهمداني لم يذكر ما رواه الخطيب عن وكيع حول ربهض أبي أيوب الخوزي  
ومربعة أبي قرة ، وربض إبراهيم بن حميد ، وعبد الملك بن حميد ، وحميد بن أبي الحارث  
وعمر بن المهلب ، وإبراهيم بن عثمان بن نهيك ، ومنارة حميد الطوسي ، وكثير من  
المعلومات عن دور الصحابة ، وأبي دلامة ، ودار عمرو بن مسعدة ، ودار صالح المسكين ،  
وأبي يزيد الشروي ، وسكة مهلهل ، وصحراء أبي السري ، وقطيعة اسحق بن الأزرق  
الشروي ، وقطيعة الربيع ، وقطيعة الانصار ، وقطيعة الكلاب ، وسكك المدينة المدورة ،  
والزيدية ، ودور بني نهيك ، ودرب جميل ، ومسجد الانباريين ، والياسرية ، وقطيعة  
خزيمة ، ودار اسحق بن إبراهيم . وكذلك عن ايوان المنصور ، والقبة الخضراء ، ومنفذ  
المنصور السري ، والموكلون بالأبواب ، كما قدم الخطيب تفاصيل أوفى عن الطاقات .

وذكر الهمداني معلومات غير موجودة في الخطيب عن ربهض الحربية ، والمرآزة ،  
وعتيك بن هلال ، وأبي العباس الطوسي ، ودار البطيخ ، وقطيعة عقبة بن جعفر ، وقصر  
الوضاح ، والمسجد الكبير ، والقرار ، ومربعة الفضل بن سليمان ، ودرب البخارية ، وربض  
عمرو بن اسفنديار ، وربض رشيد ، وربض عبد بن حميد ، وقطائع الموالي ، والسرخسية ،

وطاقت الراوندي، ودار عمارة، وربض ابي حنيفة، وقصر هانيء بن بشير، ودويرة مبارك وربض الخوارزمية، وربض سعيد بن حميد بن دعلج، ومنارة الحكم بن ميمون، وبعض التفاصيل عن العباسية، والنوبختية، ودرب الناووس.

٣ - ذكر الهمداني في اول فصله عن بغداد اصل تسميتها، وبحث المنصور عن مكان لانشاء عاصمته، وموقف اهل الكوفة وصفة المدينة المدورة، وابوابها واسوارها، وابعادها، ومخططيها، وحجم اللبن، ومحاولة هدم القصر الابيض، وقصة البطريق والاسواق، وعيوب المدينة المدورة، وبناء الرصافة، وتكاليف البناء، وطالع النجوم، والموكلون بالبناء، والقرى التي كانت في موقع بغداد وهي المباركة والترابية، والخطابية وقرية بنو زراري والوردانية والشرفانية وما وري، وموضع بركة زلزل، واقطاع الربيع وورثالا، ونهر طابق، وبراثا، ونهر كرخايا.

ان هذه المعلومات وردت في الطبري، وفي ما رواه الخطيب عن وكيع بنفس التسلسل تقريباً. ومع ان وكيع نقل عن شيوخ الطبري، الا انه لم يشر الى نقله عن الطبري، فاذا اعتبرنا ان الطبري ووكيع مصدران مستقلان، فمن الصعب ان نجزم في ايها اخذ الهمداني.

لقد ذكر الهمداني بحث المنصور عن مكان لعاصمته، وافساد اهل الكوفة جند المنصور، ونصيحة خالد البرمكي للمنصور الا يهدم القصر الابيض، وتمزق طيلسان الدهقان والخطابية. وهي معلومات ذكرها الطبري ولم يذكرها الخطيب فيما نقل عن وكيع غير ان الهمداني ذكر اشتقاق اسم بغداد، وورثالا، وبراثا وكرخايا والترابية كما وردت عند الخطيب وهي غير مذكورة في الطبري؛

اما المعلومات التي عن خصائص المدينة المدورة، وابعادها، وابوابها وواضع تخطيط المسجد الجامع، ووزن اللبن، وقصر البطريق والاسواق وعيوب المدينة المدورة وانشاء الكرخ، وانشاء الرصافة، والتكاليف، والقرى التي كانت في موقع بغداد، ونهر طابق، فهي

موجودة في كلا الكتابين الامر الذي يجعل البت صعباً في تقرير اي المصدرين اعتمده الهمداني .  
ومن حيث العموم فان الهمداني اورد كافة ما ذكره الطبري تقريباً ، مع حذف بعض  
الروايات المتعددة عن الامر الواحد ، وكذلك خبر انحراف قبلة جامع المنصور وسير عيسى بن  
علي محمولاً ، وثورة ابي زكريا المحتسب ، وطريق المنصور السري ، وتفاصيل تكاليف البناء .  
كما ان الهمداني اورد المعلومات التي اوردتها الخطيب ( وقد ذكر الخطيب بعض القرى  
التي كانت في موضع بغداد في ص ٢٢ ) ولكنه اضاف خبر تجار الصين وان اسم مدينة  
السلام هو الذي يذكر في السكة والاشربة والغلات ، كما اختصر بعض الروايات المتكررة  
عن بغداد . ولما كان وصف الخطيب خطط بغداد مأخوذاً من وكيع فالراجح ان الهمداني  
نقل عن وكيع الذي ربما اعتمد بدوره على الطبري وادخل مادته في بحثه ثم اضاف اليه .  
ونحنتم مقالنا هذا بالاشارة الى ما كتبه ابن عقيل عن بغداد في عصره الذي يعقب  
الخطيب . ان نص ابن عقيل نقله صاحب كتاب مناقب بغداد الذي نشره الاستاذ بهجت  
الاثري . وقد ترجم هذا النص وعلق عليه وحلله الاستاذ جورج مقدسي في مقالين  
نشرهما في مجلة Arabica سنة ١٩٦٣ .

صالح أحمد العلي

سبع لآل عمارة

نبذة عن :

# جابر بن حيان

أبو بكر فاضل الطائي

لقد احتل اسم ابن حيان مكانة مرموقة بين أسماء من اشتغل بالعلوم - سيما علم الكيمياء - لم يتسنى لغيره الوصول إليها طوال القرون المحصورة بين الثامن والسابع عشر لآ في مشرق الأرض ولا مغربها ، نظراً لكثرة ما ألف من رسائل وكتب في مواضيع علمية مختلفة وغيرها ، وللمهارة التجريبية التي امتاز بها عن سواه . ولا بد لي في هذا المجال ان اتطرق الى مفهوم الكيمياء قديماً وكيف تطور على مر السنين وانتهى الى ما نقممه في الوقت الحاضر .

لقد كانت الكيمياء قديماً صناعة يحرص محترفوها على كتمان سرها باحاطتهم اياها بهالة من الغموض والسحر ولعل أول من ابتدأ بالعناية بالكيمياء هم المصريون والعرب والفينيقيون واليهود واليونان والرومان ، وقد اختلف المؤرخون في اصل كلمة « كيميا » فمنهم من يقول بأنها اشتقت من لفظة « شمي » ومعناها الحرق او الأرض السوداء ، وقد قرن البعض الأرض السوداء بمصر حيث عرفت مصر بالأرض السوداء قديماً واستطرد بالقول حتى عبر عن الكيمياء بأنها « الصناعة المصرية <sup>(١)</sup> » ويرى غيرهم ان لفظة الكيمياء قد حوّرت عن اللغة العبرية للفظ « شامان » وتعني السر او الغموض . ومما يكن

الاختلاف في اصل الكلمة واشتقاقها فهو لا يغير من الواقع شيئاً اذ أن مصر اشتهرت بهذه الصناعة قبل غيرها وكانت الكيمياء علماً او صناعة سرية وفقاً على الكهنة والروحانيين القدماء حتى أن المعامل والمختبرات قد بنيت داخل المعابد واديرة الكهنة منذ دخول الاسكندرانيين الى مصر .

لقد قصد بالكيمياء قديماً عمل الذهب والفضة بالصناعة كما فعل ذلك ابن خلدون في مقدمته ، ولكن يظهر لنا مما كتبه الشيخ الرئيس ابن سينا ان الناس كانوا في عهده على رأيين من حيث موضوع الكيمياء ، الواحد عمل الذهب والفضة بالصناعة والثاني صبغ النحاس بصبغ الفضة وصبغ الفضة بصبغ الذهب لا غير ، والظاهر ان فكرة الصبغ لم تكن مألوفة في اوربا لذا فانهم ذهبوا الى ما ذهب اليه ابن خلدون في مقدمته ، الا أن آرثر جون هوبكنز<sup>(٢)</sup> قد اثبت بالادلة التاريخية والعلمية ان مراد الكيمياء والقدماء كان الصبغ لا التحويل حيث قال « ان اقدم كتابة لدينا في الكيمياء انقرطاس المصري المحفوظ في مدينة ليندن وقد كتب قبل الكتابات المنسوبة الى ديموقريطس وزوسيموس وسنسيوس . والوصفات المنسوبة الى ديموقريطس مشمولة بمباحث فلسفية ووصفات زوسيموس وسنسيوس موضوعات بكلام مبهم يعسر فهمه<sup>(\*)</sup> » ويستطرد الاستاذ هوبكنز فيقول لما قام الامبراطور ويوقلتياتوس امر سنة ٢٩٠ للبلاد بنفي اهل الكيمياء كي لا يفتنوا بصناعتهم فيتمكنوا من الخروج عليه .

وهكذا اختلف الناس قديماً في مفهوم الكيمياء فهم من آمن بصنع الفضة والذهب من المعادن البخرسة ومنهم من ارتضى بتغيير لون النحاس الى لون الفضة والاخيرة الى لون الذهب . قال جحى خليفة في كشف الظنون نقلاً عن الصفدي ان الناس في علم الكيمياء على طريقتين<sup>(٣)</sup> فقال كثير بطلانة منهم الشيخ الرئيس ابن سينا بمقدمات من كتاب

(\*) توفي ديموقريطس سنة ٣٥٧ ق . م . وهو فيلسوف يوناني وياتي بالفيلسوف الضاحك

وزوسيموس مؤرخ يوناني نشأ في النصف الاول من القرن الخامس الميلادي وسنسيوس فيلسوف فيرواني

يوناني توفي نحو سنة ٤٣٠ للميلاد

الشفاء<sup>(٤)</sup> ، والشيخ تقي الدين احمد بن تيمية صنف رسالة في انكاره ، وصنف يعقوب الكندي ايضاً رسالة في ابطاله ، كذلك غيرهم ولكنهم لم يوردوا شيئاً يفيد الظن لامتناعه فضلا عن اليقين . وذهب آخرون الى امكانه ، منهم الامام نجر الدين الرازي فانه في المباحث المشرقية عقد فصلا في امكانه ، والشيخ نجم الدين بن البغدادي رد على الشيخ ابن تيمية وزيف ما قلناه في رسالته ، ومؤيد الدين الطبراني صنف فيه كتاباً منها حقائق الشهادات وبين اثباته والرد على ابن سينا .

وقال الامام شمس الدين محمد بن ابراهيم الانصاري : « اذا اراد المدبر ان يصنع ذهباً نظير ما صنعتها الطبيعة من الزئبق والكبريت الطاهرين فيحتاج الى اربعة اشياء ، كمية كل واحد من ذينك الجزئين ، وكيفيته ، ومقدار الحرارة الفاعلة للطبخ ، وزمانه . وكل واحد منها عسر التحصيل . واما اذا اراد ذلك بأن يدبر دواءً وهو المعبر عنه بالاكسير مثلاً ويلقيه على الفضة ليمزج بها ويستقر خالداً فيها ويكسوها لون الذهب ووزانته<sup>(٥)</sup> ، فاستخراج ذلك بالتجربة يحتاج الى استقرار حال جميع المعدنيات وخواصها . وان استخراجها بالقياس فقدماته مجبولة ولا خفاء في عسر ذلك ومشتبه » .

وقد كان جابر بن حيان ممن آمن بتحويل العناصر البخسة الى ذهب . ولكنه غالى في ذكاء من يتمكن من الحصول على الاكسير<sup>(٥)</sup> وقد قال : « على الانسان الطالب لهذا الامر ان يكون ذكياً لأن هذه الصناعة تحتاج الى حجاج وبراهين على اثباتها وكونها على غايتها وآياتها وكميتها ليكون الداخل فيها داخلاً على بصيرة من حاله ويقين من امره ليعلم الفصول والآثار الظاهرة فيكون سلوكه على يقين وعلم قاطع ولا يكون كمن يسلك في ظلماء ويخبط في عشواء فان هذه الصناعة ليست كائنة بالبحث ولا كيف جاء واتقن لكن انما يكون لذي الرأي الصحيح والقياس الواجب والدرس الدائم للعلم الحق الواضح . الخ<sup>(٦)</sup> . وهكذا اتسم الدور الاول للكيمياء بالمحاولات المضنية في صناعة الذهب من العناصر

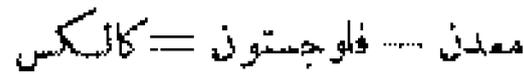
(\*) المقصود بالوزانته هو « الوزن النوعي » .

الزهيدة الثمن إضافة الى صبغ المعادن وكسائها بما يشبه الذهب أو الفضة وبذلك قسدت  
نشطت عملية التعدين وصنع السبائك ، وعرف الكثير عن خواص المعادن ، وقد بدأ  
اليونانيون التقدم ، بهذه الفكرة أو الصناعة « واعتقد فلاسفتهم بأن المواد على اختلاف  
انواعها تتألف من اربعة عناصر اساسية هي الماء والهواء والنار والتراب ، وتختلف المادة  
عن غيرها في احتوائها على نسب متباينة من العناصر الاربعة وكيفية اتحاد بعضها مع  
البعض الآخر ، وقد آمن بهذا الرأي عدد كبير من رجال الفلسفة والكيمياء آنذاك ،  
وكان حرياً بمن اعتقد بهذه الفكرة ان يحاول صنع الذهب من المعادن الاخرى وذلك  
بالتحري عن الطرائق التي تؤدي الى تغيير نسب العناصر الاربعة في معدن ما وجعلها على  
ما هي عليه في الذهب . غير أن ارسطو اُضاف عنصراً خامساً للعناصر الاربعة التي مر  
ذكرها ووصف هذا العنصر بأنه الثيري في طبيعته وربما جاء بهذا العنصر الوهمي بتأثره  
بالفلسفة الهندية . ونقل الفارابي تعليلاً ارسطو في اثبات التحول وهو « ان الفلزات  
واحدة بالنوع والاختلاف الذي بينها ليس في ماهيتها وانما هو في اعراضها فبعضه في  
اعراضها الذاتية وبعضها في اعراضها العرضية . وكل شيئين من نوع واحد اختلفا بعرض  
فانه يمكن انتقال واحد منها الى الآخر فان كان العرض ذاتياً عسراً الانتقال وان كان  
مفارقاً سهلاً الانتقال . والعسر في هذه الصناعة انما هو لاختلاف اكثر هذه الجواهر  
في اعراضها الذاتية ويشبه ان يكون الاختلاف الذي بين الذهب والفضة يسيراً جداً » .

وقد اعقب هذا الدور دور كانت فيه الكيمياء وفقاً على الامور الطبية لحسب ، وكان  
غرض رجال الكيمياء تحضير العقاقير والادوية لشفاء المرضى وهكذا نجح بعضهم في  
تحضير كثير من المركبات ، إضافة الى ما استخلص منها من النباتات . يعتقد البعض بأن  
هذا الدور قد ابتدأ في اواسط القرن السادس عشر وانتهى في منتصف القرن السابع  
عشر<sup>(٧)</sup> ، والحقيقة ان اصحاب هذا الرأي قد استقوا معلوماتهم عن طريق المصادر الغربية  
للنهضة الاوربية دون الرجوع الى التراث العربي والافاق قولهم في الادوية والعقاقير التي

حضرها كل من ابن سينا والرازي وجابر بن حيان وبلغ الاخير الذروة في النصف الثاني من القرن الثامن<sup>(٩)</sup>، وقد اشتغل جابر في صناعة الذهب وفي تحضير الادوية والعقاقير معاً وألّف فيها عدداً كبيراً من الكتب ، واثق المصادر تشير الى انه ألّف أكثر من مائة واحد عشر كتاباً<sup>(١٠)</sup> وقد قيل خمسمائة<sup>(١١)</sup> وذكر ابن النديم في الفهرست أكثر من هذا العدد<sup>(١٢)</sup> .

ويبدأ الدور الثالث لعلم الكيمياء في النصف الثاني من القرن السابع عشر ، وبرز ما في هذا الدور نظرية الفلوجستون التي تقدم بها بيخر ( Becher ) عام ١٦٦٧ م رداً على ما أورده جابر بن حيان عام ٧٧٦ م تقريباً ، اذ كتب جابر بأن جميع المواد المشتعلة تحتوي على عنصر الاشتعال ووصف هذا العنصر بأنه صورة من صور الكبريت ، بينما اشار بيخر الى كثير من المواد القابلة للاشتعال والتي تشتمل فعلاً دون ان يكون عنصر الكبريت موجوداً فيها واستبدل الكبريت بعنصر موهوم اسماء ( Terra Pinguis ) ثم تلاه شتال ( Stahl ) ( ١٦٦٠ - ١٧٢١ م ) فطور فكرة بيخر واسمى العنصر الموهوم بالفلوجستون والذي يعني في اللغة اليونانية « أنا اشعل النار » . وعلى ضوء هذه النظرية يكون تحول المعدن الى ما سموه بالكالكس<sup>(١٣)</sup> ( اوكسيد الفلز ) نتيجة لفقدان الفلوجستون . وقد عبر عنها بهذه المعادلة البسيطة .



وهكذا اعتقد اصحاب هذه النظرية انه باستطاعتهم اعادة الكالكس الى المعدن اذا ما ادخل في الاخير الفلوجستون . ولما كان الفحم يحترق بسهولة ولا يترك الا قليلا من الرماد وجب ان يكون الفحم غنياً بالفلوجستون فاذا ما عومل الكالكس بالفحم وسخنا سوية اتحد الكالكس بشيء من فلوجستون الفحم وعاد معدناً الى اصله . وبالرغم من الاخطاء الكثيرة والفرضيات الموهومة في هذه النظرية الا انها كانت مقنعة في التعدين والحصول على الفلزات ( للمعادن ) من اوكسيدات الموجودة في الطبيعة ، وقد اثنى الاستاذ ميلر<sup>(١٤)</sup>

( \* ) يعتبر الكالكس في الكيمياء الحديثة اوكسيد الفلز ، اذ انه ينتج من تسخين المعدن في الهواء .

على هذه النظرية حيث يقول ما معناه ان السخريه من هذه النظرية او ممن اعتقد بها امر غير عادل اذ انها مثلث اكمل تعميم معروف في زمانها ، وتحت تأثيرها خطت الكيمياء خطوات كبيرة وتقدمت تقدماً محسوساً ، وعلى كل فقد اخفقت هذه النظرية عند ما تعرضت للتجربة العملية من حيث الوزن ، كما ان لافوازيه ١٧٢٤ م قد اكتشف صفات الاوكسجين واثبت بأنه ضروري للاشتمال . وقد اتضح بعد ذلك بأن المعدن لا يفقد شيئاً عند ما يتحول الى الاوكسيد (الكالكس) ، بل على التقيض من ذلك فانه يتحد بالواوكسجين بنسبة او نسب معينة ، ويزداد وزناً .

ويبدأ الدور الرابع لعلم الكيمياء او الكيمياء الحديثة في اواخر القرن الثامن عشر حيث ازداد عدد المركبات الكيمياءوية زيادة كبيرة ، وبرز في هذا الدور العالم السويدي شيلي (١٧٤٢ - ١٧٨٦ م) الذي اكتشف عنصر الاوكسجين قبل الكيمياءوي بريستي لي عامين الا ان تلكه في نشر ما حصل اليه قد خص بريستي بشرف اكتشافه . وقد اتسم هذا الدور بالتجارب العملية العملية ، ودراسة خواص المركبات بعد عزلها عن الشوائب وتعيين ثوابتها الطبيعية . ولم تفض مدة طويلة على فشل شيلي في الحصول على مركز المكتشف لغاز الاوكسجين حتى باغت معاصريه بسلسلة من المكتشفات وتحضير عدد كبير من المركبات الجب جديدة ، ومن مختلف الانواع من بينها عنصر الكاور ، وحامض الهيدروكلوريك ، وحامض اللبن (اللاكتيك) والواوكساليك ، وحامض الليمون (الستريك) وغسيراها . وبالرغم من ان بريستي قد اكتشف الاوكسجين واتصل بالعالم الفرنسي لافوازيه وعرف الكثير عن خواص الاوكسجين وحضر بعض المركبات والاحماض مثل كاوريد الهيدروجين واوكسيد النتريك وحامض النتروز وغاز الامونيا وغيرها الا انه بقي على ايمانه بنظرية الفلوجستون حتى فارق الحياة . ولم ينصرم القرن الثامن عشر حتى قام عملاق الكيمياء في ذلك العصر لافوازيه بتحضير عدد هائل من المركبات واكتشف مكونات الهواء ودرس خواص الاوكسجين الكيمياءوية وقضى بذلك نهائياً على نظرية الفلوجستون بتجاربه العملية

التي لا يتطرق إليها الشك ولا يكتنفها الغموض ودرس خواص الغازات دراسة علمية مضبوطة ، واخذ علم الكيمياء يسير بسرعة هائلة بعد هذه المكتشفات وازداد عدد الكيميائيين زيادة مطردة واكتشفت مكونات الذرة وقوانين اتحاد الذرات بعضها ببعض الآخر في تكوين الجزيئات وبدأت الصناعة الكيميائية وشيدت المعامل والمختبرات الكثيرة واستمر عهد الكيمياء الحديثة التي تناولت الاتحادات الكيميائية وبرزت الكيمياء العضوية والتحليلية وغيرها من فروع الكيمياء الا أن جميع هذه التفاعلات تعتمد على النظام الالكتروني للذرات في الاتحاد والتحلل ولا تمس نوى الذرات من قريب او بعيد ، واستمر الحال كذلك حتى عام 1911 م حيث وجدت العلاقة بين الطاقة والمادة وظل عهد الكيمياء النووية .

لقد اوجد انشتاين العلاقة بين المادة والطاقة ، بل وعرف ان المادة صورة من صور الطاقة كما في المعادلة الآتية :

$$E = mc^2 \quad (\text{الطاقة} = \text{المادة} \times \text{مربع سرعة الضوء})$$

حيث يدل ( E ) على كمية الطاقة و ( m ) كمية المادة و ( c ) سرعة الضوء ، ويتضح من هذه المعادلة البسيطة ان كمية قليلة من المادة تتحول الى كمية هائلة من الطاقة ، وكانت هذه المعادلة مفتاح الطاقة النووية ، ونقطة تحول في نهج الكيمياء . اذ أن علم الكيمياء يبحث في دراسة المادة وتركيبها وتحليلها وخواصها وتفاعلاتها وتركيب الذرات والجزيئات دون الالتفات الى الطاقة التي تركت لعلم الفيزياء فحسب ، الا أن التحول الذي حصل في القرن العشرين والنظرة الى المادة باعتبارها صورة من صور الطاقة قد قرب بين علمي الكيمياء والفيزياء ، بل ان المختص في الكيمياء النووية لا يختلف كثيراً عن المختص بالفيزياء الذرية . وسيضم الفرق بين علمي الكيمياء والفيزياء على مر الزمن وكلما تقدم العصر الذري الذي نعيش فيه . ويمتاز هذا العصر بالنظرة الى نوى الذرات والافادة من الطاقة الهائلة الكامنة فيها ، ويمكننا بحق ان نطلق على هذا الدور لعلم الكيمياء « بالعصر

النووي . هذا وأشار الأستاذ رايشباخ<sup>(١٤)</sup> عندما ذكر في كتابه « الكون والذرة » عام ١٩٢٤ م بأن يسأل الله ان لا يتيح للبشر معرفة طرائق تحويل المادة الى طاقة الا بعد ان يصلوا الى مرحلة من الخلق تجعل استخدام الطاقة النووية الهائلة في مصلحة الانسان وليس لدماره . ومن المؤسف ان يبدأ العصر النووي باستخدام هذه الطاقة في القنابل الذرية اول الامر كما ان مقدار ما تحول من المادة الى طاقة في القنبلتين القويتين اللتين اقيمتا على هيروشيما وناجازاكي في اواخر الحرب العالمية الثانية لم يكن الا جزءاً ضئيلاً جداً ولو تحول عشر وزن ذينك القنبلتين الى طاقة لكان دمارها اكثر مما عملنا بالف مرة على الاقل . وعلينا ان نتفائل من هذا العصر وما سيأتي به من فائدة الى الانسانية رغم بدايته السيئة ، اذ لو استعملت القوة الكهربائية في بدء اكتشافها في الكرسي الكهربائي لنظرنا اليها نظرتنا الى الطاقة النووية .

وبعد ان استعرضنا ادوار علم الكيمياء الاربعة كما يصنفها الغربيون واضفنا الدور الخامس « العصر النووي » فعلينا الآن ان نرى اين يقع مكان جابر بن حيان وفي اي دور من الادوار الاربعة الالفة الذكر ، وقبل الغوض في عباب بحث جابر وعلمه لا بد وأن نتبين حقيقته ونشأته .

من هو جابر بن حيان :

تذكر دائرة المعارف البريطانية<sup>(١٥)</sup> أنه أبو موسى جابر بن حيان ويسود الاعتقاد وفق الأدلة على أنه من قبيلة أزد<sup>(١٦)</sup> القبيلة العربية التي قطنت جنوب الجزيرة العربية واستوطن بعضهم الكوفة بعد أن تهدم سد مأرب ، وقد أيدت ذلك دائرة المعارف الاسلامية<sup>(١٧)</sup> حيث ذكرت بأنه أبو موسى جابر بن حيان الأزدي صاحب كيمياء عربي مشهور . واسم أبيه عبد الله الكوفي<sup>(١٨)</sup> ويذكر ميل<sup>(١٩)</sup> عند كتابته عن جابر ان العرب حاذقون في التجارب ، ويشير الأستاذ سارتون<sup>(٢٠)</sup> في كتابه « مقدمة في تاريخ العلم » عند التطرق الى كيمياء العرب « يظهر ان جابر بن حيان خبرة تجريبية جيدة في عدد من الحقائق

الكيمياء « . وذكرت الموسوعة الدولية<sup>(٢٠)</sup> أن جابر بن حيان كيميائي عربي مشهور في القرن الثامن للميلاد وكتبه ذات التأثير الكبير الواسع وتمتبر من أول المؤلفات في المعادن والتي نقلت الى أوروبا مثل نظرية تحضير المعادن من عنصرى الزئبق والكبريت ، ووصف لتحضير الحوامض المعدنية . وبقيت هذه الكتب نصوصاً كيميائية لأجيال عديدة . وهكذا تدل أكثر المصادر على ان جابراً عربى الأصل والثقافة ولم نجد من بين المصادر الموثوقة ما يشير الى انه فارسي أو يوناني الأصل<sup>(٢١)</sup> .

ولد جابر بن حيان بن عبد الله الأزدي في مدينة طوس عام ٧٢١ م . وكان والده من أقرباى الكوفة ومن المخلصين للدعوة العباسية فهاجر الى طوس ليكون من دعاة العباسيين هناك فشرع به عمال الدولة الأموية فألقي القبض عليه وحكم عليه بالأعدام . أما جابر فقد أرسل الى البلاد العربية وتعلم أول الأمر على يد حربي الحميري ثم تأثر بأراء الإمام جعفر الصادق ودرس بعض العلوم الدينية عنه . ثم دخل مدخل الصوفيين ومال الى الصوفية وثقب بها لذلك<sup>(٢٢)</sup> و<sup>(٢٣)</sup> . وكان صديقاً مقرباً للبرامكة الذين تسلموا مناصب وزارية في عهد هارون الرشيد وقد عاصر جعفر بن يحيى البرمكي . وعند ما اغتاز الرشيد من البرامكة وبطش بهم فرّ جابر بن حيان الى الكوفة وعاش متسترأ فيها . ولم يُعثر على أثر لجابر في الكوفة إلا بعد قرنين من وفاته . على أثر عمليات بناء في إحدى مناطق الكوفة المعروفة باب دمشق . وقد ذكرت بعض المصادر أنه عاصر المأمون فترة<sup>(٢٤)</sup> و<sup>(٢٥)</sup> . ويذهب بعض المؤرخين إلى أن جابر قد قصد جعفر الصادق في كتاباته وليس جعفر البرمكي والحقيقة ان النصوص التي بين أيدينا تشير إلى أنه اتصل بكليهما وكان يشير إلى الإمام جعفر الصادق بسيدى جعفر<sup>(٢٦)</sup> وعند ما يذكر جعفر البرمكي أو أباه يحيى فيدعوها بجعفر ويحيى<sup>(٢٧)</sup> و<sup>(٢٨)</sup> . فلقد ذكر جابر في كتاب الرحمة<sup>(٢٩)</sup> الإمام جعفر الصادق أكثر من مرة حيث نعتة بسيدى جعفر أو كما ذكره في كتاب المقابلة والمائلة بسيدى جعفر بن محمد عليه السلام<sup>(٣٠)</sup> ولم يكن جابر بن حيان اسطورة خيالية حتى أنكر وجوده بعض الكتاب<sup>(٣١)</sup> .

والحقيقة ان جابر بن حيان قد عاش في الكوفة مدة طويلة بعد مقتل جعفر البرمكي وقد ذكر الجلدكي<sup>(٣٢)</sup> في نهاية الطلب ان أبا الربيع سليمان بن موسى بن أبي هشام عن أبيه موسى في صدر كتاب (الرحمة) لجابر ، « لما توفي جابر بطوس سنة المائتين من الهجرة وجد هذا الكتاب تحت رأسه » . وكتاب الرحمة من بين الكتب القلائل التي ألغها جابر وأجمعت المصادر الغربية والعربية من أنها له . لا بد وان جابر قد تستر بالعيش في مدن عديدة عرف أهلها أو بعضهم بالعطف على البرامكة وربما عاش فترة طويلة في الكوفة بعد نكبة البرامكة ثم غادرها في أواخر أيام حياته إلى طوس مستقراً رأسه حيث وافاه الأجل هناك .

#### مؤلفاته :

لقد كتب جابر بن حيان كتباً عديدة في مواضيع شتى شأنه في ذلك شأن فلاسفة اليونان ، وقد تأثر بأرائهم وأخذ ببعضها وقد أبعث البعض الآخر<sup>(٣٣)</sup> و<sup>(٣٤)</sup> فكتب في اللغة والبيان<sup>(٣٥)</sup> وكتب في السموم والأدوية<sup>(٣٦)</sup> وفي صناعة الأكسير<sup>(٣٧)</sup> والظلمات وصناعة الذهب<sup>(٣٨)</sup> وفي كثير من العلوم الأخرى . وقد نال شهرة كبيرة في البلاد العربية في القرن الثامن للميلاد ، وعند ما نقلت الكتب العربية إلى اللغة اللاتينية وغيرها من اللغات الأوروبية إبان القرن الثالث عشر ذاع صيته في أوروبا حتى اعتبره بعض الكتاب المستشرقين اسطورة<sup>(٣٩)</sup> فأذكروا وجوده أصلاً . ومنهم من حقق بعض المخطوطات وبدأ بتصنيفها إلى ما هي فعلاً من تأليف جابر ومنها ما هي ليس له<sup>(٤٠)</sup> ولعل في مقدمة من أخذ بهذا التحقيق هو الأستاذ روسكا وتلميذ بول كراوس وقد بلغ عدد الكتب التي حملت اسم جابر عليها مؤلف ما يربو على الخمسة<sup>(٤١)</sup> غير أن المصادر الموثوقة والتي أجمع عليها مؤرخوا العرب والمشرقون تشير إلى أنه قد ألف مائة واثنى عشر كتاباً<sup>(٤٢)</sup> وأغلب الظن أن الكتب التي ذكرها ابن النديم في الفهرست لا تعد وعن كونها رسائل أو مقالات حيث تشير المصادر التي بين أيدينا من أن جابر قد وضع كل كتاب في عدد المقالات . وعلى سبيل المثال ان كتاب الخواص الكبير (مخطوط) يحتوي على إحدى وسبعين رسالة .

ويبدو ان اسم جابر قد سلع منذ القرن الثامن حتى يومنا هذا في الشرق والغرب على  
السواء إذ قلما تجد كيميائياً عربياً لم يذكر اسم جابر كمصدر من مصادره الأساسية (٤٢)  
فنتحه الجلدكي في كتابه ( البرهان في أسرار علم الميزان ) بالأستاذ الكبير جابر كما دعاه علي  
جلبي بن خسرو الازنيقي في كتابه ( درر الأنوار في اسرار الاحجار ) (٤٣) بالامام جابر  
وأشار الدوميلي وغيره من المستشرقين من أن أكثر الكتب العربية قد فقدت ولم يعثر إلا  
على عدد قليل منها وإنما وجدت تراجم عديدة تحمل اسم جابر بن حيان يرجع عهدنا الى  
القرنين الثالث والرابع عشر للميلاد بغية الحصول على ثقة المعنيين بالعلم آنذاك نظراً للشهرة  
التي اكتسبها جابر بن حيان في الأوساط الغربية . ويشير كراوس الى أن أمر إخراج هذه  
المخطوطات الى أصلها وتمييز ما يعود منها الى جابر عما يعود لغيره ليس بالأمر العسير حيث  
ذكر في المجلد الأول من كتابه عن جابر بأنه عني بثبيت الكتب الجابرية مقسمة إلى طبقات  
ومرتبة بحسب تعاقبها التاريخي باحثاً في صحتها وقد اتهمني الى أن أغلبها منجولة وانها ترجع  
الى مدرسة من الكيميائيين الشيعة وضعت حوالي سنة ثلاثمائة للهجرة لأغراض سياسية  
ثم بين بأن الرسائل التي حملت اسم جابر في تلك الفترة لم تكن كيميائياً بحسب بل تتناول  
- إضافة الى الكيمياء - علوماً أخرى كالطب والموسيقى والتنجيم والفلسفات والرياضيات  
والفلسفة ... الخ . وعرض في المجلد الثاني دور ( جابر والعلم اليوناني ) الفصول الخمسة في  
المذهب الجابري : الكيمياء وعلم التكوين وعلم الخواص وعلم الميزان وعلم الطبيعة فيتناول  
كتب جابر في هذه المواضيع ويبرز النقاط الهامة ويجلو الغامض منها ويبين الفروق بينها ثم  
يصل إلى نتيجة مهمة هي ان المجموعة الجابرية قليلة الشبه بمجموعة كيميائي اليونان القدماء  
إذ أنها أكثر اعتماداً على التجربة وأكثر تنظيماً وأقل رمزاً وعموحاً وأعرف بالكيمياء  
المضوية ووصف المركبات والمواد وصفاً دقيقاً يتناول خواصها وتأثيرها بالعوامل الطبيعية  
كالحرارة والرطوبة وغيرها . وقد اعتمد رسكا في كتاباته عن جابر بن حيان على بعض  
المخطوطات العربية التي وجدت في برلين سيما كتاب السموم (٤٤) ، كما عثر ماكس مايرهوف

على مخطوطات عربية عام ١٩٢٦ في المكتبات الخاصة لنور الدين بك مصطفى . وأحمد باشا تيمور في القاهرة ومن أكثرها أهمية كتاب الخواص الكبير وكتاب العنصر الأساسي وكلاهما لجابر بن حيان وأشاد الكيمياءوي الفرنسي برتلو<sup>(٤١)</sup> بجمهرة جابر وعلمه في الكيمياء حيث قال « جابر في الكيمياء ما لأرسطو قبله في المنطق ، فهو أول من استخرج حامض الكبريتيك من الزاج الأزرق ودعاه زيت الزاج ، وأول من اكتشف الصودا الكاوية ، وأول من اكتشف حامض النتريك والهيدروكلوريك وعمل من مزيجها ماء الذهب ( الماء الملكي ) ، وتنبأ إليه تحضيرات مركبات أخرى مثل كاربونات البوتاسيوم و كاربونات الصوديوم ، وقد درس خصائص مركبات الزئبق واستحضرها » . وتشير المصادر الكثيرة ان جابر موسوعة في الكتب الكيمياءوية وغيرها من العلوم ، ولا أود التطرق إلى ما كتب عن جابر بن حيان وعمن أتى على عمله أو عمن كتب في تنفيذ عمله وبطلانه إذ ربما ضاق في ذلك مجلد كبير ، لقد أقرأ أكثر الكتاب العرب والمستشرقين صحة بعض الكتب المنسوبة إليه وفي مقدمتها كتاب الخواص الكبير ، وكتاب الخواص وكتاب الرحمة وأحد عشر كتاباً صنفها وحققها ونشرها الأستاذ هولميارد عام ١٩٢٨ في باريس ، وسأعتمد في القول عن جابر على هذه المصادر فحسب وهي متوفرة لدي ، ولا أخرج عن نطاق محتوياتها إلا بعد الاعتماد على بعض المصادر الموثوقة للتحققين المستشرقين أو عن المصادر الأولية نفسها ، وسأحاول ما استطعت أن أضع جابر بن حيان في مكانه الحقيقي ، ضمن الأدوار الخمس التي ذكرتها في مقدمة البحث ، فلقد حاول بعض المؤرخين ان يضع جابر بن حيان في الدور الأول فوصف ما جاء به من معرفة علمية لا تعدو كونها مستقاة من العلوم اليونانية القديمة وذهب البعض الآخر في طريق يناقض الأول ، فجعله ممن حضر العدد الكبير من المركبات التي لم يعرف بعضها إلا في مطلع القرن التاسع عشر ، وهناك فريق آخر حاول المقارنة والموازنة في تقييم أعمال جابر بغية وضعه في دوره الحقيقي ، غير أن أغلبهم قد أخفق في ذلك نظراً لكثرة ما كتب عنه وتباين وجهات نظر الكتاب السابقين .

لقد كتب جابر في صناعة الذهب<sup>(٤٥)</sup> وهو بذلك اشتغل بما كان السائد في الدور الأول ودافع عن رأيه في هذه الصناعة ووضع في ذلك نظرية في تكوين المعادن حيث قال « ان الأجساد كلها في الجواهر زئبق انعقد بكبريت المعدن المرتفع اليه في بخار الأرض وإنما اختلفت لاختلاف اعراضها ، واختلاف اعراضها لاختلاف نسبها » . وسأني على شرح هذه النظرية فيما بعد إذ أنها كانت مقبولة حتى ظهرت نظرية الفلوجستون في القرن السابع عشر كما أشرنا سابقاً . ثم أن جابر قد اشتغل في صنع الاكسير وقد زعم بأنه قد حصل عليه وشفى الكثير من المرضى بواسطته ، وقد ذكر في كتابه ( كتاب الخواص الكبير )<sup>(٤٦)</sup> حيث قال « وكان معي من هذا الاكسير شيء فسقيتها منه حبتين وعادت الى اكل ما كانت عليه في أقل من نصف ساعة زمانية فانكب يحبى على رجلي مقبلاً لها ... » وقد ألف كتباً عديدة وأذكر ما حقق منها كتاب السموم إذ صنفها إلى أصلها وذكر عدداً كبيراً من السموم المستخرجة من النبات وآخر من الحيوان وثالثاً من الحجر ثم وصف كلا منها ومقدار ما يعطى للمريض . وبذلك قد اشترك جابر في الدور الثاني للعلوم وقد أشار في كتابيه الخواص الكبير وكتاب الخواص الى تفاعلات كيميائية وعمليات فنية منها التقطير والتبلور والتصعيد ودرس خواص المواد دراسة علمية دقيقة كما أنه تعرف على أيون الفضة النشاذري المعقد وقد ذكر ذلك في كتاب الخواص الكبير حيث قال « والفضة اذا شمت برائحة الكبريت اسودت فاذا أصابها الملح ابيضت وصفت وزاد حننها ومنها النوشادر » وهذا يدل دلالة واضحة على ذوبان أملاح الفضة في هيدروكسيد الامونيوم لتكوينها أيوناً معقداً يذوب في الماء ، وقد قصد جابر برائحة الكبريت — بلا شك — كبريتيد الهيدروجين . وتشير المصادر الى انه قد حصل على زيت الزاج وهو المادة المعروفة بحامض الكبريتيك في الوقت الحاضر ، من تقطير الزاج الأزرق وقد وصف هذا الحامض بأنه الزيت اللذيب وأشار الى ذلك كل من برتيلو<sup>(٤٤)</sup> وهوداس<sup>(٤٦)</sup> وقد أنكره هوليارد<sup>(٤٧)</sup> حيث عزا ذلك الى مكتشفين آخرين في القرنين الثاني عشر

والثالث عشر كما انه استغل الخطأ العلمية التي وقع فيها الدكتور فيليب حتي في كتابه (كتاب تاريخ العرب) حيث أخطأ من الناحية العلمية في تكوين ماء الذهب ولا غرابة في ذلك إذ أن الدكتور حتي مؤرخ وليس كيميائي<sup>(٤٤)</sup>. وليس من البعيد على من يحضر زيت الزاج (حامض الكبريتيك) وهو في العراق، من ان يحضر حامض النتريك وحامض الهيدروكلوريك سبباً وان تحضير هذين الحامضين لا يعدو عن تفاعل زيت الزاج مع ملح الطعام في تحضير حامض الهيدروكلوريك وعن تفاعل الشورة (نترات البوتاسيوم) مع حامض الكبريتيك (زيت الزاج) في تحضير الحامض الآخر وقد ذكرت العراق خاصة لأن الأجر (الطابوق) يؤلف الجزء الكبير من المواد البنائية وتكثر مادة الشورة في البنيات التي تبنى بالأجر وتعرض للرطوبة. وعرفت الشورة منذ زمن بعيد في العراق وربما عرفت في مطلع عهد الدولة العباسية وقد استعملها العامة أخيراً في صنع الألاعيب النارية بعد تصنيفها ومنجها مع مسحوق الفحم دون أن يعرفوا تركيبها ولا أعلن ان أحداً قد قرأ ما قام به جابر من العمليات الكيميائية ان يستبعد تحضيره لحامض النتريك وذلك بمزج زيت الزاج (حامض الكبريتيك). الذي أقره عدد كبير من المستشرقين. مع الشورة. إضافة إلى أن الكيميائيين في أوروبا لم يبلغوا شأو جابر الا في مطلع القرن الثامن عشر وربما في نصفه الثاني لذلك لا أرى مانعاً من قبول الفكرة التي تقول ان جابر قد استحضر حامض النتريك والماء الملكي الا انني لم أجد ما يشير الى هذا في النصوص المحققة والموثوقة والمتفق عليها واغلب الظن أن هؤلاء المستشرقين لم يعرفوا طبيعة العراق أو كمية الشورة المتراكمة على جدران المباني التي تتعرض للرطوبة، هذا وسأحاول جاهداً في التفحيش عن مصادر موثوقة أخرى لأظهر صحة ما تقدمت به أو بطلانه. ان هذه العمليات الكيميائية التي ذكرها جابر في السكتب والمخطوطات المتوافرة لدينا والتي ذكرتها آنفاً تشير دون شك الى براعته في عمليات الكيمياء وابداعه في تصحيح الأقران والبوتقات تلك العمليات الكيميائية والدراسة العلمية المضبوطة التي لم تصل اليها أوروبا الا في مطلع القرن الثامن

عشر وهو بذلك يدخل الدور الثالث من العلم .

وهكذا ترى جابراً قد أحاط بما ألفه اليونان من فلسفة ونظرة الى الكون والمادة وفي صناعة الذهب ثم تطرق الى استخراج العقاقير والأدوية والسموم ودرس خواصها وكذلك صمم الاجهزة الكيميائية ودرس المواد وتفاعلاتها دراسة علمية تكاد توصله إلى مرتبة العلم الحديث .

ان النظرية التي أتى بها جابر بن حيان من أن العناصر جميعها تتألف من الزئبق والكبريت الظاهر وتختلف العناصر عن بعضها بنسب اتحاد الزئبق والكبريت وتفاوتها لها أساسها ودلائلها ، وقد مثل جابر تكوين العناصر في باطن الأرض كتكوين الجنين في الرحم حيث أشار الى المدة التي يتفاعل خلالها الزئبق بالكبريت في باطن الأرض وتفاوتها ونسبتها الأمر الذي جعله أن يتدع القرن والبودقة ليعيد ما يجري في الطبيعة وقد أشار في أكثر من مصدر على طلبته أن يتبينوا الأمر ولا يتعجلوا ويقتفوا أثر الطبيعة في صناعة الذهب . والحقيقة ان هذه النظرية التي اعتبرها مايرهوف مفتاح نظرية الفلوجستون هي أعظم فكراً وأعمق تأملاً من نظرية الفلوجستون التي جاءت بعد نظرية جابر بعشرة قرون تقريباً ، فنظرية الفلوجستون تتضمن خروج روح الاشتعال من العنصر عند ما يتحول الى الكالكس (الأوكسيد) . اي ان العنصر يحترق روحاً ( ولها وزن ) عند ما يتحول الى الاوكسيد . والدليل واضح على ذلك اذ اعتبر انصار هذه النظرية ان عنصر الكاربون يحتوي على كمية كبيرة من هذه الروح حيث لا يتخلف بعد خروجها إلا قليلاً من الرماد وهم بذلك قد أغفلوا بل جهلوا تكوين الغازات مثل غاز ثاني أوكسيد الكاربون والحقيقة ان الكاربون ( الفحم ) عند احتراقه يزداد وزناً والزيادة كبيرة ولكن الناتج يكون على هيئة غاز ثاني أوكسيد الكاربون ، فكل اثني عشر غراماً من الكاربون يتحد باثنين وثلاثين غراماً من الاوكسجين لتكوين غاز ثاني أوكسيد الكاربون ولو فطن انصار نظرية الفلوجستون الى تكوين الغازات سيما غاز ثاني أوكسيد الكاربون في هذه الحالة لأدركوا

ان هنالك زيادة في الوزن ، ولم ينتبه الفلوجستونيون الى ذلك حتى أدركها الكيمياءوي  
الفرنسي لافوازيه فأثبت خطأ هذه النظرية . أما جابر فقد اعتبر العناصر كلها مؤلفة من  
عنصري الكبريت والزرنيق للأسباب الآتية :

١ - ان جميع العناصر التي عرفت في عهده قد استخرجت من كبريتيداتهما بالتحميص  
أو ( بالتشويه ) كما ذكرها هو حيث تنبعث غازات الكبريت كثنائي أو أكسيد الكبريت  
وغيره اثناء تعدينها .

٢ - ان أكثر العناصر التي حضرت في ذلك الوقت قد عُدَّت من كبريتيداتهما الأمر  
الذي يدعو المنتبه لهذه الحقيقة الى الايمان بوجود الكبريت في جميع ما استخرج من  
المعادن آنذاك كما وقد كتب جابر في الكبريت كثيراً ووصف جميع صورته المعروفة في  
الوقت الحاضر من الكبريت الذهبي ( زهر الكبريت ) والكبريت المسود والكبريت  
المطاط ... الخ .

٣ - ان اعتباره الزرنيق من الاساسين الرئيسين في تكوين المعادن جميعها يرجع الى  
أن الزرنيق يكون مع أكثر المعادن المعروفة ملاغماً فهو يتحد ببعضها اتحاداً كيميائياً  
عن طريق تكوين ( الأصرة المعدنية ) والتي لم تعرف إلا في القرن العشرين ( ٤٩ ) فيغير  
من صفات المعادن نفسها ويظهرها بمظهر آخر إلا انه لا يتحد ببعض المعادن البهجة التي  
عرفت آنذاك والتي لم يعرف منها سوى الحديد وقد اشار جابر بن حيان الى ذلك في أكثر  
من موضع في كتابه ( كتاب الخواص الكبير ) . ونتيجة لما قام به جابر من الدراسات  
فقد تعرف على كثير من مركبات الزرنيق كالسليمانى وأوكسيد الزرنيق الأحمر ولا أظن ان  
كيمياءويًا يشك في ان نظرية جابر في تكوين المعادن أكثر عمقاً من نظرية الفلوجستون  
التي أوضحناها آنفاً ، وبهذا يكون جابر قد وضع قدماً في الدور الأول للعلم وآخر في  
الدور الرابع له .

ولا بد لي أن أقول لمن استكبر على جابر تحضير المركبات كالكحول وحمض الخليك

وزيت الزاج والماء الملصكي ان الاستكثار ليس في موضعه . هذا وسأواصل البحث في  
المحصل على مصادر أصيلة لجابر لا يمكن من اثبات ما تقدمت به أو تعديله .  
وعجت كثيراً لمن ادعى ان اوربا في القرن الثاني عشر والثالث عشر قد أتت بما لم يأت  
به جابر بن حيان ، ذلك لأن الكيمياء الفرنسي برتيلو الذي جاء في أواخر القرن السابع  
عشر قد اعتمد عليه كثيراً وأثنى على عمله ثناءً عاطفاً كما أن اوربا خلال القرنين الثاني عشر  
والثالث عشر لم تكن لتعرف العلوم ومن ضمنها الكيمياء إلا عما نقله العرب من اليونانيين  
وما أضفوا اليه . ولا اتفق مع ما ذهب اليه الدوميلي ( ٥٠ ) من أن حامض النتريك وبعض  
الحوامض المعدنية الأخرى قد عرفها بعض الاوربيين خلال القرنين المذكورين ( الثاني  
عشر والثالث عشر ) ولو أنه ذكر ذلك في القرنين السابع عشر والثامن عشر لكان الأمر  
أكثر وجاهة .

على أن ما جاء عن جابر بن حيان بمجد ذاته في القرن الحادي عشر والثاني عشر من  
المخطوطات العربية لا يخلو من كثير من الالتباس حيث تدخلت السياسة والفرق الباطنية  
في ذلك فمنهم من جعل جابراً بمصاف الأئمة ومنهم من اعتبره تلميذاً روحانياً للإمام جعفر  
الصادق . الا ان الكتاب الذي أقره المستشرقون والعرب على حد سواء من أنه لجابر وهو  
كتاب الرحمة يكفي للرد على التقولات التي ذكرتها سابقاً إضافة الى المخطوطة التي حققها  
المستشرقون وهو كتاب الخواص الكبير والذي لا يدع مجالاً لأحد أن يسبقه في اوربا  
قبل القرن الثامن عشر .

وهناك أدلة كثيرة تشير الى معرفة جابر لميزان المضبوط سيما في صنع العملة الذهبية  
في عهده وقد علمت من أحد زملائي الذين حصلوا على درجاتهم العلمية في أمريكا أنه اشتغل  
على تحليل العملات الذهبية في عصر هارون الرشيد والذي هاله كما كان موضع إعجاب  
استاذة عند ما وجد ان تلك العملات الذهبية لا يختلف وزن بعضها عن البعض الآخر الا

بما يقل عن واحد بالمائة من المثقال<sup>(٥١)</sup> الأمر الذي يدل دلالة واضحة على أن جابر بن حيان قد توصل الى وجدان الميزان التحليلي أو ما يشابهه من حيث الكفاءة في الوزن .

بغداد في يوم الاثنين الأول من شهر ذي القعدة لسنة ١٣٨٥ هـ المصادف ٢١ شباط  
عام ١٩٦٦ م .

فاضل الطائي

## مصادر البحث

- ١ - المقتطف ، ج ١ ، مج ٤٤ ، ص ٣٧ .
- ٢ - المقتطف ، ج ٣ ، مج ٥٣ ، ص ٢٤٠ .
- ٣ - المقتطف ، ج ٢ ، مج ٤١ ، ص ١٠٥ .
- ٤ - مجلة الكتاب ، ج ٤ ، مج ١١ ، ص ٤٧٦ :  
E. O. Holmyard & D. C. Maundeville , Paris 1927 ( p . 71 - 74 )
- ٥ - « مختار رسائل جابر بن حيان » كراوس ، القاهرة - ١٩٥٤ .
- ٦ - كتاب اسطقس الاس على رأي الفلاسفة - جابر بن حيان - نشر هولميارد ص ٧٠ ،  
باريس ١٩٢٨ .
- ٧ - المقتطف ، ج ١ ، مج ٤٤ ، ص ٣٨ .
- ٨ - كتاب الخواص الكبير - جابر بن حيان ( مخطوطة ) في مكتبة المتحف العراقي  
ص ٢٤ - ٢٨ .
- ٩ - كتاب الخواص لجابر بن حيان ( مخطوطة ) في مكتبة المتحف العراقي ص ٢٦ .
- ١٠ - كتاب الاسطقس لجابر بن حيان الصوفي ص ١١٧ ، مصنفات في علم الكيمياء -  
هولميارد مطبعة باريس ١٩٢٨ .
- ١١ - كتاب الصافي :  
Das Buch des Reinen , Katalog der Arabischen Alchemistischen .
- ١٢ - الفهرست لابن النديم - اخبار جابر بن حيان واسماء كثيرة ، ص ٣٥٥ - ٣٥٧ .
- ١٣ - الكيمياء غير العضوية الحديثة ، ليلر :  
« Mellor's Modern Inorganic Chemistry » ; By parker & Mellor ,  
Longmans, Green and Co ' , New ed . , Sept . 1943 , p . 9 .
- ١٤ - الذرة والكون : « Atom & Cosmo » by Reichenbach, 1924

١٥ — دائرة المعارف البريطانية :

Encyclopedia Britannica , 14 th ed . vol . X , p . 83 , 1929

١٦ — ( آ ) معجم قبائل العرب القديمة والحديثة — عمر رضا كحالة ، الجزء الاول ، ص ١٥ ، المطبعة الهاشمية بدمشق ١٩٤٩ .

( ب ) دائرة المعارف الاسلامية ، ج ٢ ، ص ٣٧ ( الازد )

١٧ — دائرة المعارف الاسلامية ، ج ٦ ، ص ( ٢٢٦ - ٢٢٨ ) جابر بن حيان .

١٨ — الاعلام ، قاموس تراجم — تأليف خيرالدين الزركلي ( الطبعة الثانية ) ، ج ٢ ، ص ٩٠ .

١٩ — مقدمة في تاريخ العلم :

An Introduction to the History of Science ; George Sarton , vol . 1 p . 521 .

٢٠ — الموسوعة الدولية :

Encyclopedia International , vol . 7 , p . 480 , 1964 .

٢١ — المنجد — معجم لإعلام الشرق والغرب ، لفردينان توتل مادة ( ح ) ، ص ١٢٣

٢٢ — ( آ ) كتاب المقابلة والمماثلة لجابر بن حيان الصوفي ( مخطوطات المكتبة الالمانية )

Deutsche Slaathebliothik Orientalische Abteilung

( ب ) جابر بن حيان الصوفي — كتاب المقابلة والمماثلة :

Katalog Der Arabischen Alchemistischen Handschriften Deutschlands ;

Alfred Siggel , vol . 11 , p . 142 .

٢٣ — الاعلام ، قاموس تراجم تأليف خيرالدين الزركلي — الطبعة الثانية — الجزء

الثاني ص ٩٠ .

٢٤ — دائرة المعارف البريطانية ، ج ١٠ ، الطبعة الرابعة عشرة ، ص ٨٣ .

٢٥ — الاعلام ، خيرالدين الزركلي ، الطبعة الثانية ، الجزء الثاني ، ص ٩١ .

٢٦ — كتاب الخواص لجابر بن حيان ( مخطوط ) مكتبة المتحف العراقي ، ص ٢٨

٢٧ - كتاب الخواص الكبير لجابر بن حيان - (مخطوط) - مكتبة المتحف العراقي  
ص ٢٥ - ٢٦ )

٢٨ - كتاب الخواص لجابر بن حيان - (مخطوط) - مكتبة المتحف العراقي ،  
ص ٤٦ )

٢٩ - كتاب الرحمة لجابر بن حيان الصوفي - تحقيق هوليارد ، ص ١٤٧ ، مطبعة  
باريس ١٩٢٨ .

٣٠ - كتاب المقابلة والمائلة - راجع المرجع (٢٢)

٣١ - العلم عند العرب - ألدوميلي ، ترجمة الدكتور محمد يوسف موسى والدكتور  
عبدالحليم النجار ص ٩٩ سنة ١٩٦٢ .

٣٢ - نهاية الطلب - تأليف ايدمر بن علي الجلاكي ، (مخطوط) - مكتبة المتحف  
العراقي ص ٢٧

٣٣ - كتاب اسطقس الاس الثاني لجابر بن حيان الصوفي - تحقيق هوليارد ،  
ص ٨١ ، مطبعة باريس ١٩٢٨ .

٣٤ - كتاب اسطقس الاس الثالث لجابر بن حيان الصوفي - تحقيق هوليارد ،  
ص ١٢٣ ، مطبعة باريس ١٩٢٨ .

٣٥ - كتاب البيان لجابر بن حيان الصوفي ، تحقيق هوليارد ، ص ٨ ، مطبعة  
باريس ١٩٢٨ .

٣٦ - كتاب السموم لأبي موسى جابر بن حيان الصوفي ، المقتطف ، ج ٣ ، مج ٥٣ ،  
ص ٤٠ .

٣٧ - كتاب الخواص الكبير لجابر بن حيان - (مخطوط) - مكتبة المتحف العراقي  
ص ٢٤ )

٣٨ - كتاب الخواص الكبير لجابر بن حيان - ( مخطوط - مكتبة المتحف العراقي  
ص ٣٨ )

٣٩ - العلم عند العرب واثره في تطور العلم العربى - الدوميلي ، ص ٩٩ - ١١١

٤٠ - جابر بن حيان :

Paul Kraus , Jabir Ibn Hayyan Contribution Al' Histoire Des Idees  
Scientifique Dans L' Islam , vol . 2 , ٤ - 59 .

٤١ - كتاب الرحمة لجابر بن حيان الصوفى - تحقيق هوليارد ، ص ١٤٨ - ١٥٢ مطبعة

باريس ١٩٢٨ .

٤٢ - كتاب البرهان في اسرار علم الميزان - ايدير بن علي الجالدي ( مخطوط ) -

مكتبة المتحف العراقي ، ص ١٤

٤٣ - درر الانوار في اسرار الاحجار - علي جلي بن خسرو الازنيقي ( مخطوط ) -

مكتبة المتحف العراقي ، ص ٧

٤٤ - الكيمياء في القرون الوسطى :

M . Berthelot , La Chimie Moyen Age vol . 2 , paris 1885 .

٤٥ - كتاب الايضاح لجابر بن حيان الصوفى - تحقيق هوليارد ، ص ٥٤ - ٥٨ ،

باريس ١٩٢٨ .

٤٦ - هوداس ، العلم عند العرب - الدوميلي ، ص ١٠٦ ، عام ١٩٦٢ .

٤٧ - العلم عند العرب - الدوميلي ، ص ١٠٢ ، عام ١٩٦٢ .

٤٨ - العلم عند العرب - الدوميلي ، ص ١٠٧ - ١١١ ، عام ١٩٦٢ .

٤٩ - طبيعة الاواصر الكيمياءوية :

The Nature of the Chemical Bonds ; L . pauling 1948 , Cornell Univ . press

٥٠ - العلم عند العرب - الدوميلي - ١٩٦٢ ، ص ١٠٧ .

٥١ - التركيب الكيمياءوي للعملة العربية القديمة .

The Chemical Composition of Some Ancient Arabic Coins, Sabri Farroha,  
E.R. Caley, Bull. of the College of Science, Vol. 8, P 61, 1965.

# الشعر والنغم والانشاد

للكاتب محمد سعيد

## الشعر والنغم :

تحدث علماء العرب عن الشعر ، ورأوا ان اهم ما يميزه عن النثر موسيقاه أو نغمه . وعرفه قدامه (١) : بأنه « قول موزون مقفى يدل على معنى » وشاركه في هذا التعريف غيره (٢) . واذا نظرنا الى التقييد الأخير الذي وضعه قدامه في تعريفه ، وهو اشتراطه أن يدل على معنى ، رأيناه يوحى الينا بخوفه ان يتوهم متوهم ان الشعر إنما هو القول الموزون المقفى ، وإن لم يدل على معنى . ويرينا هذا ان الوزن أبرز خصائص الشعر وأوضحها ثم يأتي بعده المعنى . ومن هنا قال ابن رشيق في حمده (٣) : « الوزن أعظم اركان الشعر ، وأولها به خصوصية » وهكذا نراه جعل للوزن المكان الأول . والذين رأوا ان النثر لا يعدم النغم ، وان الموسيقى التي تلحظ في ارتفاع صوت المتكلم او القاري تارة وانخفاضه اخرى ، وبوقفاتة التي تطول حيناً وتقصّر حيناً ، ثم في انتهاء فقراته - في بعض الأحيان - بما يحدث جرساً خاصاً يشبه نغم الشعر او قوافيه ... الذين لحظوا هذا لم يستطيعوا ان

(١) انظر : نقد الشعر لقدامة . ص ١١ .

(٢) انظر ص ٢٢٩ من كتاب الصاحي في فقه اللغة .

(٣) العمدة ١/١٣٤ .

ينكروا ان موسيقى النثر هذه لا تسير على نمط معين ، ولا يشترط الالتزام بها على نحو خاص كما هو الشأن في الشعر . ثم هي - بعد ذلك - غير واضحة فيه وضوحها في الشعر . وهكذا تراهم ذهبوا الى ان النغم او الوزن الشعري هو اهم ما يميز الشعر . وكان أبو العتاهية الشاعر الزاهد نظر الى هذا النغم ، او هذا الوزن يجري في كلام الناس سليقة وبغير ارادة منهم ، فتوهم ان اكثر الناس يتكلمون بالشعر وهم لا يعلمون <sup>(١)</sup> وقال : « ولو احسنوا تأليفه كانوا شعراء كلهم » . رووا أنه رأى - وهو في جماعة - رجلاً يقول لآخر عليه مسح <sup>(٢)</sup> :  
يا صاحب المسح تبيع المسحا . فقال ابو العتاهية : هذا من ذلك  
الم تسمعه يقول :

« يا صاحب المسح تبيع المسحا »

قد قال شعراً وهو لا يعلم . ثم قال الرجل : « تعال ان كنت تريد الربح » فقال أبو العتاهية : وقد اجاز المصراع بمصراع آخر وهو لا يعلم ، قال له :  
« تعال ان كنت تريد الربح » <sup>(٣)</sup>

ونظرة ابي العتاهية هذه الى الشعر بأنه وزن ، او كلام موزون جعلته يقول : « لو شئت ان اجعل كلامي كله شعراً لفعلت ... » <sup>(٤)</sup> . ويظهر انه تعلق بهذا وجعل له الأهمية الأولى . ونحن - وان كنا لانذهب لمذهب أبي العتاهية في هذا ، ولا نقره عليه ، نراه في حديثه هذا يجسم لنا الشعر في اخص خصائصه ، وهو النغم . ومعلوم ان نغم الشعر لا يتضح ولا يبرز إلا بإنشاده . ومن هنا نستطيع ان نرى أهمية الانشاد ، وشدة التصاقه بالشعر . ولعلنا نعذر أبو العتاهية ، ومن ذهب لمذهبه في الشعر اذا عرفنا ما ذهب اليه بعض المحدثين في الشعر . إذ رأوا انه نشأ من صيحات منغمه كانت قبل ان تُخترع الالفاظ وأن

(١) الاغانى طبعة دار الكتب ( د . ك ) ص ٣٩/٤ .

(٢) المسح : كساء من شعر كثوب الرهبان .

(٣) الاغانى دك ٣٩/٤ .

(٤) الاغانى دك ١٣٠/٤ .

تكون دالة على معانيها . قالوا : « ان الشعر لغة الوجدان . وإن الانسان شعر بوجدانه قبل ان يفكر بعقله . والهمجي الذي عاش قبل التاريخ عارياً يتسلق اشجار الغابات ، يقفز من غصن الى غصن صائحاً : « رارارار .. بو بو بو .. » قالوا : « هذا الانسان هو الواضع الاول لأساس الشعر المنظوم ... » وقالوا : « ومن هذه الصيحات الاولى صيغت النغام الأناشيد . وكانت هذه قبل ان يتقدم الانسان وابتكر الفاظ اللغة يعبر بها عن افكاره .

وحيث جاء طور الألفاظ المعبرة عن معان كانت قوالب الشعر وأوزانه قد اعدت ، فانصبت بها الألفاظ المعبرة ، فكان هذا الشعر المنظوم المفهوم المعبر عن معنى . بعد أن كان انغاماً أو صيحات يعبر بها الانسان عن انفعاله حين يمرح في رقص ، او يهتف في غضب ، أو يتحمس في شجار وخصومة وعراك ، أو يناغم بها وقع المجاذيف في الماء ، ووقع اقدام الابل حين يسير معها في الصحراء » (١) وهؤلاء الذين يذهبون هذا المذهب في نشأة الشعر وانه من نغم او لحن لا معنى له يجدون سندهم فيما يذهب اليه علماء اللغة الذين يرون ان ادراك الطفل لنغم الكلام وموسيقاه يكون سابقاً لإدراكه لمعانيه في الفاظه المفردة . ان الطفل يسمع الأصوات المختلفة في صغره . وينشأ وهو يستطيع التمييز بينها قبل ان يستطيع التمييز بين معانيها ومصادرها . وقد يسمع ، وهو صغير ، الانشودة تتكرر على سمعه ، فيحفظها ويرددها عن ظهر قلب من غير ان يفقه لها معنى . ويعلمون ولع الاطفال بالأناشيد يرددونها من غير ان يفقهوا معانيها ، الى ان الطفل جزء من نظام الكون العام الذي تبدو كل مظاهره الطبيعية منسجمة . ولا غرابة في ان يميل الطفل الى ما هو منسجم من الكلام ، منتظم في مقاطع منغمة متكررة . وهو يميل الى التكرار في حركاته ونشاطه العضلي . إنه في مهده أو ارجوحته يحرك يديه ورجليه ، أو يهز رأسه . وهو يفعل هذا ويستلذه ويكرره في هزات متقطعة منتظمة (٢) ...

وذهب بعضهم الى ان الشعر انفعال نفسي ينفس به المرء عن نفسه ، شأن البكاء ينفس

(١) قصة الادب في العالم ١١/١ للاستاذين : احمد امين وزكي نجيب محمود .

(٢) موسيقى الشعر للدكتور ابراهيم انيس ص ٧ .

به عن احزانه ، وشأن الضحك يعبر به عن فرحه وسروره . وهو حين يطلق هذا الشعر او حين ينطلق به لايهمه من يسمعه منه او من يستمع اليه . ولعل الأوائل من العرب جنحوا الى هذا حين عزوا اول قطع الشعر الى آدم ، وقالوا إنه قالها يرثي ابنه هايبيل (١) . على ان هناك رأياً آخر في نشأة الشعر بصوره لا ينشأ إلا مع الإنشاد ولا يفرض من نفس صاحبه الا منشداً بين مستمعيه . وعلى هذا فالشاعر البدائي لا ينطق بشعره وحيداً ، وانما يتعاون مع صحبه الذين يستمعون اليه . انه لا يستطيع ان ينطق بالشعر إلا بين الجماعة المستمعين ..

وطبيعي ان قائله ما كان يكتبه - على نحو ما يصنع الشعراء اليوم - ولكنه يرتجله وينشده .. ويتزايد فيض الشعر على لسانه كلما ازداد جمهوره اصغاءً اليه ، وذهولاً واستمتاعاً بشعره ، وتشجيعاً له على الاسـتـزادة في الانشاد . وقد يصل الجمهور الى حالة انفعال تحكي حالة الشاعر المنشد . نعم، ان جمهور المستمعين في ايامنا هذه يستطيعون أن يسيطروا على مشاعرهم وان يكتبوا انفعالهم ويستمعوا هادئين، ولا كذلك جمهور البدائيين حين يستمعون. انهم يطلقون لمشاعرهم العنان ويعاونون شاعرهم ومنشدهم على الاستزادة (٢) . وننظر في اشعار الامم كلها فنراها مقطعة على نحو يناسب الانشاد . فالمنشد للشعر العربي مثلاً - يحتاج لأن يستعيد النفس بعد كل بيت من أبيات بحوره الطويلة ، وهذا هو السر في ان اوزان البحور الشعرية عند الأمم عامة لا تزيد على مقدار معين من المقاطع؛ ذلك المقدار الذي يظل النفس او الصوت مطاوعاً به لمنشده .

والشعر - كما للموسيقى - الحان خاصة في انشاده تختلف باختلاف الامم . ان

(١) قالوا : « رثاه بقوله :

فوجه الارض مغبر قبيح	تغيرت البلاد ومن عليها
وقل بشاشة الوجه الصبيح	تغير كل ذى طعم وريح
وهايبيل تضمنه الضريح	فالي لأجود بسكب دمع

المسعودى ٦٥/١ ، والطبرى ١٤٦/١ .

(٢) انظر حديث نومسون عن اهالي اراندا في كتاب « الماركسية والشعر » ص ٣٩ .

الاطالين مثلا ينشدون الشعر اللاتيني القديم بغير الطريقة التي ينشدها بها الألمان أو الإنكليز، وإذ يلاحظ في انشاد الايطالين ميل الى حفظ الضغط على الأصوات، يلاحظ الميل الى الاعتماد على المقاطع عند غيرهم<sup>(١)</sup>. وقد سبق اليونان والرومان غيرهم في استنباط قواعد الإنشاد. على ان قواعدهم هذه ما زالت موضع شك عند الباحثين المحدثين بسبب اختفاء لغتيهما في الحديث واختفاء قواعد الانشاد عندهما. ولا كذلك الأمر عند العرب. يقول الأب اغسطس فكيني الفرنسي: «لشعر العربي إيقاع كلاسيكي تام. وهو محكم الوزن دقيق التحديد والتعيين. وهذه حقيقة لا تحتمل الشك. بيد ان المنشدين لا يبشرون لنا — في الغالب — ظرف سماع ذلك الايقاع وتدوّقه»<sup>(٢)</sup>. ويقول البستاني<sup>(٣)</sup>: «.. واما العرب فلم يكن في امة من امم الارض شأن للانشاد ارفع منه عندهم».

والذين يبحثون في اولية الشعر العربي يربطون بين نشأته وبين سير الابل وحدائها<sup>(٤)</sup> ويرى بعضهم ان الانشاد والحداء شيء واحد. يرى ابو الفرج وهو يتحدث عن اولية الغناء عند العرب انه كان النصب والحداء. ثم يقول: «وذلك جار مجرى الانشاد»<sup>(٥)</sup> وربما هذه الصلة التي بينهما قالوا: حداء به اذا عمل فيه شعراً<sup>(٦)</sup>. فكان الشعر عندهم لا يتصور إلا منشداً بصورة الحداء. يقول المرار الأسدي:

ولو اني حدوت به ارفأنت

نعامتة وأبصر ما يقول

وتحدثوا عن الإنشاد وأثره في الناس، كما تحدثوا عن الحداء وأثره في الإبل. ورأوا ان

(١) فن انشاد الشعر العربي ترجمة الاستاذين: الأب اسطفان سالم الفرنسي والدكتور اسحق موسى الحسيني ص ٥.

(٢) فن انشاد الشعر العربي ص ١٥.

(٣) مقدم الايافة ص ٣٩.

(٤) تاريخ الادب العربي لجورجي زيدان ٦٣/١.

(٥) الاغانى ٣٥٠/٩.

(٦) العمدة لابن رشيق ٣١٣/٢.

الجمال يستخفه الحداء حتى يرى احماله الثقيلة خفيفةً . ويبعث فيه الحداء من النشاط ما يُسكره ويولّيه . وأن الجمال تستمع الى صوت الحادي - وقد اعتراها الكلال وثقلت عليها احمالها - فتخف في سيرها وتسرع حتى تززع عليها احمالها ، وربما اتلفت انفسها من شدة السير وثقل الحمل ، وهي لا تشعر بهذا لفرط ما يعتريها من الحداء . وهم يقصون القصص في هذا (١) .

ويحدثون عن الإنشاد انه ينسى بعضهم نفسه ويستخفه ، على نحو ما يستخف الحداء الجمال . روى عن عمرو بن هند - وكان ملكاً - انه استمع الى الحارث بن حلزة اليشكري ، وهو ينشد قصيدته :

« آذنتنا بينها اسماء »

رووا قول ابن السكبي (٢) : « انشد الحارث عمرو بن هند هذه القصيدة وكان به وضوح . فامر ان يجعل بينه وبينه ستر . وفي رواية سبعة حجب (٣) فلم يزل عمرو يقول : اذنوه ! حتى امر بطرح الستر واقعده قريباً منه » .

وظل للإنشاد مقامه في الجاهلية ثم في الاسلام . وما أكثر ما يحدثنا به الرواة عن عكاظ وعن المربد وعن انشاد الشعر فيهما وفي غيرها . ويبدو ان الشعراء كانوا يتخيرون جيد الشعر ينشدونه في هذه الاسواق حين يجتمع الناس فيها لمتاجرة أو لمفاخرة ، أو لتسليمة . وسنشير الى هذا في حديثنا .

الإنشاد والغناء :

والإنشاد وثيق الصلة بالغناء . وفي المعاجم العربية نجد لفظة الغناء تطلق على قول الشعر ولا نشك في انهم كانوا لا يتصورون الشعر إلا منشداً . قالوا : « غنى بالمرأة : ذكرها بشعره

(١) انظر « إحياء علوم الدين » للغزالي ٢٧٥/١ .

(٢) الاغانى ٤٣/١١ .

(٣) المدة ٤٤/١ .

متغزلاً . وغنى بفلان : مدحه او هجاه<sup>(١)</sup> . وفي الاغاني ان عمر بن الخطاب بعد ان اطلق الحطيئة من السجن - وكان قد حبسه وهم بقطع لسانه - قال له : « يا حطيئة كآني بك عند فتى من قريش قد بسط لك نمرقة - والنمرقة : الوسادة - وكسر لك أخرى وقال : غننا يا حطيئة فطفقت تغنيه بأعراض الناس » . قال ابن اسلم : فما انقضت الدنيا حتى رأيت الحطيئة عند عبد الله بن عمر قد بسط له نمرقة وكسر له اخرى وقال : غننا يا حطيئة ، فجعل يغنيه<sup>(٢)</sup> وما نشك ان الحطيئة كان ينشد وان الانشاد هنا هو الغناء<sup>(٣)</sup> . ويقول ذو الرمة<sup>(٤)</sup> :

احب المكان الفقر من اجل اني به اتغنى باسمها غير معجم

ويبدو ان صلة الانشاد بالغناء وتعلق الناس به هذا التعلق ، هو الذي دعا فريقاً من اهل الورع الى التحرج منه . قال الأصمعي : « قيل لسعيد بن المسيب : ها هنا نساك يعيبون انشاد الشعر ! قال : نسكوا نسكاً أعجيباً »<sup>(٥)</sup> وربما كان السبب الذي زهد هؤلاء في انشاد الشعر انهم نظروا الى ان الثلاثة : الموسيقى والغناء والشعر لا تكاد نجدهم الا متلائين مجتمعين . يقول فارس : « كانت الموسيقى عند العرب - معروفة باللفظ العام وهو الغناء ومعناه الاول الانشاد »<sup>(٦)</sup> ويرى ابو الفرج ان الغناء والانشاد كانا كالشيء الواحد في زمن الخليفة عمر بن الخطاب . يقول : « إن الغناء العربي لم يعرف في زمانه ، - زمن الخليفة عمر - الا ما كانت العرب تستعمله من النصب والحداء ، وذلك جار مجرى الانشاد ، الا انه يقع بتطريب وترجيع يسير ، ورفع الصوت »<sup>(٧)</sup> . وظلت صلة الغناء بالشعر قائمة ، وظلت الحان الغناء مرتبطة ببحور الشعر ، حتى لقد جعلوا لكل غناء او لحن وزناً خاصاً به ، فالنصب غناء

(١) القاموس المحيط . (٢) الاغاني ١٨٩/٢ .

(٣) انظر الاغاني ٣٩٨/٢ ايضاً . (٤) العمدة ٣١٣/٢ .

(٥) البيان والتبيين للجاحظ ٢٠٢/١ .

(٦) الموسيقى العربية لغارمر ترجمة الدكتور حسين نصار ص ٦٦ .

(٧) الاغاني ٢٥٠/٩ .

الركبان يخرج من أصل الطويل في العروض، والهزج من الهزج وهكذا ...

ولترى وضوح هذه الصلة وتدرجها ، نورد ما أورده الغزالي في احياء علوم الدين <sup>(١)</sup> قال : « قال ابن مجاهد لابن داود : ... اي شيء تقول يا أبا بكر في من انشد بيت شعر ، أهو حرام؟؟ فقال ابن داود : لا . قال : فإن كان حسن الصوت حُرِّم عليه انشاده؟؟ قال : لا . قال : فإن انشده وطوله وقصر منه الممدود ومدّ منه المقصور ، أيجرم عليه ؟ قال : انالم اقو لشيطان واحد فكيف اقوى لشيطانين؟؟ » .

وصلة الانشاد بالغناء والموسيقى صلة عامة نلاحظها عند الامم عامة . كان اليونان ينشدون اشعارهم على نغم القيثارة ، وكان الألمان يسلكون مسلك اليونان في هذا ، وكان الفرنسيون ينشد منشدهم على نغم شبابة عربية ذات ثلاثة اوتار ، واذا تعبه الانشاد ظل ينغم حيناً بشبابته بلا انشاد <sup>(٢)</sup> . والعرب نجد بينهم المنشدين المنين ، امثال اسحق الموصلي ، وجمعه البرمكي . ولنا نذهب الى ان الشاعر يجب ان يكون مغنياً أو منشداً ، ولا إلى ان المغني او المنشد يجب ان يكون شاعراً ، وذلك لأن لكل منها ملكة خاصة ، وقد يوهب المرء احدهما ويحرم الاخرى . وفي هذه الحالة قد يتصاحب الشاعر والمنشد ، والشاعر والمغني ، لان كلا منهما يشعر ان صاحبه متم لما فيه من نقص او عجز ، وسنشير الى هذا في حديثنا عن المنشدين .

نقول : هذه المصاحبة ، وهذه الصلة بين الغناء والشعر جعلت المتحدثين عنهما - من الناحية الدينية ، والناحية الفنية احياناً - لا يستطيعون ان ينفردوا بالحديث عن احدهما دون أن يلحقوا به الآخر . يتحدث الامام الغزالي في باب السماع عن الغناء ، فيفيض بالحديث عن الشعر ، وعن روايته . ويتحدث الجرجاني عبد القاهر في كتابه «دلائل الاعجاز <sup>(٣)</sup>» مدافعاً عن الشعر فلا يرى بداً من أن يرد على من زعم انه انما كره الوزن لانه سبب لان يغني به في الشعر .

(١) الغزالي ، احياء علوم الدين ٢ / ٢٢٠ .

(٢) مقدمة البستاني للايادة ص : ٣٨ .

(٣) دلائل الاعجاز ص : ٢٠ .

ولهذه الصلة الوثيقة بين الغناء والشعر ، صار المتحدثون اذا تحدثوا عن الشاعر قرنوه بالمغني ؛ فابن رشيق يفاضل بينها ويتعصب للشاعر في المفاضلة ، وكأنه يرد على من زعم ان انشاد الشاعر واقماً وغناء المغني قاعساً يحط من قدر الشاعر ويرفع من شأن المغني ، فيقول : « فأما قيامه وجالوس صاحب اللحن فلأن هذا متشوف اليه يحب السماع من بحضرتة اجمعين بغير آله ولا معين ، ولا يمكنه ذلك الا قاعماً أو مشرفاً ، وليدل على نفسه ويعلم انه المتكلم دون غيره » (١) .

واذا رأينا الشعر والانشاد والغناء يكتفون كالشيء الواحد ، فلا نعجب ان يرى الشاعر والمنشد والمغني يكون واحداً ايضاً . ويبدو لنا ان هذه الحرف الثلاث ، او هذه الفنون الثلاث كانت فناً واحداً في اصلها ونشأتها ، ثم صارت تتفرق عن بعضها وتمايز ، شأنها شأن بعض الحرف والفنون التي كانت مجتمعة ثم تفرقت ، ولكن اصحابها ظلوا يشعرون انهم مترابطون متكاملون ، لا تكل لاحدهم حرفته الا بمعونة صاحبه . وفي تأريخ الشعر العربي نجد الكثير ممن تجمعت فيهم هذه الفنون الثلاثة . قالوا عن الاعشى ميمون بن قيس - الذي كان يسمى صناجة العرب - انه كان يغني اشعاره (٢) . وقالوا مثل هذا عن الخنساء (٣) . وجميلة كان شاعراً مغنياً معروفاً . ويقول أبو الفرج عن حنين : كان شاعراً مغنياً فحلاً من فحول المغنين (٤) . وكان الدارمي شاعراً مغنياً ثم نساك وترك الغناء وقول الشعر (٥) وكان ابو النضير من شعراء البصريين ، وكان يغني بالبصرة ، وكان صديقاً لابن الاحقى ثم تصارما وتهاجيسا . وقد جن بالغناء جنوناً ، وفيه يقول ، اسحق شيخ المغنين والشعراء (٦) :

(١) السمة ص ١

(٢) فارس ص ٢٩ .

(٣) فارس ص ٣٠ والاغاني ١٣/١٤٠ .

(٤) الاغاني ٢/٣٤٠ .

(٥) الاغاني ٣/٤٦ .

(٦) الاغاني ١١/٢٨٨ .

سكتُ عن الغناء فلا أماري بصيراً ، لا ولا غيرَ البصير  
مخافةً ان أُجننَ فيه نفسي كما قدُ جنَّ فيه ابو النضير

وكان ابراهيم بن المهدي شاعراً مغنياً ، وكذلك كانت اخته عليه . ولنا نود ان نكثر من تعداد هؤلاء الشعراء المغنين .. نقول كان المغني والشاعر شخصاً واحداً حتى اذا استقل كل منهما بصنعتة ظل المستقل منهما يشعر بحاجته الوثيقة الى صاحبه . وقد يتلازمان . كان اعشى همدان شاعراً معروفاً وكان احمد النصبي مغنياً مشهوراً ، وكان اعشى همدان مواخياً ومواصلاًه واكثر غنائه في اشعاره <sup>(١)</sup> . ولما خرج اعشى همدان مع الثائرين مع ابن الأشعث على الحجاج خرج احمد النصبي المغني معه لالفته اياه ، فجعل الاعشى يقول الشعر في ابن الأشعث يمدحه واحمد يغنيه <sup>(٢)</sup> . وصحب الشعراء المغنين ، ولا عجب فالغناء مضمار الشعر <sup>(٣)</sup> ، قال الشاعر :

تغن بالشعر إّما كنت قائله إن الغناء لهذا الشعر مضمار

وقد احس الشعراء ان شعرهم يكتسب سحراً وتأثيراً جديداً حين يغنى به . قال الادمعي : قلت لبعض الأعراب : انشدني شيئاً من شعرك . قال : « كنت اقول الشعر وتركته » . فقلت : ولم ذاك ؟ قال : « لاني قلت شعراً وغنى فيه حكم الوادي وسمعتة فكاد يذهل عقلي ، فأليت الا اقول شعرا » <sup>(٤)</sup> . ويحدثون عن جرير انه قدم المدينة فأناه الشعراء وغيرهم ، وفيهم اشعب ، وحادثوه ساعة وخرجوا وبقي اشعب . فقال جرير : اراك قبيح الوجه لئيم الحسب ، فقيم قعودك وقد خرج الناس ؟ فقال له اشعب : إنه لم يدخل عليك احد هو انفع لك مني . قال : وكيف ! ؟ قال : لاني آخذ رقيق شعرك فأزينه بحسن صوتي ... وغناه بشعره :

« يا اخت ناجية السلام عليكم »

(٢) الاغاني ٤٦/٦ .

(٤) الاغاني ٣٨١/١١ .

(١) الاغاني ٦٩/٦ .

(٣) الامة ٣١٣/٢ .

فاستخف جريراً الطرب لغناؤه بشعره حتى زحف اليه واعتنقه. (١) وقالوا عن كثير إنه كان يطرب ويرتاح اذا سمع المغني سبيداً الرأس يعني بشعره (٢) :

هلا سألت معالم الاطلاع      بالجزع من حرص وهنّ بوالي؟  
سقيا لعزة خلّتي سقياً لها      اذ نحن بالهضبات من املال  
اذ لا تكلمنا ، وكان كلامها      نفلأ نوء مـله من الأنفال

ويحدثون الاحاديث الكثيرة عن الشعراء يفتنون باشعارهم فيحدث لهم من الهياج والاثارة ما لا يستطيعون ان يملكوا معه نفوسهم . يحدثنا ابو الفرج ان عمر بن ابي ربيعة كان يشق ثيابه لفرط هياجه ساعة يسمع جميلة المغنية تغنيه بشعره ، وكان يعتذر ان يقع هذا منه اذا سكن الى نفسه . ونرى من حرص الشعراء على هذا واشتياقهم اليه انهم يجعلونه امنيتهم التي يتمنونها . قال جحظة : حدثنا حماد بن اسحق عن ابيه قال : « قيل لابي العتاهية عند الموت : ما تشتهي ؟ فقال : اشتهي ان يجيء مخارق فيضع فيه على اذني ثم يغنيني (٣) :

سيعرض عن ذكرى وتلسى مودتي      ويحدث بعدي للخليل خليل  
اذا ما انقضت عني من الدهر ليلة      فإن غناء الباقيات قليل !

وشهوة ابي العتاهية هذه هي امنية اعشى بنى سليم ! إنه يجب ان يسمع المغنّي دحمان قبل ان يموت . واليه يقول :

فابلغوه عن الاعشى مقالته      اعشى سليم ابي عمرو سليمانا  
قولوا : يقول ابو عمرو لصحته      ياليت دحمان قبل الموت غنّانا (٤)

هذه ناحية ، وناحية اخرى هي ان الشعر والشاعر قد يكونان خاملين فيرفع الغناء من امرها . يقول ابو الفرج (٥) : « ابراهيم بن سيابة ... من مقاربي شعراء وقته ليست له

(١) الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٣٠٧ (٢) الاغانى ٣/٣١٥ .

(٣) الاغانى ٤/١٠٩ . (٤) الاغانى ٤/٣٢ . (٥) الاغانى ١٢/٨٨ .

نباهة ولا شعر شريف ، وانما كان يعيل بمودته ومدحه الى ابراهيم الموصلي وابنه اسحاق  
فغنيا في شعره ورفعاه منه .

يضاف الى هذا ان الشعر عند العرب ، اصبح - من قبيل الاسلام الى قبيل عهدنا  
هذا - حرفة يحترفها الشعراء يتكسبون بها ، وقد لا يكون لبعضهم وسيلة للعيش غيرها ،  
وعلى هذا فالشاعر يهيم ان يعنى المغنى اهل الثراء من رجال الدولة بشعره ، وكثيراً ما يثار  
السؤال في مجلس الغناء عن الشعر والشاعر فيثاب الشاعر بجائزة عليه . يقول أبو الفرج  
في الحديث عن ابن سيّابه ايضاً : « ان ابراهيم الموصلي وابنه اسحق .. كانا يذكرانه  
للخلفاء والوزراء ويذكرانهم به اذا غنّيا في شعره فينهعانه بذلك (١) » . وينشد محمد  
الراوية المعروف بالبندق، ينشد الرشيد عينية الشاعر النمري ، فيعجب بها الرشيد ، ويبعث  
لنمري سبعة آلاف دينار (٢) .

هذه الصحبة التي نراها بين الشعراء والمغنين نرى مثيلاً لها بل اوثق منها بين  
الشعراء والمنشدين .

#### الشعراء والمفسرون :

ولئن كان الشعر قد استقل واستغنى عن ان يعنى به فانه لم يستغن عن يحسن انشاده ،  
وكيف والانشاد يحمل معه الشطر الاكبر من سحره ؛ في الغامه او اوزانه وفي معانيه . ؟  
لقد بينا اننا لا نستطيع ان نتصور الشعر - في بداية نشأته على الأقل - إلا منشداً  
وذلك ان الكتابة لم تكن قد عرفت بعد ، او لم تكن قد استعملت في تدوين القصائد ،  
وكان الشاعر ينشد اشعاره وسط جمهور يستمع اليه ، وقد ينشدها على آلة فعل المغني ،  
فالشعر يجري على لسانه نشيداً مرتجلاً متدفقاً .

ويتحدث الجرجاني - صاحب الوساطة - عن البحري ، يطري صنعة الشعرية فيقول :  
« ثم تأمل كيف تجد نفسك عند انشاده ، وتفقد ما يتداخلك من الارتياح ، ويستخفك

(٢) نفس المصدر ١٣/١٤٨ .

(١) الاغانى ١٢/٨٨ .

من الطرب اذا سمعته <sup>(١)</sup>». والشعر يكون اكثر تأثيراً في النفوس اذا احسن انشاده ، والى هذا يشير جرير <sup>(٢)</sup> مهدداً في هجائه لبني طهية اذ يقول :

يا عقب يا ابن سنيح بعد قولكم      إن الوثاب لكم عندي بمرصا  
ارووا عليّ وارضوا بي صديقكم      واستسمعوا يا بني ميثاء النشادي

والشعراء - في الغالب - يكونون منشدين بارعين . وينمي قابلية الانشاد فيهم انهم ينشدون جماهيرهم المستمعين المحبين لسماح الشعر ، ويزيد في هذه القابلية عند الشعراء العرب خاصة انهم كانوا ينشدون الأمراء والولاة والخلفاء مجتمعين في شبه مباراة في الإنشاد . يجلس الخليفة او الوالي ويجتمع الشعراء في بابه ينشئون بولاية او عيد او حدث هام ، ثم يأذن لهم فيدخلون المجلس ينشدون بحضرة المستمعين ، ويثابون بمقدار تأثير شعرهم في نفسه .

وفي الاغاني ان المهدي جلس للشعراء يوماً ، فاذنب لهم وفيهم بشار واشجع وابو العتاهية <sup>(٣)</sup> .

وقد يسمو بعضهم لدرجة لا يرى لنفسه ان يدخل ضمن المتبارين <sup>(٤)</sup> . وقد تمنح لبعضهم الجائزة بغير انشاد فيلجح في ان ينشد اظهاراً لمحاسن شعره . دخل مسلم بن الوليد ، صريع الغواني ، على الفضل بن سهل ينشده شعره ، فقال له الفضل : ايها الكهل اني اجلك عن الشعر فسل حاجتك ، فقال : بل تستمّ اليد عندي بان تسمع .. ثم انشده <sup>(٥)</sup> .

والشعراء - ولا سيما الجاهليون الذين وصلتنا اخبارهم - كانوا يحسنون الانشاد ، والكتب تحدثنا بالعجب عن جودة انشاد بعضهم ، كالذي مر من انشاد الحارث بن حلزة لعمر بن هند <sup>(٦)</sup> .

(٢) ديوان جرير ص : ١٤١

(١) الوساطة ص : ٢٧

(٣) الاغاني ٣٤/٤

(٤) انظر حديث الحسين بن الضحاك مع الواقفي في الاغاني ١٩٦/٧

(٦) الاغاني ٣٤/٤

(٥) العمدة ٤٥/١

وكالذي نسمعه عن النابغة وحسان والاعشى والخنساء في انشادهم بسوق عكاظ<sup>(١)</sup> في الجاهلية وعن غيرهم في الاسلام، ويمر جرير بسراقة البارقي الشاعر والناس مجتمعون على سراقة وهو ينشد، فيعجبه ويستحسن نشيده، فيقف متعجباً متسائلاً<sup>(٢)</sup> عنه. وينشد البحري أباسعيد محمد بن يوسف الثغري، قصيدته:

أأفاق صب من هوى فأفيقا أو خان عهداً أو أطاع شفيقا

فيسر أبو سعيد ويستخفه الانشاد فيصيح: «أحسنت والله يا فتى وأجدت!». ويسمعه أبو تمام - وهو ينشد - فيهتز من قرنه الى قدمه، استحساناً له<sup>(٣)</sup>. والشعراء المجيدون في انشادهم لا يرضون أن تصل قصائدهم الى مستمعها إلا منشدة، هـذا أبو الطيب المتنبي نقرأ ديوانه فلا نكاد نجد قصيدة فيه الا ويقال في مقدمتها: إنه أنشدها عام كذا، ومناسبة كذا.

هؤلاء الشعراء المنشدون قد لا يجدون حاجة الى منشد، على ان بعض الشعراء كانوا لا يجدون بدأ من الاستعانة براوية منشد. يقولون عن أبي تمام انه لم يكن يحسن الانشاد وانه امتدح ابا دلف فافتتح ينشد قصيدته المشهورة:

«على مثلها من اربع وملاعب»

وكانت فيه حبة شديدة، فصاح صائح من الحاضرين فوقف قالوا: «لعنة الله والملائكة والناس اجمعين!»<sup>(٤)</sup> هذه الحالة وامثالها جعلته يلجأ الى منشد يصاحبه وينشد اشعاره، يقول الصولي: «... حدثني عن الرازي، قال: شهدت ابا تمام و غلام له ينشد ابن ابي دواد<sup>(٥)</sup>:

لقد انت مساوي، كل دهر محاسن احمد بن ابي دواد

فما سافرت في الآفاق الا ومن جدواك راحتي وزادي

ويقول الصولي أيضاً: انه امتدح المعتصم بسر من رأى بعد فتح عمورية، فذكره ابن ابي دواد للمعتصم، فقال له: أليس الذي انشدنا بالمصيصة - بلدة بالشام - الأجر الصوت؟! قال: يا أمير المؤمنين إن معه راوية حسن النشيد، فأذن له، فأنشده راويته مدحه.

(١) طبقات خول الشعراء ص: ٣٨٠. (٢) الاغانى طبعة السادس ١٧٠/١٨.

(٣) الاغانى ١٧٠ / ١٦ طالساسي. (٤) العمدة ٢٢١/١ ط ٢ (٥) اخبار أبي تمام ص ١٤١.

وحالة أبي تمام هذه رأى فيها الشعراء المناوئون له عيباً يغمزونه به : قال عبد الصمد ابن المعتدل يعرض به ، وينسب هذا الى ابي العميثل والى مغلد بن بكار الموصللي ايضاً (١) :

يا في الله في الشعر ويا عيسى بن مريم انت من احسن خلق الله ما لم تتكلم  
وتشبه حالة ابي تمام هذه حالة زياد الاعجم ، قالوا : كان جزل الشعر ، وكانت في لسانه  
عجمة فللقب بالاعجم ؛ لنقصان آله نطقه عن اقامة الحروف ، فكان ينطق الحاء هاء ، يعبر عن  
الحمار « بالهمار » . وقد لُج خصومه الشعراء في هجائه ، على نحو ما فعل خصوم أبي تمام  
متخذين من هذه الهجنة ذريعة لهم في تعييره . يقول المغيرة بن حنبل مشيراً إلى هذا :

اللق العصابة يا زياد فاعلم  
تهجو الكرام وانت الأم من مشى  
ويقول ايضاً :

لثيماً ذميماً أعجمياً لسانه  
اذا نال دنأ لم يبال المكارما (٢)

وننظر في ديوان الشاعر مبيار الديلمي فنراه يرسل قصائده الى ممدوحيه ، ونرجح انه  
لم يكن يحسن الانشاد ولذلك كان يفضلها مرسله مكتوبة اليهم .

وفي عصرنا هذا ، كان المرحوم امير الشعراء احمد شوقي ، لا يحسن الشاد شعره ، وكان  
يبعث من ينوب عنه في انشاده ، وقد غمزه بعض خصومه ، على نحو ما غمز أبا تمام خصومه  
وعرضوا به في هذا .

عرض به المرحوم عباس محمود العقاد في نقده لمسرحية قبيز . قال العقاد في آخر نقده  
للمسرحية بعنوان : ( شوقي بين يدي قبيز (٣) ) :

قبيز لكاهنه سابور :

سابور من هذا القزم في جانب الهرم

سابور الكاهن :

مولاي هذا شاعر في مصر يغتاب الامم

(١) الموازنة ص ٥ .

(٢) كتاب الصناعتين - لابي هلال العسكري ص ٨ والاعاني ١٥/٣٨٠ .

(٣) انظر قبيز في الميزان ، ص ٧٨ وما بعدها .

اضعف من صاغ مديحاً في القصيد أو شتم  
وناطق اذا جرى حديثه على القلم  
لكنه في صمته ابه او فيه بكم

قميز :

يا ويله ! جثني به اشفيه من داء البكم

هؤلاء الشعراء وأمثالهم كانوا لا يجدون بداً من ان يلجأوا الى المنشدين - ومن هنا  
اصبح الانشاد فناً آخر ، اختصت به طائفة اخرى ، راحت تسير جنباً الى جنب مع طائفة  
الشعراء .

الإنشاد مرفق :

بيننا ان الغناء والانشاد والشعر ، كانوا فناً واحداً او عملاً واحداً يقوم به فرد ، وهو  
الشاعر . وكانت هذه الفنون الثلاثة ملهامة وتسلية للناس ، ثم اخذت تنفرد عن بعضها ، الواحد بعد  
الآخر . ويبدو لنا ان الغناء هو الذي انفرد او انفردت اولاً وابتعدت عن الشعر ؛ ذلك لأن  
المغني يحتاج الى قابلية خاصة تتعلق بالصوت اكثر من تعلقها بالخيال ، وبقي الانشاد والشعر  
متحدين ، ثم ما لبث المنشد ان اصبح شخصاً آخر قد يكون غير الشاعر وغير المغني .  
وهكذا اصبح الانشاد حرفة مستقلة لها اهلها التخصصون بها . ان المغني يحتاج الى  
الصوت وهو عماده ، وكذلك امر المنشد . وان الصلة الوثيقة بين الشعر والانشاد حتى  
لنجد الأوزان الشعرية ، عند الامم كلها لا تزيد مقاطع البيت الواحد منها على قدر معين ،  
وهو عند العرب ذلك القدر الذي نلاحظه في البحور الشعرية غير القصيرة ، كالبحر الطويل  
والبحر البسيط والبحر الوافر . والمنشد في هذه البحور يحتاج الى استعادة النفس حين يبلغ  
نهاية البيت . وقد يحتاج لأن يستريح ويستعيد نفسه وهو ما يزال في وسط البيت وربما  
كان العرب - والجاهليون منهم خاصة - اطول من غيرهم نفساً في الانشاد ؛ لكثرة ما نجده  
في اشعارهم المنظومة على البحور الطويلة . والمنشد يحتاج الى ذاكرة قوية يخزن بها المقدار  
الهائل من الشعر ثم تكون له القابلية على ادائه الأداء الحسن . وكما اتخذه كل من الغناء  
والشعر حرفة للعيش ، اتخذه الانشاد ايضاً . وصارت حرفة الانشاد شائعة بين اجيال

شئى من الناس ، واصبح للرواة والمنشدين مكانة يحسدون عليها . ومن هنا تعلق بهذه الحرفة اناس لهم علمهم الواسع وذاكرتهم النيرة . يمدننا سقراط وافلاطون وغيرها عن المنشدين الذين كانوا يتهافتون الى مجتمعات الناس في اثينا وغيرها من مدن اليونان ينشدون ما حفظوه ، من الياذة هو ميروس وغيرها . وقيام هؤلاء المنشدين بين العامة والخاصة كان من لوازم كل احتفال وطني ، وعيد ديني وكانت تقام لهم في اثينا وساقس وتيوس واخميناء ، وفي مدن اخرى غيرها اسواق خاصة يتبارون فيها بانشادهم وتعد لهم الجوائز الثمينة يحرزها المبرز منهم ، ويحرص عليها حرص الفائز على اكليل الغار بعد الانتصار<sup>(١)</sup> . وللفرس حلقات يُستمع فيها الى الانشاد ، ونقل الكسندر شدزكو<sup>(٢)</sup> : « ان حفاظ العجم يتلون من شعر شعرائهم ما لا تكاد تصدق ان الذاكرة تعيه لكثرتة ، فقد يظل المنشد يتغنى باشعار الشاهنامه نهاراً كاملاً » وللقارىء ان يتصور كم من الأبيات يمكن ان تنشد في نهار ! .

وقد يجنح الواحد منهم الى التخصص في إنشاد شعر لشاعر بعينه ، او الى الإنشاد في موضوع معين<sup>(٣)</sup> وتوضح لنا قدرة المنشدين على الإنشاد وعلى وفرة محضوهم من الشعر اذا نظرنا الى ما اشار اليه هو ميروس نفسه اذ انه انطق اوذيس في الاودسة بما يربو على الفين ومئتي بيت نفساً واحداً .

ويرى بعضهم ان هؤلاء المنشدين من اليونان كانوا ينتمون الى عشيرة خاصة : وان هذه الفئة قد جعلت الانشاد حرفتها التي يتوارثها الابناء عن الآباء . واذا كان هناك ما بعث الى اعتقاد طائفة من نقاد الشعر العربي ، الى ان الشاعرية تختص بقبيلة حيناً ، وبسلالة حيناً ، وان الأب الشاعر قد يولد ابناً شاعراً - فاننا نستطيع ان نقول : ان الإنشاد - كما رآه البعض -<sup>(٤)</sup> كان حرفة متوارثة شأنها شأن الشعر<sup>(٥)</sup> .

(١) مقدمة الاياذة للبستاني ص ٣٥ - ٣٦ .

(٢) ALEXANDER CHODZKO . Specimens of The Popular poetry of persia , London 1842 p : 15 .

(٣) الاياذة ٣٥ - ٣٦

(٤) الماركسية والشعر ص ٤٦

(٥) انظر الوصف في شعر العراق ص ١١٩ وما بعدها للدكتور جميل - يدطبة «الهلل» بغداد سنة ١٩٤٨ .

وفي مقدمة الإلياذة <sup>(١)</sup> ان الانشاد ، كان وما يزال مهنة العميان . قالوا : وهي تحببهم الى الناس وتجعل لهم مقاماً ذا نفع . وكان من شأن هؤلاء التنقل من بلد الى آخر ، فهم يطوفون في بلاد اليونان وجزرها ، وهمم استظهار ما تسعه اذهانهم من الأشعار القديمة والحديثة . وقد يبلغ ما يحفظه الواحد منهم حدّ الغرابة في كثرته . وحيثما يحلون يجتمع الناس اليهم فيأخذون في الانشاد بما ناسب المقام . وهم في الغالب يؤثرون الانشاد بين عامة الناس ، لان العامة اكثر اقبالاً عليهم واكل تعنتاً في انتقاء المواضيع . والمنشدون فئتان ، فئة تنشد محفوظها من شعر الشعراء ، وهي الفئة الكبرى . وفئة قليلة تنشد من محفوظها ومنظومها وهي ارفع منزلة واعلى جاهاً .

اما العرب فنشدهم على العكس من هؤلاء . ان الفئة التي تنشد شعرها الذي انشأته وحفظته هي الفئة الغالبة الكثيرة . اما الفئة التي تنشد شعر غيرها - وهي فئة الرواة والمنشدين الذين لا يقولون الشعر - فقليلة بالقياس الى تلك . ولا عجب في هذا اذا تصورنا ان العرب امة شاعرة ، حتى لقد ذهب ابن قتيبة الى ان العرب - كل العرب - يستطيعون ان ينظموا الشعر ولكن طائفة الشعراء هي تلك الطائفة التي اختصت بنظم الشعر وجعلت منه ديدنها وحرقتها . وذهب المعري في « رسالة الغفران » الى قريب من رأى ابن قتيبة هذا ، فيبين ان الشعر قرآن ابليس المارد .. وان ابليس الاعين نقشه في اقليم العرب فتعلمه رجال ونساء .

قال ابو العلاء على لسان ابن القارح في موقف الحشر : « وانصرفت بألمي الى خازن آخر يقال له زفر... فقلت : رحمك الله كنا في الدار الذاهبة نتقرب الى الرئيس والملك بالبيتين او الثلاثة فنجد عنده ما نحب ، وقد نظمت فيك ما لو جمع لكان ديوانا ، وكأناك ما سمعت لي زجة - اي كلمة - فقال : ... احسب هذا الذي تحيثني به قرآن ابليس المارد ولا ينفق على الملائكة ، انما هو للجان وعلموه ولد آدم ... فمن اي الامم انت ؟ فقلت : من امة محمد بن

(١) مقدمة الإلياذة ص ٣٦

عبدالله بن عبد المطلب فقال : صدقت ، ذلك نبيّ العرب . ومن تلك الجهة اتيتني بالقريض لأن ابليس اللعين نشته في اقليم العرب فتعلمه نساء ورجال (١) .

على ان العرب وان كان الشعراء - في الغالب - هم انفسهم المنشدون لاشعارهم ، فاننا لانعدم طائفة المذشرين المحترفين فيهم . والمنشدون طائفتان ايضاً ، احدهما تروي وتحفظ مقداراً كبيراً من الشعر وهي لا تختص بموضوع ولا بشاعر ولا بعصر ، ولعل خير من يمثل هذه الفئة حماد وقد شهر بكثرة حفظه حتى لُقّب « بالراوية » . وفي كتب الأدب من كثرة محفوظ هذا الراوية ما يدعو الى العجب ، وما لا يكاد يصدق . يسأل الوليد بن يزيد الخليفة ، حماداً الراوية هذا : بم استحققت لقب الراوية هذا ؟ فيقول حماد : اني اروي لكل شاعر تعرفه يا أمير المؤمنين او سمعت به . قال : فكيف مقدار ما تحفظ من الشعر ؟ قال كثير ! ولكفي انشدك على كل حرف من حروف المعجم مائة قصيدة كبيرة ، سوى المقطعات من شعر الجاهلية دون الاسلام . قالوا : ثم امره بالانشاد ليمتحنه فانشد حتى ضجر الوليد ، فوكل به من يثق بصدقه فانشده الفين وتسع مائة قصيدة للجاهلية (٢) . هذا هو حماد الراوية ، على ان اكثر الرواة كان يختص بشاعر يحفظ شعره وينشده . وكما أن الشعراء يجيد بعضهم في فنون الشعر عامة ، حتى تستوي عنده ، وقد يبرز فيها جميعاً ، وقد يجيد بعضهم في فن واحد منها ، كذلك كان الرواة والمنشدون .

يقول ابن سلام : قال اصحاب الاعشى : « هو اكثرهم عروضاً واذههم في فنون الشعر .. واكثرهم مدحا وهجاء ، ووصفاً كل ذلك عنده .. » . ويقول ابو عمرو بن العلاء عنه : « مثله مثل البازي يضرب كبير الطير وصغيره (٣) » وقال ابو الفرج عن الخطيئة : « وهو من نخول الشعراء .. متصرف في جميع فنون الشعر ، من المديح والهجاء والفخر والنسيب .. مجيد في ذلك اجمع » (٤) .

(١) الغفران ص ٢٠٦

(٢) انظر حماد الراوية في : « الاعلام » للزركلي ،

(٣) طبقات نقول الشعراء ص ٥٥

(٤) الاغانى ١٥٧/٢ .

وقال عن البحتري : « وله تصرف حسن في ضروب الشعر ، سوى الهجاء فان بضاعته فيه نزره وجيده منه قليل »<sup>(١)</sup> . واذا كان هؤلاء - وعددهم ليس بالكثير - قد شهروا بضروب الشعر كافة فان الشعراء عادة يختص كل منهم بفن يجيده ، وقد لا يحسن في غيره احسانه فيه . كان جرير يقول : « النصراني انعتنا للخمر وامدحنا للملوك .. » ويقول الاخطل : « جرير انسبنا » . ويقول مروان بن حفصة<sup>(٢)</sup> :

ذهب الفرزدق بالفخار وانما حلو القريض ومره لجرير  
ومن هنا قالوا : « كفاك من الشعراء اربعة : زهير اذا رغب ، والنابغة اذا رهب ،  
والاعشى اذا طرب ، وعنترة اذا كلب »<sup>(٣)</sup> .

وكما كان هؤلاء الشعراء يختص كل منهم بضرب من الشعر يجيده ، كذلك كان الرواة المنشدون . ان الواحد منهم يتعلق في الغالب بشاعر يحفظ شعره ، وينشده . وكما يحدثنا سقراط عن ايون انه اختص باشعار هوميروس<sup>(٤)</sup> وانه لا يباريه في اجادته لها انسان ، وانه متعلق بهوميروس حتى انه ليتوهم انه لا يستطيع ، او لا يحسن انشاد اشعار غيره ، بل انه ليحسن باسترخاء ونعاس حين يستمع لغير شعر هوميروس واذا ما استمع الى شعر هوميروس تيقظت نفسه واعتراه النشاط والارحية في انشادها .

ان سقراط يحدثنا عن هذا ، وربما كان اكثر الرواة والمنشدين العرب متعلقين بشعراهم على هذا النحو . كان عبيد راوية الفرزدق . وكان لجرير راوية اسمه الحسين ، وكان محمد بن سهل راوية الكهيت<sup>(٥)</sup> ، وكان ابو السائب بن حكيم راوية كثير عزة ، واليه يقول كثير :

سألت حكيم ابن شطت بها النوى      فخبّرني ما لا احب حكيم<sup>(٦)</sup>

(١) الموازنة ص ٧      (٢) الشعر والشعراء ص ٢٨٧ .      (٣) العمدة ١/٩٥ .

(٤) The Dialogues of Plato- Translated by B. JOWETT Fourth Edition P. 103

(٥) مصادر الشعر الجاهلي ص ٢٣٨ .

(٦) الاغانى ١٢ / ١٨٩ .

ونقول : وكما يجيد الشاعر ضرباً من ضروب الشعر فيحسنه فكذلك المنشد ، انه قد يجيد ضرباً من الانشاد ، وقد تراه ليس شيئاً اذا هو حاد عنه الى غيره . كان استاذنا الجليل الاستاذ بكلية الآداب بجامعة القاهرة - المرحوم عبد الوهاب حمودة ، ينشدنا اشعار البارودي الحماسية :

واني امرؤ لولا العوائق اذغت      لسلطانه البدو المغيرة والحضر  
من النفر الغرّ الذين سيوفهم      لها في حواشي كل داجية فجر  
اذا استل منهم سيد غرب سيفه      تفزعت الافلاك والتفت الدهر

فتأخنا روعة الشعر بروعة الانشاد . واذكر اننا بعد ذلك درسنا البارودي الشاعر مع استاذنا الجليل المرحوم احمد امين ، وانه استشهد بابيات البارودي هذه ، فانشدها فلم نره يحمل الينا بانشاده ما كان يحمله الينا الاستاذ حموده من سحر وروعة .

على ان الاستاذ احمد امين كان - رحمه الله - يجيد ضرباً آخر من الانشاد ، هو انشاد ذلك الشعر الوجداني الحزين . ولم يكن بيننا من لا تأخذه روعة الانشاد ، وتغشاه سحابة من الحزن ، حين كنا نسمعه ينشد وكأنه يناجي نفسه .

ليس وعدتني يا قلب ابي      اذا ما تبت عن ليلى تنوب  
فها انا تائب عن حب ليلى      فما لك كلما ذكرت تذوب !؟

وكان من المنشدين من برع في الانشاد حتى وازى به الغناء اثرأ ، يقول ابو الفرج (١) : « وكان انشاد محمد البيدق يطرب كما يطرب الغناء . » والبيدق هذا لقب لقب به لقصره . قالوا : وكان ينشد هارون اشعار المحدثين وكان احسن خلق الله انشاداً . ويحدث ابو بكر ابن دريد .. انهم استمعوا الى غلام من بني اسد ينشد شعر المرار :

سكنوا شبيثاوا الأحصّ واصبحوا      نزلت منازلهم بنو ذبيان  
واذا يقال أتيتم لم يرحبوا      حتى تقيم الخيل سوق طعان

قال : فكادت الارض تسوخ بي لحسن الشاده (٢) .

(٢) الامالي ١ / ٦٥ .

(١) الاغانى ١٣ / ١٤٨

(١)

## ابن الفوطي

المطبوع باسم الحوادث الجامعة لبس لابن الفوطي

### الذخيرة المصنفة في حوادث

١٢ - الحوادث الجامعة والتجارب النافعة الواقعة في المائة السابعة ، هكذا أسماه ابن رجب ، كما نقلنا من كتابه ذيل طبقات الخبابة سابقاً ، قال : « وذكر غير الذهبي أنه جمع الوفيات من سنة ستائة سماه الحوادث الجامعة والتجارب النافعة الواقعة في المائة السابعة وهذا هو الذي أشار إليه الذهبي » يعني قول الذهبي - وقد نقله قبلاً - : « وكتاب حوادث المائة السابعة والى أن مات » . وفي الحلق أن حصره بالمائة السابعة وقصره عليها يدفع قول الذهبي « والى أن مات » . والذي استمر عليه الى أن مات هو « التاريخ على الحوادث » كما ذكرنا من قبل .

وسماه مؤلف كشف الظنون « الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة » قال : « لكamal الدين عبدالرزاق بن أحمد المعروف بابن الفوطي البغدادي المتوفى سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة » . وقال في مادة التاريخ : « تاريخ ابن الفوطي متعدد كالدليل على الجامع المختصر لشيخه ابن الساعي ، والحوادث الجامعة في الوفيات وجمع الآداب » وكرر ذكر الحوادث الجامعة في ثبت كتب التاريخ المجرد .

وقد وجدنا تاريخاً مخروم الأول مبدأً الباقي منه سنة ١٢٦ ، ومنتهاه سنة « سبعمائة » من الهجرة في خزنة كتب الأب أنستاس ماري الكرملي وهي خزنة الآباء النصاري الكرمليين

(١) نسخة المقالة المنشورة في هذه المجلة « مج ٩ ص ٤٣ - ١٦٤ » .

ببغداد التي أهدي أكثر مخطوطاتها العربية إلى المتحف العراقية المعروفة بالمتحف العراقي وهو مخطوط بخط عصري حديث تغلب عليه الزكاة ، ثم علمنا أن نسخة الأصل هي في خزانة كتب الأستاذ المحقق أحمد باشا تيمور - وكان إذا ذاك حياً - وأنه أمر بنسخ نسخة منه فأهداها إلى الأب أنستاس المذكور ، فانسخت لنفسه نسخة على المخطوطة التي في خزانة الآباء الكرمليين ، وكلمت أحد الكتبيين وهو نعيان الأعظمي المكتبي في أن ينفق على طبعه وأقوم على إخراجه مع تصحيحه والتعليق عليه ، فوافق على ذلك ، وكان الأستاذ الأديب أحمد حامد آل الصراف قد انتسخ لنفسه نسخة فأهدى إلى نسخته ، وإذ كانت نسختي قد علقت عليها وأضفت إليها في حواشها فوائد تاريخية قدمت نسخة الصراف للطبعة ، وكان ناسخها قد تخطى أسطراً من الكتاب لحاجة في صدره ، وحسبت أن النسخة المذكورة كاملة فلم أستوف المقابلة بين مخطوطتي والمطبوع فنقصت النسخة المطبوعة عدة جمل في آخر الكتاب ، وهي في الصفحة ٤٩٥ ونصها : « وألزم الناس بالقيجوز وزاد في قرار التفتات » وهي بعد قوله « ثم ضاعف الخراج كما فعل جل الدين الدستجرداني » .

وسقط من الصفحة ٤٩٤ قول المؤرخ : « وأمر بالزام أهل الذمة الغيار فألزموا بذلك مدة شهرين ثم أزيل » وهي بعد قوله : قوله : « وكان ببغداد فأحضر وقتل » .  
وسقط منها أيضاً قول المؤرخ : « فتخاذلوا عنه » وهي بعد قوله « فأرسل الأمير قتلغ شاه اليهم يتهددم ويخوفهم عاقبة الأمر » .

وسقط من الصفحة ٤٩٣ قوله : « من التفاوت فزادت أدعيتهم » بعد قوله : « فتوفر عليهم شيء كثير » . وسقط منها قوله : « وكل من يتعلق به من نائب وغيره » وذلك بعد قوله : « بقتل إخوة نوروز وأهله وأصحابه » .

وسقط من الصفحة ٤٩٢ قوله : « وكانت الرعية تسير بينهم ومعهم الأشياء الجلوية للبيع فلا يأخذ أحد منهم شيئاً إلا ابتياعاً باللطف واللين ورأى الناس من العدل ما أوجب زيادة دعائهم لدوام دولته ، فلما دخل بغداد لم ينزل في دار إلا بأجرة وما أزعج أحد من منزله »

وذلك بعد قوله : « ولم يتعرض أحد من العسكر لأهل السواد بما جرت به العادة من رعي الزروع وغير ذلك » .

هذا وقد أجلنا الفكر وقلبنا الرأي وأعدنا تصفح هذا التاريخ مراراً فانتبهنا إلى استحالة أن يكون هو « الحوادث الجامعة » لابن الفوطي ، وابتدت الاستحالة على الأمور الآتية :

١ - أن خط ابن الفوطي الباقي المحفوظ في الجزء من الممشور عليها من كتابه « تلخيص معجم الألقاب » وفي الجزء الثاني من كامل ابن الأثير ، وكتاب الأحكام ، وغيرهن يخالف خط مؤلف كتاب « الحوادث » المذكور حتى المخالفة وكل من الكتاين ثبت أنه كتب بخط مؤلفه . والذي دل على أن كتاب التاريخ المذكور بخط المؤلف هو أنه الصق قصاصة ورق على كل خبر وجد خيراً منه فأحله مكانه .

٢ - خفاء ذاتية مؤلف كتاب « الحوادث » بحيث يمكننا عدّه جامعاً لمواده من التواريخ الأخرى سوى إشارات قليلة جداً ، يجوز أن يكون بها المؤلف معاصراً لقسم من الحوادث ، مع ظهور ذاتية ابن الفوطي في كتابه « تلخيص معجم الألقاب (٢) » فلم يكن إذن مانع من ظهورها في كتاب التاريخ لو كان هو مؤلفه .

٣ - اختلاف أسلوب المؤلفين في طريقة الاختصاص والنقل والأدلة على ذلك كثيرة جداً .

٤ - كون كتاب « الحوادث الجامعة » في الوفيات دون الحوادث كما جاء في ذيل طبقات الحنابلة وكشف الظنون ، مع أن كتاب « الحوادث » المطبوع يتوخى الحوادث قبل الوفيات .

٥ - ذكر مؤلف الحوادث مؤرخين اثنين من أساتذة ابن الفوطي ونقله من تواريخها

(١) الحوادث « ص ٢٥٢ ، ٢٥٨ » .

(٢) كقوله : « قلت ورأيت وصمت وصديقتا ورفقتنا وشيختنا أو المحسن البنا ومولانا وحدثنا وروى لنا وأخبرنا وحكي لنا وكتب البنا وأجاز لنا وما أشبه ذلك » .

كأنهما غريبان عنه وبعيدان عن عصره وهما تاج الدين أبو طالب علي بن الحجب ابن الساعي وظهر الدين علي بن محمد الكازروني ، مع ان ابن القوطي يصرح بأسمائهما دائماً في كتبه ، كما نرى في كتاب تلخيص معجم الألقاب .

٦ — عدم العاطفة الدينية الاسلامية على فاجعة المسلمين في كتاب « الحوادث » فهو لم يذكر كلمة « شهادة » ولا كلمة « استشهاد » في حادثة استيلاء هولاء كوفي بغداد سنة ٦٥٦ فما استحق منه كلمة ( الشهادة ) الخليفة المستعصم بالله ولا ابناه أحمد وعبد الرحمن ولا الأمراء ولا العلماء ولا الأبطال ولا النساء ، وكذلك من قتل بعدهم بسيف المغول ، مع أن ابن القوطي مع عيشه بين المغول مدة وخدمته لهم يذكر شهداء تلك الواقعة العظيمة ، والمجزرة البشرية الشنيعة ، بكلمة الشهادة أو الاستشهاد ، وذلك أمر ذو بال .

٧ — نقل مؤلف الحوادث عن جماعة لم ينقل عنهم ابن القوطي ، فقد قال في حوادث سنة ٦٧٣ : « وفيها مات العلم [ أي علم الدين ] الشرمساحي أخو سراج الدين ، المالكي وهو مدرس المالكية بالاستنصرية ، قال ابن البديع <sup>(١)</sup> . وفيه يقول شيخنا <sup>(٢)</sup> :

علم الخنا لا الدين رأسك لتعلم	وليس لغير العمل رأسك بالأهل
نشرت بتدريس ولا نخر لامرئ	بمنصبه إن كان يخلواً من الفضل
وما منصب التدريس إلا غضاضة	إذا ما احتبي فيه نظيرك للجهل
يصيب ولا يدري ويخطي وما درى	كما جاء في تفضيل ذي المنطق الفصل

(١) جاء في تلخيص معجم الألقاب « عفيف الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن جعفر ، يعرف بابن البديع ، البغدادي الفقيه المجلد ، نسكبرني الأصل ، كان من فقهاء السننصرية من الطائفة الخنفية وسمع المشايخ وقرأ عليهم واستفاد منهم وكان أوجده في صناعة التجليد ولذلك كان لا يفارق دار الخلافة ، وقرأ على الشيخ رضي الدين الحسين بن محمد الصفاني ، وعلى صاحب محي الدين استاذ المدارس ابن الجوزي وسمع فاضل القضاة عماد الدين أبا صالح نصر بن عبد الرزاق بن عبد التادر ، وكان يتردد إليه ويحتم به ، ورأيت كثيراً ، وكأنه كتب لي في الاجازة ، وقتل في الواقعة سنة ست وخمسين [ وستمائة ] ، التلخيص ج ٤ ص ٩٦ من نسختي الأولى بخطي « قلعه هو المذكور في الخبر .

(٢) قدم مؤلف الحوادث ذكر شبيهه على ما جاء في الصفحة ٣٨٢ وهو ابن نجاد .

ولو لا سراج الدين قلت مقالة يسيرها الركبان في الحزن والسهل

وكان أخوه سراج الدين صديقاً لشيخنا - رحمه الله تعالى - (١) .

وقال ابن الفوطي في تلخيص معجم الألقاب : « علم الدين أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن ابن عمر الثرمساحي المصري المدرس ، قدم بغداد في خدمة أخيه سراج الدين الى تدريس المتنصرية ، وكانت وفاته سنة ثلاث وسبعين وستمائة ودفن عند أخيه (٢) » .

٨ - نقل مؤلف الحوادث أخباراً عن غيره أو من كتب التاريخ خاصة بسنين ، كان ابن الفوطي قد سمع بعضها عن كتب وشهد بعضاً ، بحيث لا يحتاج إلى مؤرخ ينقلها عنه ، كقتل نحر الدين مظفر بن الطراح بدار النيابة ببغداد سنة ٦٩٤ ، وقد ذكر مؤلف الحوادث ما نصه « وآخر ما قاله | مظفر بن الطراح | وهو في السجن بدار النيابة ببغداد قبل قتله بأيام ، ووجدت بخطه :

القول فيما مضى من عمرنا هدر فدعه واصبر لما يأتي به القدر (٣) »

٩ - ذكر مؤلف الحوادث قوي فضل وإحسان وشيوخاً وأصحاباً وأصدقاء وزملاء في العمل لابن الفوطي ، ولم يذكر في سيرهم أن له (أي للمؤلف) صلة بهم كأئمة ما كانت ، وقد ذكرنا منهم ابن الساعي والسكروروني وتذكر منهم الخواجه نصير الدين الطوسي ، وكان له الفضل الأعظم على ابن الفوطي في السعي نلى خلاصه من الأسر وتعليمه وترتيبه في خزانه كتب الرصد ، وكذلك كان أبنائه الثلاثة له ، ومؤلف « الحوادث » يذكر من يذكر منهم وكأنهم من رجال التاريخ حسب ، ولا صلة له بهم ، فقرأ قوله في حوادث سنة ٦٥٨ قوله : « وفيها وضع نصير الدين الطوسي الرصد بمراغة وعين فيه جماعة يتولون عمله الى أن انتجز سنة الثنتين وسبعين | وستمائة | (٤) » . وقوله فيها : « حكي أن السلطان لما كان بوظاة حران وقف له جمع من الفقهاء القلندرية فقال لنصير الدين الطوسي (٥) ... » وقوله في

(١) كتاب الحوادث « ص ٣٨٢ » .

(٢) التلخيص « ٤ : ٢٥٤ من نسختي الأولى بخطي .

(٣) الحوادث « ص ٤٨٥ » .

(٤) الحوادث « ص ٣٤١ » . (٥) المذكور « ص ٣٤٣ » .

حوادث سنة ٦٦١ « خيمة بها صاحب الديوان علاء الدين وخواجه نصير الدين الطوسي <sup>(١)</sup> ... » . وقال في حوادث سنة ٦٦٨ : « قيل إن خواجه نصير الدين الطوسي اجتمع <sup>(٢)</sup> ... » . وفي حوادث سنة ٦٧٢ : « فيها وصل السلطان أباقا خان الى بغداد وفي خدمته الأمراء والعساكر وخواجه نصير الدين الطوسي ... وأما خواجه نصير الدين الطوسي فانه أقام ببغداد وتصفح أحوال الوقوف وأدر أخبار الفقهاء والمدرسين والصوفية وأطلق المشاهرات وقرر القواعد في الوقف وأصلحها بعد اختلالها <sup>(٣)</sup> » ثم قال في حوادثها : « وتوفي ... خواجه نصير الدين أبو جعفر محمد بن الطوسي في ثامن عشر ذي الحجة ودفن في مشهد موسى بن جعفر <sup>(٤)</sup> ... » . وذكره في غير المواضع التي ذكرناها ، ولم يصحب ذكره لفظاً من الفاظ الاحترام والتعظيم أو الأستاذية وما يجري مجراها . مع أن ابن الفوطي لا يجرد اسمه من « السعيد » أو « للمولى » أو غير ذلك كمولانا <sup>(٥)</sup> .

وذكر مؤلف الحوادث في وفيات سنة ٦٧٢ أيضاً علماً بمن عرفهم ابن الفوطي قال : « وفيها توفي الشيخ كمال الدين علي بن وضاح الشهرستاني الحنبلي مدرس الجاهدية . ودفن تحت أقدام الامام أحمد بن حنبل - رحمهما الله - وكان شيخاً صالحاً زاهداً ورعاً عارفاً بالمذهب والأحاديث النبوية وله تصانيف كثيرة ، كان مولده سنة تسعين وخمسة <sup>(٦)</sup> » . وذكره ابن الفوطي قال : « كمال الدين أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن وضاح الشهرستاني ثم البغدادي الفقيه المحدث للمدرس ، ذكره شيخنا ظهير الدين علي بن محمد بن الكازروني في تاريخه وقال : كان شيخاً منور الوجه ، كيساً طيباً الاخلاق ، عارفاً بمذهب الامام أحمد ، وبالأحاديث النبوية <sup>(٧)</sup> ... كان مولده في رجب سنة تسعين وخمسة ، وتوفي

(١) المذكور « ص ٣٥١ » . (٢) المذكور « ص ٣٦٥ » .

(٣) المذكور « ص ٤٧٧ » . (٤) المذكور « ص ٣٨٠ » .

(٥) قال في ترجمة عماد الدين الايجري : « ولما توجه مولانا السعيد نصير الدين الى بغداد » .

(٦) المذكور « ص ٣١٦ » .

(٧) قال : « ومن تصانيفه الدليل الواضح الى اقتضاء نهج نطق الصالح ، وكتاب الرد على أهل الاتحاد وكتاب مدح العلماء ، وذي الحسنة » .

يوم الجمعة ثالث صفر سنة اثنتين وسبعين وستمائة ، اجتمع له عالم لا يحصى وشدة تآبوتيه بالحبال وحمل على الأنامل الى مقبرة الامام أحمد ودفن تجاه قبره ، قلت : ولي منه إجازة ، وكان صديق والذي وقد رأيت قبيل الواقعة وترددت اليه في خدمة والذي - رح - وكتب الكثير بخطه الرائع من الكتب المطولة والمختصرة (١) . فهل من حاجة لبيان البون البعيد بين الترجميتين وهو واضح مبين ؟ فان ذاتية ابن الفوطي ظاهرة في ترجمته لابن وضاح وذاتية مؤلف النحوادث خافية ، وكذلك القول في ذكر ابن الفوطي لعلماد الدين الحسن بن محمد الأبهري يعرف بالزمهرير (٢) ، قال : « عماد الدين أبو علي الحسن بن محمد بن الأبهري يعرف بالزمهرير شيخ رباط الخلاطية ، كان ببغداد لما وقعت الواقعة ، وجرى ما جرى وحصل في جملة الأسرى من أصحاب أوجاي خاتون ، وأقام عندهم مدينة وقرر في أذهانهم أنه من أولاد المشايخ والصوفية ولما توجه مولانا نصير الدين الى بغداد تشفع وتضرع الى الخاتون وأصحابها في أن توليه مشيخة رباط الخلاطية ، فسألت نصير الدين ذلك فكتب بما أراه ونزل في خدمته سنة اثنتين وسبعين وستمائة ، ورتب شيخاً بالرباط وكتب له الترخا فكان يعلقها فوق رأسه إذا جلس فوق سجادته ، وكان يارد اللهجة فسمي الزمهرير ، ولم يتم أمره ، وعاد الرباط الى شيخه شيخنا شمس الدين اليزدي والحمد لله ، وتوفي الزمهرير سنة ثمان [ وسبعين وستمائة (٣) ] وسألته [ عن مولده فقال ... ] .

ثم ترجمه ابن الفوطي باسم « محمد بن الحسن » قال : « عماد الدين محمد بن الحسن بن أحمد الأبهري ، يعرف بالزمهرير ، شيخ رباط الخلاطية ، قدم ببغداد في صحبتة مولانا نصير الدين أبي جعفر الطوسي وأحضر فرماناً من بعض الخواتين بتوليته رباط الخلاطية ، فلم يجد بداً من ذلك ورتبه شيخاً بالخلاطية سنة اثنتين وسبعين وستمائة ، وكان يلقب بالزمهرير ، وعزل الشيخ شمس الدين محمد بن سعد اليزدي ، واتفق بعد ذلك أن رتب الشيخ

(١) تلخيص معجم الألقاب « ج » الترجمة ٤٦١ من السكاف .

(٢) تلخيص معجم الألقاب « ٤ : ٩٩ ، ١١٩ » .

(٣) قدرت وعنه بذلك من قول المؤرخ « ولم يتم أمره » .

محيي الدين عبد القاهر بن السهروردي في مشيخة الخلاطية وحضره الأئمة والأكابر ، فقرأ  
الامام تاج الدين حسين إمام الحنابلة : لا يرون فيها شمساً ولا زمهرياً (١) .

فتأمل اضطراب كتابة ابن القوطي ونسيانه أنه قد ترجم الرجل قبلاً باسم « الحسن  
بن محمد » وأن شمس الدين بن اليزدي تولى الرباط ثانية قبل محيي الدين بن السهروردي ،  
ودونك ما قال مؤلف كتاب « الحوادث » في أخبار سنة ٦٧٢ :

« وفيها حضر عماد الدين محمد بن حسن الأبهري المعروف بالزمهري ، تقدم بعض  
الخوانسين (٢) إلى خواجه نصير الدين الطوسي (٣) بمشيخة رباط الخلاطية ، فرتبه عوضاً عن  
شمس الدين بن اليزدي ، وكان شيخاً لم يخالط الصوفية ، ولا عرف قواعدهم ولا تأدب  
بآدابهم ، وكان الناس يولعون به فقال له يوماً شمس الدين الكوفي الواعظ : أنت وأنا  
لا نرى في الجنة . فتأثر لذلك واغتاط منه فقال له إن الله تعالى يقول : لا يرون فيها شمساً  
ولا زمهرياً . ولم يزل شيخاً بالرباط الى سنة سبع وسبعين [ وستائة ] ثم سافر وأعيد ابن  
اليزدي الى الرباط (٤) . »

هذا آخر ما أردنا نشره من ترجمة ابن القوطي ، وقد نشرنا موجز ترجمته في أول  
ما بقي من الجزء الرابع من كتابه البارع « تلخيص مجمع الآداب » وهو الذي حققناه  
لوزارة الثقافة والإرشاد في الجمهورية العربية السورية ونشرته بنفقاتها للعالم العربي في  
أربعة أقسام والله تعالى الموفق للصواب .

مصطفى جواد

(١) تلخيص معجم الألقاب « ٤ : ١١٩ » .

(٢) في الخواص ع - ص ٣٨١ - « الخواص » بدلاً من « الخواتين » وهو من غلط الطبع .

(٣) قابل هذا القول بقول ابن القوطي « ولما توجه مولانا السيد نصير الدين » وقوله « قدم بغداد

في صحبة مولانا نصير الدين أبي جعفر الطوسي » ، لتعلم ما ذكرناه من اختلاف المؤلفين عملاً يقينياً .

(٤) الحوادث « من ٣٨٩ » .

# زهير بن قيس البلوي

فانح منطفة مدينة تونس  
وفاء المعركة الحاسمة في  
افريقية على البربر

« إنما قدمت للجهاد ، ولم أقدم لحب الدنيا »

« زهير بن قيس البلوي »

إلى الأبرار من شبلين

نسبه وأيامه الأولى :

- هو زهير بن قيس البلوي<sup>(٤)</sup> ، يكنى أبا شداد<sup>(٥)</sup> ، يقال له صحبة<sup>(٦)</sup> ، وحزم بعضهم بصحبته ، فقال : « هو من الصحابة<sup>(٧)</sup> » . شهد فتح مصر<sup>(٨)</sup> وكان فتحها سنة عشرين
- (١) بلي : على وزن علي . من قضاة . انظر جبهة أنساب العرب ( ٤٧٩ ) . ومن بطون قضاة : بلي بن عمرو بن مالك بن الحفاف بن مالك بن قضاة . انظر المنتخب في ذكر قبائل العرب ( ٤٠ ) .
- (٢) تونس : بالضم ثم السكون والنون ضم وتفتح وتكسر : مدينة كبيرة ممدانة بأفريقية على ساحل بحر الروم ، عمرت من انقاض قرطاجنة ، وكان اسم تونس في القديم ترشيش ، وهي على ميلين من قرطاجنة . انظر التفاصيل في معجم البلدان ( ٤٣٢/٢ ) وآثار البلاد واخبار العباد ( ١٧٣ ) وتقويم البادات ( ١٤٢ - ١٤٣ ) والمسالك والممالك ( ٣٣ ) .
- (٣) المعركة الحاسمة : هي معركة لسحق جيش العدو الذي هو هدف الحركات الحضرية ، وبذلك تستسلم بلاده ادم وجود قوة ضاربة تدافع عنها .
- (٤) الاصابة ( ١٧/٣ ) وأسد الغابة ( ٢١١/٢ ) وتهذيب ابن عساكر ( ٣٩٣/٥ ) .
- (٥) الاصابة ( ١٧/٣ ) .
- (٦) الاصابة ( ١٧/٣ ) وأسد الغابة ( ٢١١/٢ ) والاستقصا ( ٧٦/١ )
- (٧) تهذيب ابن عساكر ( ٣٩٣/٥ ) .
- (٨) الاصابة ( ١٧/٣ ) .

الهجرية<sup>(١)</sup> ، ومعنى ذلك أن زهيراً ولد في أيام الرسول ﷺ ، فهو صحابي بالمولد .  
 روى زهير عن جماعة من الصحابة ، وروى عنه جماعة من التابعين<sup>(٢)</sup> ، وقد عدده  
 بعضهم من الصحابة الذين شهدوا فتح مصر<sup>(٣)</sup> فلذلك نال زهير شرف الصحبة ولم ينل  
 شرف الجهاد تحت لواء الرسول القائد ، إذ من الواضح أنه كان صغيراً على عهد النبي ﷺ .

مهاره :

١ - شهد زهير فتح مصر تحت لواء عمرو بن العاص ، وغزا « إفريقية » وولياها<sup>(٤)</sup>  
 وفي سنة اثنتين وستين الهجرية رد يزيد بن معاوية عقبة بن نافع الفهري إلى « إفريقية »<sup>(٥)</sup>  
 فاستخلف على « القيروان » زهيراً<sup>(٦)</sup> وترك معه جنداً تعدادهم خمسة آلاف رجل مع  
 الدراري والأموال لإعمار القيروان والمحافظة عليها من الغزاة<sup>(٧)</sup> .

٢ - ولما استشهد عقبة بن نافع الفهري في ( تَهْوُذَة<sup>(٨)</sup> ) سنة ثلاث وستين  
 الهجرية<sup>(٩)</sup> ( ٦٨٣ ميلادية ) قصد ( كسيلة بن لعزم ) القيروان في جمع كثير من

(١) ابن الأثير ( ٢١٨/١ ) والعبر ( ٢٣/١ ) وشذرات الذهب ( ٣١/١ ) وإبر الفدا ( ١٦٣/١ ) .

(٢) انظر التفاصيل في الاصابة ( ١٧/٣ ) وتهذيب ابن عساكر ( ٣٩٣/٥ ) .

(٣) رياض النفوس ( ١٦٠/١ ) والاستقصا ( ٧٦/١ ) .

(٤) رياض النفوس ( ٦٠/١ ) .

(٥) رياض النفوس ( ٢٢/١ ) والاستقصا ( ٧٢/١ ) .

(٦) ابن الأثير ( ٤٢/٤ ) . وفي رياض النفوس ( ٢٢/١ ) وفتوح مصر والمغرب ( ٢٦٧ ) :

إنه استخلف على القيروان عمر بن علي القرشي وزهير بن قيس البلوي .

(٧) انظر تاريخ المغرب الكبير ( ٤٨/٢ ) .

(٨) تهوذة : اسم لقبيلة من البربر ناحية إفريقية لهم أرض تعرف بهم . انظر معجم البلدان ( ٤٣٨/٢ ) .

(٩) سير أعلام النبلاء ( ٣٤٩/٣ ) والبداية والنهاية ( ٢١٧/٨ ) وابن الأثير ( ٤٣/٤ )

والاصابة ( ٨١/٥ ) .

الروم والبربر ، فعزم زهير على القتال بخالفه كحش الصنعاني (١) وعاد الى مصر ، فتبعه أكثر الناس ، فاضطر زهير الى العودة معهم ، فسار الى ( برقة (٢) وأقام بها (٣) .

وقد زحف كسيلة البرنسي الى القيروان سنة اربع وستين الهجرية وانزعها من يد المسلمين في المحرم (٤) ، فعظم البلاء على المسلمين ، فقام زهير بن قيس خطيباً في الناس ، فقال : « يا معشر المسلمين ! إن اصحابكم قد دخلوا الجنة ، وقد من الله عليهم بالشهادة ،

(١) حش الصنعاني : هو حش بن عبد الله بن عمرو بن حنظلة أبو رشيد من صنعا دمشق .  
روى عن فضالة بن عبيد ورويف بن ثابت وابي هريرة وابي سعيد ، وروى عنه ابنه وقيس بن الحجاج وجماعة . غزا المغرب وسكن إفريقية وعداده في المصريين وهو تابعي كبير ثقة . دخل الاندلس وكان مع علي بن ابي طالب بالكوفة وقدم مصر بعد قتل علي وغزا المغرب والاندلس . كان حش اذا فرغ من عشائه وحوائجه واراد الصلاة من الليل أوقد المصباح وقرب المصحف وإناء فيه ماء ، فكان إذا وجد النعاس استنشق بالماء واذا تمايا في آية نظر في المصحف ، وكان اذا جاءه سائل مستطعم لم يزل يصيح باهله : « أطمعوا السائل » حتى يطعم . نزل مصر ومات سنة مائة الهجرية ، وكان فيمن نار مع ابن الزبير علي عبد الملك ابن مروان ، فأثنى به عبد الملك في وثاق فعفا عنه ، وذلك لان عبد الملك حين غزا المغرب مع معاوية بن حديج نزل عليه بأفريقية سنة خمسين الهجرية ، لحفظ له ذلك . وكان حش أول من ولي عشور أفريقية في الاسلام ، وكان له عقب بمصر . غزا الاندلس مع موسى بن نصير وله بها آثار ويقال إن جامع سرقسطة من ثغور الاندلس من بنائه وأنه أول من اختطه . وفي رواية : ان أبا الهاجر دينار بعث حش الصنعاني الى جزيرة شريك ( في إفريقية ) فافتتحها ، انظر التفاصيل في تهذيب ابن عساكر ( ٩/٥ - ١١ ) ومعجم البلدان ( ٣٩٢/٥ - ٣٩٣ ) والاستقصا ( ١٧/١ ) وقد جاء في ابن الاثير ( ٤٣/٤ ) :  
خالفه جيش الصنعاني .. انتهى ، والصحيح حش لا جيش كما هو واضح .

(٢) برقة : اسم صقع كبير يشتمل على مدن وقرى بين الاسكندرية وإفريقية ، واسم مدينتها : إنطاباس ، وتفسيره : الخمس مدن . انظر التفاصيل في معجم البلدان ( ١٣٣/٢ ) .

(٣) ابن الاثير ( ٤٣/٤ ) .

(٤) الاستقصا ( ١٧/١ ) وفي فتوح مصر والمغرب ( ٢٦٩ ) : « ثم زحف ابن الكاهنة ( كسيلة ) الى القيروان يريد عمر بن علي وزهير بن قيس ، فقاتلاه قتالا شديداً ، فهزم ابن الكاهنة وقتل اصحابه . وخرج عمر بن علي وزهير بن قيس الى مصر لاجتماع ملائ البربر ، وأقام ضعفاء اصحابها ومن كان خرج معها من موالي إفريقية باطراباس وكان مقتل كسيلة في سنة أربع وستين الهجرية » انتهى .  
ومن الواضح أن هذه الرواية مرجوحة ، إذ أن كسيلة هو الذي جمع البربر والروم سنة أربع وستين الهجرية لقتال المسلمين في ( القيروان ) ، فاذا استطاع المسلمون قتله وقتل اصحابه . فلماذا ينسحبون من ( القيروان ) ؟؟

فاسلكوا سبيلهم يفتح الله لكم دون ذلك» ، فقال حنش الصنعاني : « لا والله ، ما تقبل قولاك ، ولا لك علينا ولاية ولا عمل أفضل من النجاة بهذه العصابة من المسلمين الى مشرقهم » ، ثم قال : « يامعشر المسلمين ! من أراد منكم التفتول الى مشرقه فليتبعمني » ، فأتبعه الناس ولم يبق مع زهير الا أهل بيته ، فنهض في أثره ولحق بقصره بـ ( برقة ) ، فأقام بها مرابطاً الى دولة عبد الملك بن مروان . وأقبل كسيلة البرنسي بعساكره ، فلما قرب من ( القيروان ) خرج من كان فيها من العرب هارين ، إذ لم يكن لهم طاقة بقتاله لعظيم ما اجتمع له من البربر والروم ، فأمن كسيلة من بقي في القيروان من المسلمين ، وأقام بالقيروان أميراً على سائر إفريقية والمغرب كله وعلى من فيه من المسلمين ، الى أن ولى الخلافة عبد الملك بن مروان <sup>(١)</sup> ولم يقم بالقيروان من المسلمين إلا أصحاب الدراري والأثقال ، فأمنهم كسيلة وثبت قدمه بالقيروان واستمر أميراً على البربر ومن بقي فيها من العرب . واضطرم المغرب ناراً ، وفشت الردة في البربر ، الى أن استقلَّ عبد الملك بالخلافة وأذهب آثار الفتنة من المشرق ، فالتفت الى المغرب <sup>(٢)</sup> ليصفي حساباه هناك .

وفي رواية ، أن زهيراً خليفة عقبة في القيروان ، لما بلغه ما جرى على عقبة ، رعب رعباً شديداً وأراد الأنصراف الى مصر فثبته أحد أصحابه <sup>(٣)</sup> وقال : « لا تفعل ، فإنها هزيمة الى مصر » . ثم برز للعدو فكان أول من برز ، فضرب خباءه ، فلما رأى زهير عزمه عزم معه وكان معه ستة آلاف رجل : ألقان من البربر ، وأربعة آلاف من العرب . وزحف زهير الى كسيلة وقاتله قتالاً شديداً ، فانهزم كسيلة وقتل من أصحابه ما لا يحصى وتفرقوا <sup>(٤)</sup> والظاهر أن الرواية الأولى هي أصح ، إذ لم يكن بمقدور العرب المسلمين وهم قليلون ،

(١) الاستقصا (١٨/١) : وقد ورد في الاستقصا (٧٥/١) في خطاب زهير : « فاسلكوا

سبيلهم أو يفتح الله عليكم » .

(٢) الاستقصا (٧٥/١) .

(٣) منعه ابن حبان الحضرمي . انظر رياض النفوس (٢٨/١) .

(٤) رياض النفوس (٢٨/١ - ٢٩) .

مقاومة كسيلة بعد أن اجتمع عليه الروم والبربر ، وبعد أن ارتفعت معنوياتهم نتيجة لاتتصارهم على عقبة بن نافع في ( تهودة ) واستشهاد واستشهاد زهاء ثلاثة مائة رجل من أصحابه معه ، خاصة وأن الرجال الذين كانوا مع زهير في القيروان على قلتهم ، لم يكونوا من المحاربين المتميزين ، إذ ليس هناك قائد يمكن أن يستغني عن خمسة آلاف أو ستة آلاف ويبقيهم في الخلف وهم من محاربي الدرجة الأولى ، بل إن القادة - عادة - يتركون في الخلف وراءهم محاربي الدرجة الثانية من كبار السن ، أو ذوي العاهات أو من غير الشجعان ... الخ ، ومثل هذا الجيش لا يستطيع صد جيش لجب كجيش كسيلة يتمتع بمعنويات عالية فائقة . لذلك انسحب زهير من القيروان الى ( برقة ) ، وكان قراره هذا صحيحاً من الناحية العسكرية ، لأن اشتباكه مع العدو وهو لا يملك القوة الكافية لاحتراز النصر ، يؤدي إلى كارثة عسكرية تحل بجيشه دون مبرر ولا جدوى .

٣ - ولما استقل عبد الملك بن مروان بالخلافة بعد قضائه على الفتن الداخلية ، كان زهير مرابطاً في ( برقة ) منذ استشهاد عقبة بن نافع النهري<sup>(١)</sup> ، فذكر عند عبد الملك من بالقيروان من المسلمين ، وأشار عليه أصحابه بانفاذ الجيوش إلى إفريقية لاستنقاذهم<sup>(٢)</sup> من يد ( كسيلة ) وأن يعزّ الاسلام بها كما كان في أيام عقبة ، فقال لهم عبد الملك : « من للأمر مثل عقبة !؟ » ، فاتفق رأيهم ورأي المسلمين على زهير ، وكان من رؤساء العابدين وأشرف المجاهدين ، فوجه اليه عبد الملك وأمره بالخروج على أعنة الخيل فيمن معه من المسلمين لغزو إفريقية ، فسرّ ذلك زهيراً وسارع الى الجهاد<sup>(٣)</sup> .

ولكن زهيراً كتب الى عبد الملك يعلمه بكثرة الروم والبربر<sup>(٢٩)</sup> ، وبقلة من معه من الرجال والأموال ، فأرسل عبد الملك إلى أشرف العرب ليحشدوا اليه الناس من الشام ،

(١) الاستقصا ( ٨١/١ ) .

(٢) ابن الأثير ( ٤٣/٤ ) .

(٣) رياض النفوس ( ٢٩/١ ) .

(٤) الاستقصا ( ٨١/١ ) .

وأفرغ عليهم أموال مصر، فسارع الناس الى الجهاد واجتمع منهم خلق عظيم ، فأمرهم أن يلحقوا بزهير ، فلما وصلوا اليه خرج بهم الى (إفريقية) . فلما دنا من (القيروان) نزل بقرية يقال لها (قلشانة) <sup>(١)</sup> وذلك في سنة تسع وستين الهجرية ، فبلغ ذلك كسيلة - وكان في خلق عظيم من الروم والبربر ، فدعا كبارهم وأشرفهم ، وشاورهم وقال لهم : « أرى أن نزل بـ (ممس) <sup>(٢)</sup> لئلا يركبنا من بالقيروان فهلك <sup>(٣)</sup> ، ولأن بالقيروان خلقاً كثيراً من المسلمين ولهم علينا عهد فلا نغدر بهم ، ونخاف إن قاتلنا زهيراً أن يثب هؤلاء وراءنا ، فاذا نزلنا (ممس) أمنناهم وقاتلنا زهيراً ، فان ظفرونا بهم تبعناهم إلى (طرابلس) وقطعنا أثرهم من إفريقية ، وان ظفروا بنا تعلقنا بالجبال ونجونا <sup>(٤)</sup> ، كما أن الماء بـ (ممس) كثير » ، فأجابوه إلى ذلك . ورحل إلى (ممس) فبلغ ذلك زهيراً ، فلم يدخل القيروان بل أقام ظاهرها ثلاثة أيام حتى أراح واستراح <sup>(٥)</sup> .

وفي اليوم الرابع زحف زهير في آلاف من المقاتلة ، وجمع له كسيلة البرانس <sup>(٦)</sup> وسائر البربر ولقيه بـ (ممس) من نواحي القيروان . وأشرف زهير على عسكر كسيلة في آخر النهار ، فأمر الناس بالنزول ، فلما أصبح زحف اليه . وأقبل كسيلة ومن معه ، فالتحم الفريقان ونزل الضر وكثر القتل في الجانبين حتى يئس الناس من الحياة ، ولم يزلوا كذلك حتى انهزم كسيلة وقتل . ومضى الناس في طلب البربر والروم ، فلحقوا كثيراً منهم وقتلهم وجدوا في طلبهم الى وادي (مَلَوِيَّة) واد بـ (طنجة) بالمغرب ، وفتح (شَقَبَنَارِيَّة) <sup>(٧)</sup>

(١) وردت في رياض النفوس (٣٠/١) : قرشانة ، ووردت في معجم البلدان (١٤٧/٧) : قلشانة ، وهي مدينة بافريقية بضواحي القيروان . انظر معجم البلدان (١٤٧/٧) وهامش رياض النفوس (٣٠/١) . (٢) وقد وردت في ابن الأثير (٤٣/٤) : ممس ، وهي في الهضبة في الجنوب الشرقي لجبال أوداس في الجزائر الآن .

(٣) رياض النفوس (٣٠/١) وفي ابن خلدون (١٨٧/٤) : ان زهيراً زحف سنة سبع وستين .

(٤) ابن الأثير (٤٣/٤ - ٤٤) .

(٥) ابن الأثير (٤٤/٤) ورياض النفوس (٣٠/١) والبيان المغرب (٢٠/١) .

(٦) البرانس : قبيلة من البربر .

(٧) هي مدينة Sicca Vaneria الرومانية القديمة ، وتسمى الآن : الكنف .

وقلاعاً آخر<sup>(١)</sup> ، وفتح مدينة تونس<sup>(٢)</sup> وفي هذه الواقعة ذل البربر وفنت فرسانهم ورجالهم وخضدت شوكتهم<sup>(٣)</sup> وقتل رجال البربر والروم وملوكهم وأشرفهم<sup>(٤)</sup> . وفزع أهل إفريقية واشتد خوفهم ، فلجأوا الى الحصون والقلاع<sup>(٥)</sup> واضمحل أمر الروم فلم يعد لهم شأن يذكر<sup>(٦)</sup> . وخاف البربر من زهير والعرب خوفاً شديداً ، وكسرت شوكة (أوربة)<sup>(٧)</sup> من بينهم ، واستقر جمهورهم بديار المغرب الأقصى ، وملكوا مدينة (وليلي) وكانت فيما بين (فاس) و (مكناسة) بجانب جبل (زرهون) ولم يكن لهم بعد هذه الواقعة ذكر<sup>(٨)</sup> .

لقد كانت معركة (مس) معركة حاسمة حقاً ، فقد قضى زهير على مقاومة البرانس ، فكان هذا القضاء عظيم الأثر في مستقبل الفتوح ، لأن بُتِر<sup>(٩)</sup> البربر كانوا إلماً مع العرب أنصاراً لهم لا انتشار الاسلام فيهم ، وان البرانس من البربر حملوا لواء المقاومة يمدحهم الروم بالعون ، فكانت ضربة زهير قاضية على رأس المقاومة وخاتمة لآمال الروم في الاستعانة بأهل البلاد على العرب<sup>(١٠)</sup> .

٤ — وعاد زهير الى (القيروان) ، فرأى بإفريقية ملكاً عظيماً ، فأبى أن يقيم بها وقال : « إني ما قدمت إلاً للجهاد ، وأخاف أن أميل الى الدنيا فأهلك » . وكان من رؤساء

(١) رياض النفوس (٣٠/١) وانظر ابن الأثير (٤٤/٤) والبيان المغرب (٢٠/١) والاستقصا (٨١/١) .

(٢) البلاذرى (٢٣١) .

(٣) الاستقصا (٨١/١) .

(٤) ابن الأثير (٤٤/٤) .

(٥) البيان المغرب (٢٠/١) .

(٦) الاستقصا (٨١/١) وقد وردت كلمة الفرنجة بديلا من كلمة الروم .

(٧) قبيلة من قبائل البربر .

(٨) الاستقصا (٨١/١) .

(٩) قبيلة من البربر .

(١٠) فتح العرب المغرب (٢٣٠) .

العابدين وكبار الزاهدين ، فترك القيروان آمناً وانصرف عنها وأقام بها كثير من أصحابه (١) .

ترك القيروان آمنة لخلو البلاد من عدو ذي شوكة ، ورحل في جمع كثير الى مصر ، فبلغ الروم خروجه من (إفريقية) الى (برقة) فأمكنهم ما يريدون ، فخرجوا اليها في مراكب كثيرة وقوة عظيمة (٢) من القسطنطينية وجزيرة صقلية (٣) ، فأغاروا على برقة وأصابوا بها سبياً كثيراً ، وقتلوا ونهبوا ، ووافق ذلك قدوم عسكر زهير ، فأمر عسكره بالمسير الى الساحل طمعاً بأن يدرك سبي المسلمين فيستنقذهم . وأشرف على الروم ، فاذا هم خلق عظيم ، فلم يقدر على الرجوع ، واستغاث به المسلمون وصاحوا ، والروم يدخلونهم المراكب ، فنادى بأصحابه : « النزول » ، فنزلوا ، وكان أكثرهم من التابعين . ونزل الروم اليهم ، وتلقوهم بعدد عظيم ، فالتحم القتال وتكاثرت عليهم الروم ، فقتل زهير وأشرف من كانوا معه من العرب (٤) ، ولم ينج منهم أحد ، وعاد الروم بما غنموا الى القسطنطينية (٥) .

وفي رواية ، أن الروم بالقسطنطينية عند ما بلغهم مسير زهير من برقة إلى إفريقية لقتال كسيلة ، اغتتموا خلوها فخرجوا اليها في مراكب كثيرة وقوة قوية من جزيرة صقلية ، وأغاروا على برقة ، فأصابوا منها سبياً كثيراً ، وقتلوا ونهبوا ، ووافق ذلك قدوم زهير من إفريقية الى برقة فأخبر الخبر ، فأمر العسكر بالسرعة والجد في قتالهم . ورحل هو ومن معه وكان الروم خلقاً كثيراً ، فلما رآه المسلمون استغاثوا به ، فلم يمكنه الرجوع وباشر القتال فاشتد الأمر وعظم الخطب وتكاثرت الروم عليهم فقتلوا زهيراً وأصحابه ولم ينج منهم

(١) انظر ابن الأثير (٤٤/٤) والبيان المغرب (٢٠/١) والاستقصا (٨١/١) وزياد النفوس

(٣١/١) .

(٢) البيان المغرب (٢١/١) .

(٣) ابن الأثير (٤٤/٤) .

(٤) البيان المغرب (٢١/١) .

(٥) ابن الأثير (٤٤/٤) .

أحد ، فعاد الروم بما غنموا الى القسطنطينية (١) .

ونحن جديرون أن نتأمل قليلاً هاتين الروايتين : الأولى أن الروم أقدموا على حملتهم حين بلغهم خروج زهير من إفريقية إلى برقة ، والثانية أن الروم أقدموا على حملتهم حين بلغهم خروج زهير من برقة الى افريقية .

والفرق بين الروايتين كبير جداً من الناحية العسكرية ، فالرواية الأولى تدلّ على أن الروم استهدفوا من حملتهم جيش زهير بالدرجة الأولى ، لذلك جرى إنزالهم في برقة لا في الموانيء الافريقية الأخرى وهي على طريق عودته من القيروان إلى مصر لأجل سحق جيش زهير وهو الهدف السوقي (الاستراتيجي) الحيوي في الحرب ، لأن القضاء على الجيش معناه انتهاء كل مقاومة معادية .

ومما يدلّ على أن خطة الروم كانت ترمي الى القضاء على جيش زهير بالدرجة الأولى، هو تحشيد جيش ضخم من القسطنطينية ومن صقلية في آن واحد، وتوقيت إنزاله في برقة في وقت معين محدد هو موعد وصول جيش زهير إلى تلك المنطقة ، ولو كانت نيات الروم مجرد غارة ولما بدلوا كل هذه الاستعدادات الضخمة في إعداد الخطط الموقوتة وحشد الجيوش الكبيرة ولما أجروا إنزالهم في وقت وصول طلائع جيش زهير إلى برقة أو قبله .

أما الرواية الثانية فتدلّ على أن خطة الروم كانت غارة لجمع الغنائم والأسلاب ، وهذه الغارة لا تحتاج الى تلك الاستعدادات الدقيقة الموقوتة وحشد الجيوش الضخمة .

فن الواضح إذاً ، أن الروم أجروا إنزالهم في برقة - مع كل ما ذكرنا من ضخامة الجيوش وضخامة الاستعدادات ، للقضاء على جيش زهير وليفتتوا عليه فرصة نجاحه الكبير في معركة (ممس) وليستعيدوا سلطتهم الكاملة على (إفريقية) ، لذلك فإنّ الرواية الأولى هي المقبولة ، لأنها تتفق هي والواقع الذي جرى فعلاً ، ولأن سير الحوادث يؤيدها من كل الوجوه .

(١) ابن الأثير (٤/٤٤) .

لقد شغل الروم عن إفريقية خلال حملة عقبة الأولى ، لأن العرب المسلمين كانوا إذ ذاك يحاصرون القسطنطينية حصارهم الأول الذي بدأ سنة ثمان وأربعين الهجرية واستمر إلى ما بعد سنة خمسين الهجرية ، ولبثت الدولة الرومانية بضعة أعوام بعد ذلك تقاسي عقابيل هذه المحنة التي كادت تؤدي بها ، فلم يعد إليها الهدوء الذي يسمح لها بالاهتمام بولاياتها إلا بعد سنة خمس وخمسين الهجرية <sup>(١)</sup> إذ نشط الروم بعدها نشاطاً مفاجئاً ترجع أسبابه إلى استرجاع الدولة عافيتها بفضل جهود قسطنطين الرابع واصلاحه الديني واجتهاده في وصل ما كان قد وهى من علاقات الدولة مع أملاكها في (إفريقية) وغيرها <sup>(٢)</sup> ، وكان انشغال العرب بكسيلة وتوجه اهتمامهم للقضاء عليه فرصة طيبة استطاع فيها الروم أن يشدوا أمرهم ويثبتوا أقدامهم استعداداً لصراع حاسم <sup>(٣)</sup> .

فماذا ارتد زهير عن إفريقية مسرعاً لغير سبب ظاهر بعد انتصاره في (مس) ؟

إن تعليل المراجع لذلك بقولها : إنه خشى الفتنة على نفسه ، وكان من العباد المحبتين ، فقال : « إنما جئت للجهاد في سبيل الله ، وأخاف على نفسي أن تميل إلى الدنيا فأهلك » <sup>(٤)</sup> ... الخ تعليل ضعيف ، لأن الزاهد الورع الذي يخاف على نفسه فتنة الدنيا هو الذي يقيم على الثغور ويرابط في دار الحرب ، فإذا فضل على ذلك العودة إلى العواصم والمدن لم يكن ذلك دليلاً على الورع أو بدافعه ، بل دليل أمور أخرى وبدافعها <sup>(٥)</sup> . فما أسباب عودته مسرعاً ؟ الظاهر أن السبب الحقيقي هو وصول معلومات أكيدة إليه عن تحركات جيوش الروم باتجاه برقة ، لذلك سارع إلى العودة حتى لا يقطع الروم خطوط مواصلاته أولاً ، وحتى يحرمهم انتهاك حرمة المدن الإسلامية ثانياً ، خاصة إنه يعرف أن منطقة برقة

(١) فتح العرب للمغرب ( ١٥٩ ) .

(٢) فتح العرب للمغرب ( ٢١٣ ) .

(٣) فتح العرب للمغرب ( ٢١٥ ) .

(٤) الاستقصا ( ٨١/١ ) .

(٥) فتح العرب للمغرب ( ٢٢٧ ) .

كانت حينذاك منطقة مكشوفة تقريباً ، لعدم تيسر قوات إسلامية كافية فيها تحميها من غارات الروم بجيوش ضخمة عليها ، وليس معنى ذلك ان تلك المنطقة كانت محرومة تماماً مدافعين عنها ، إذ أن ذلك لا يمكن أن يحدث مطلقاً من الناحية العسكرية ، فلا بد أن يكون فيها عدد مناسب من الرجال لحمايتهم من الغارات المحدودة ومن قوات معادية قليلة ، وذلك بمشاكلهم مدة من الزمن حتى ترد المدافعين النجدات والأمداد ، إذ لا يمكن أن يترك أي قائد أية منطقة على خطوط مواصلاته دون حماية كافية ، ولكن القوة التي تركها في برقة لا ترقى أن تكون كافية في صد جيوش كبيرة ، وهذا ليس خطأ زهير بتاتاً ، إذ ليس بإمكانه أن يزرع رجاله بأعداد كبيرة ليكوّنوا حاميات على طول خطوط مواصلاته التي تمتد إلى قرابة ألفي ميل ، وليس هناك قوة كافية لهذا الغرض ، فلم يكن له إلا أن يترك حاميات صغيرة في النقاط السوقية (الاستراتيجية) المهمة لحمايتهم من قوات معادية محدودة ولفترة محدودة من الزمن إلى أن تردها النجدات والأمداد .

ولكن المعلومات التي وردت عليه عن حشود الروم الضخمة باتجاه منطقة برقة ، جعلته يقرر فوراً العودة أدراجه إلى تلك المنطقة لمواجهة بقواته الضاربة ، وفعلاً وصل إلى تلك المنطقة في الوقت المناسب ، ولكنه دحر أمام الروم لأن قواته لم تكن كافية لاحتراز الظفر عليها ، بالرغم من إقدام زهير وإقدام رجاله على مقاتلة الروم بشجاعة وتضحية وفداء .

وهكذا سقط زهير وكثير من رجاله شهداء في ساحة الوغى ، لأن انقوتين العربية والرومية لم تكونا متكافئتين ، ولأن العرب كانوا مجيدين من سفرهم الشاق الطويل آلاف الأميال ، ولأن الوقت المتيسر لزهير لم يكن كافياً في إعداد الخطة العسكرية الدقيقة لمقاومة الغزو ولتلقى الأمداد من المشرق ، فاندفع زهير ودفع قواته بمثل تلك الظروف الصعبة بحوافز عاطفية هي تخليص الاسرى المسلمين من أيدي الروم ، ف وقعت الكارثة بزهير ورجاله ، نجسروا كل شيء ... إلا الشرف ... ولم يكن بإمكانهم ولا بإمكان أي قائد آخر في مثل

تلك الظروف والأحوال ، أن يفعل غير ما فعله زهير وأصحابه فيلاقي نفس المصير الذي لاقوه .

الإنسان :

كان زهير صحابياً ولكننا لا نعلم عن أيامه الأولى شيئاً كثيراً ، وكان ممن لزم عمرو بن العاص ودخل معه دمشق . وفي سنة أربع وستين الهجرية كان زهير بمصر فبعثه أميرها (١) الى (أيسلة) (٢) ليمنع عبدالعزيز بن مروان من المسير اليها ، وكان زهير حينذاك إلى جانب عبدالله بن الزبير على بني أمية ، فهزم زهير ومن معه أمام عبدالعزيز بن مروان (٣) . ولعل هذا الحادث ترك أثره في نفس عبدالعزيز بن مروان على زهير ، فقد ندب عبدالعزيز زهيراً إلى (برقة) وكان عبدالعزيز أميراً على مصر مخاطباً زهيراً بشيء ، فأجابه زهير : « أتقول هذا لرجل جمع ما أنزل الله على نبيه قبل أن يجمع أبواك هذا ؟ » . (٤)

كان زهير من رؤساء العابدين وأشرف المجاهدين (٥) صاحب فضل ودين (٦) ، وكان من العباد المحبتين (٧) ، وكان من العباد المتفقهين .

شهد فتح مصر سنة عشرين الهجرية كما أسلفنا ، فإذا كان عمره يوم (٨) شهد فتح مصر زهاء عشرين عاماً ، واستشهد سنة إحدى وسبعين الهجرية (٦٩٠ م) فليس من

(١) كان أميرها عبدالرحمن بن عتبة بن إياس القهري . انظر الولاة والقضاة (٤١) وهو المعروف بأبن جعدم .

(٢) أيلة : مدينة على ساحل بحر القلزم (البحر الاحمر) مما يلي الشام وهي آخر الحجاز وأول الشام

انظر التفاصيل في معجم البلدان (١ / ٣٩١) .

(٣) الولاة والقضاة (٤٣) .

(٤) الاصابة (٣ / ١٧) وانظر تهذيب ابن عساكر (٥ / ٢٩٣) .

(٥) رياض النفوس (١ / ٢٩) .

(٦) البيان للمغرب (١ / ٢١) .

(٧) الاستقصا (١ / ٨١) .

(٨) تاريخ الفتح العربي في ليبيا نقل عن المؤنس .

المعقول أن يكون عمره حينذاك أكثر من إحدى وسبعين سنة ، وإلا ما استطاع قيادة الجيوش ومعاناة أمور الحرب وتحمل أعبائها ، لذلك كان من المحتمل أن يكون زهير قد ولد في السنة الأولى من الهجرة ( ٦٢٢ م ) ، وقد دفن بـ ( درنة )<sup>(١)</sup> قريباً من الشاطيء الذي استشهد فيه ، وقبره وقبور الشهداء الذين سقطوا معه معروفة هناك<sup>(٢)</sup> .

وقد ورد في بعض المصادر أنه استشهد سنة ست وسبعين الهجرية<sup>(٣)</sup> مع أن خليفته حسان بن النعمان تولى إفريقية سنة أربع وسبعين الهجرية<sup>(٤)</sup> ، فلا بد أن حسان بن النعمان تولاها بعد استشهاد زهير لا قبله !

كما ورد في بعض المصادر ، أن زهيراً قتل سنة تسع وستين الهجرية<sup>(٥)</sup> ، وهذا مردود أيضاً ، لأنه ليس من المعقول أن يتولى زهير إفريقية وهو بـ ( برقة ) في هذه السنة ، ثم يعدّ جيشه ويتلقى الأمداد ويسير إلى القيروان ويقاتل هناك ويطارده العدو ، ثم يعود أدراجه من القيروان إلى ( برقة ) بعد مكوثه في ( القيروان ) ردحاً من الزمن ، ويتم كل ذلك خلال سنة واحدة !!!

ولما سمع عبد الملك بن مروان بقتل زهير ، عظم عليه واشتد<sup>(٦)</sup> ، وكانت مصيبته مثل مصيبة عقبة بن نافع قبله<sup>(٧)</sup> ، لمكانة زهير السامية في نفوس العرب المسلمين . لقد كان زهير من رجال السلف الصالح شجاعة وبطولة وإيماناً وورعاً .

الفائز :

نشأ زهير في بيئة عربية خالصة تتسم بالشجاعة والإقدام ، وترعرع في أيام الجهاد

(١) درنة : مدينة في ليبيا على ساحل البحر شرقي بنغازي .

(٢) معجم البلدان ( ٤ / ٥٥ ) .

(٣) الاصابة ( ٣ / ١٧ ) ومعجم البلدان ( ٤ / ٥٥ ) .

(٤) ابن الأثير ( ٤ / ١٤٣ ) .

(٥) ابن الأثير ( ٤ / ١٤٣ ) .

(٦) ابن الأثير ( ٤ / ٤٤ ) .

(٧) البيان المغرب ( ١ / ٢١ ) ورياض النفوس ( ١ / ٣١ ) .

الأولى وفي العهد الذهبي للفتح الإسلامي ، وما كاد يشب إلا وانخرط في سلك المجاهدين الفاتحين ، فشهد فتح مصر تحت لواء عمرو بن العاص ، ثم شهد فتوح إفريقية ووليتها أيضاً .  
 وحين أصبحت مصر بلداً إسلامياً وبدأ الفاتحون يتوغلون غرباً في إفريقية ، كان زهير مع أولئك الفاتحين . وفي سنة ست واربعين الهجرية كان زهير في جيش عقبة بن نافع ، فاستخلفه عقبة على جيشه بـ ( مغلداش )<sup>(١)</sup> وسار بنفسه بمن خف معه لفتح ( ودان )<sup>(٢)</sup> ثم عاد عقبة إلى عسكره بعد خمسة أشهر<sup>(٣)</sup> . وفي سنة اثنتين وستين الهجرية استخلفه عقبة على ( القيروان ) حين يمم شطر المغرب الأقصى إلى المحيط الأطلسي<sup>(٤)</sup> ، كما مر بنا ذلك .

لقد كان زهير من أقرب المقربين إلى عقبة وكان ساعده الأيمن في حروبه وغزواته ، فلا عجب أن تجمع آراء ذوي الرأي من المسلمين على اختياره خلفاً لعقبة في فتح ( إفريقية )<sup>(٥)</sup> وأخذ ثارات شهداء ( تهوذة ) : عقبة واصحابه ، واستنقاذ القيروان ومن بها من المسلمين من يد كسيلة المتغلب عليها<sup>(٦)</sup> .

هذه التجربة الطويلة لزهير في إدارة الحروب ومعاناتها ، أفادت المسلمين عند ما أصبح قائداً لجيش إفريقية ، فحاض معركة حاسمة في ( ممس ) : ذل البربر وفنت فرسانهم ورجلهم وخضدت شوكتهم وقتل رجال البربر والروم وملوكهم واشرافهم ، وفزع أهل إفريقية واشتد خوفهم ، فلجأوا إلى الحصون والقلاع ، واضمحلت أمر الروم فلم يعد لهم شأن

(١) مغلداش : مدينة قريبة من سرت في طرابلس انظر هاشم فتوح مصر والمغرب ( ٢٦٢ )

(٢) ودان : مدينة قديمة من مدن السيرير الجنوبية ، تقع في الجنوب الشرقي من مدينة طرابلس

المغرب بنحو ( ٧٦٩ ) ك . م انظر التفاصيل من تاريخ الفتح العربي في ليبيا ( ٤٧ ) .

(٣) انظر التفاصيل في فتوح مصر والمغرب ( ٢٦٢ - ٢٦٤ ) وفي ترجمة عقبة بن نافع الفهري في

فأدة فتح المغرب العربي ( ١ / ٩٠ - ١٣٦ ) .

(٤) ابن الانبير ( ٤ / ٤٣ - ٤٤ ) .

(٥) البيان للمغرب ( ١ / ٢٩ ) .

(٦) الاستعصا ( ١ / ٨١ ) .

يذكر ، وخاف البربر من زهير والعرب خوفاً شديداً ، وكسرت شوكة قبيلة (أوربة) البربرية القوية المتنفذة في إفريقية كما ذكرنا سابقاً .

وكان قرار زهير الخاص بمطاردة البربر بعد معركة (ممس) قراراً صائباً جداً يدعو الى التقدير والإعجاب ، ولولا تلك المطاردة التي كانت بتماس شديد بالبربر لاستطاع البربر التسلل الى الجبال والتخلص من الخسائر الفادحة التي لحقت بقواتهم ؛ وكان من نتائج تلك المطاردة الموفقة تفويت الفرصة على البربر للتملص من المعركة الخاسرة الى الجبال ، وهم الذين تركوا القيروان الى (ممس) ليسهل عليهم الإفلات من العرب المسلمين في حالة دحرهم وذلك بالاجوء الى الجبال المحيطة بالمنطقة لتقليل خسائرهم في الأرواح والمواد .

كما كان قرار زهير في البقاء خارج القيروان وعدم دخولها ، قراراً صائباً حقاً ، لأن دخول المدينة يؤدي الى بعثرة قوات المسلمين للدفاع عنها ، وبذلك تنقلب خطتهم الهجومية على جيش كسيلة إلى خطة دفاعية ، والهجوم وحده لا الدفاع هو الذي يؤدي إلى إحراز الظفر .

أما استعداداته لإنجاز استحضارات جيشه عدداً وعدداً ، فقد بلغت حدّ الروعة : أمره عبدالملك بن مروان بالخروج على أعنة الخيل فيمن معه من المسلمين لغزو إفريقية ، فكتب إلى عبدالملك يخبره بقلّة من معه من الرجال والأموال ، فأرسل عبدالملك إلى أشرف العرب ليحشدوا اليه الناس من الشام ، وأفرغ عليهم أموال مصر<sup>(١)</sup> ، وبذلك طبق زهير مبدأ (التحشد) و (الأمور الإدارية) على أحسن وجه .

ولكنّ زهيراً أخطأ في اصطدامه مع قوات الروم في منطقة (برقة) دون أن يتخذ كلّ الإجراءات اللازمة لضمان نجاح هذا الاصطدام ، فمن الواضح أنه اصطدم مع الروم وهو بقوات قليلة هي قواته المتقدمة الخفيفة ، فقد عدل هو إلى الساحل في خيل يسيرة<sup>(٢)</sup>

(١) رياض النفوس (١ / ٢٩) .

(٢) معالم الايمان (١ / ٥٤) وفي رياض النفوس (٢١/١) أنه عدل إلى الساحل بقوات كثيرة .

فوجد اسطول الروم من قبل قيصر وبأيديهم أسرى من المسلمين ، فاستغاثوا به وهو في خوف من أصحابه ، فصمد اليهم فيمن معه وقاتل الروم حتى قتل ، وقتل معه جماعة من أشرف أصحابه (١) ، فلما رآه المسلمون استغاثوا به فلم يمكنه الرجوع ، وباشروا القتال (٢) ... وهذا يدل على أن الفرسان الذين معه كانوا قليلي العدد ، وأنهم جماعة متقدمة واجبها الإستطلاع فقط لا القتال ؛ ولكنه أنشب القتال خضوعاً لموجة عاطفية عارمة تورط بتأثيرها هو وأصحابه في قتال غير متوقع في وقت ومكان غير مناسبين ، وكان عليه أن يكبح جماح عاطفته ، إذ ليس في إعداد الخطط العسكرية مجال للامور العاطفية ، ويجمع رجاله كافة ، ويستفيد من كل مقاتل متيسر ، ويعدّ الخطة المناسبة للقتال ، ويهيء الأمور الادارية لقواته ، ثم يختار هو الوقت والمكان المناسبين لمهاجمة الروم . عند ذلك تكون فرص نجاحه متهيئة ، ويكون قد أعدّ كل متطلبات القتال قبل نشوبه .

وعلى كل فإن العاطفة الدينية المتأججة حينذاك ورؤية الرجال والاطفال والنساء أسرى يقادون قسراً الى سفن الروم ، أدى الى تحمس رجاله وإقدامهم دون تدبر وتقدير الى مهاجمة الروم دون خطة مناسبة ولا قوات كافية ، وذلك مما أدى الى تورط قواته وتورطه هو نفسه في معركة خاسرة دفع هو ورجاله حياتهم الغالية ثمناً لها .

وربما يتبادر الى الاذهان السؤال الآتي : كيف نوفق بين معرفة زهير بوجود قوات الروم في تلك المنطقة ، وكان ذلك من أهم اسباب عودته من (القيروان) إلى (برقة) ، وإقدامه على التقدم الى تلك القوات على رأس قلة من الفرسان فتورط في معركة خاسرة ، ولماذا لم يتدخل القسم الأكبر من جيشه في تلك المعركة اثناء نشوبها لإنقاذ زهير وفرسانه ، ولماذا لم يأخذ ذلك الجيش بثأره - على الأقل - بعد استشهاد واستشهاد فرسانه معه ؟!

وأبادر الى الجواب ، بأن مثل هذا السؤال قد يتبادر الى غير العسكريين ، أما

(١) الاستقصا ( ١ / ٨١ )

(٢) ابن الاثير ( ٤ / ٤٤ ) .

العسكريون الذين خاضوا غمار الحروب واصطلوا بنارها فيقدرون أن ما حدث أمر طبيعي جداً بسبب ظروف الحرب غير الاعتيادية التي قد تفرط أحياناً من أيدي قادتها فتسير وتتطور على غير ما يشتهون .

وإلى أولئك الذين يتبادر الى اذهانهم مثل هذا السؤال من المدنيين ، والى العسكريين النظريين غير المجريين ، أسوق هذا الجواب .

لست أسك أن حامية منطقة (برقة) التي خلفها زهير وراءه لحماية تلك المنطقة من العدو ولحماية خطوط مواصلاته ، لا يمكن ان تكون في ظلام دامس بعيدة عن الأحداث لا تهتم بالحصول على المعلومات عن نيات العدو المتربص بها ، فلا بد أن يكون لها مصادر مختلفة مهمتها الحصول على المعلومات عن العدو من البربر والروم : دوريات إستطلاعية برية وبحرية، ومراكب تمخر عباب البحر، وعيون وأرصاد في مختلف الأماكن والأصقاع . بل إذا حصل كل عربي مسلم وكل مسلم مسؤولاً كان أو غير مسؤول على معلومات مفيدة عن العدو ، فانه يرى نفسه مسؤولاً عند الله وعقيدته وقومه عن إيصال تلك المعلومات الى المسؤولين بأسرع وقت وبأسرع وسيلة .

هذه الحامية الساهرة لمصالح المسلمين المرابطة دفاعاً عن أرواحهم وأرضهم وكرامتهم وعزتهم ، أنذرت زهيراً - على اعتباره المسؤول الأول عن إفريقية - بتحركات الروم من القسطنطينية ومن صقلية ، وقد تكون هذه المعلومات - خاصة عن تحركات الروم من القسطنطينية - وصلت اليها من المشرق أو حصلت عليها بوسائلها الخاصة أو حصل عليها زهير بوسائله الخاصة ، فعاد زهير بقواته الضاربة لحماية منطقة برقة المهددة بقوات الروم ، ثم تقدم زهير على رأس قطعاته الراكبة التي حرص على قيادتها بنفسه - وهذا من مميزات القائد المتميز ، إذ يكون دائماً في الأمام قريباً من مواطن الخطر - تقدم بنفسه لاستطلاع مواضع انزال الروم ، ومعرفة قوتهم وتسليحهم ، وذلك لإعداد الخطة المناسبة لمقاومتهم ، ولسكنه - على ما يظهر - فوجي ، بالمسلمين يقادون قسراً وهم أسرى الى مراكب الروم ،

فاستغاث به هؤلاء ، فتورطت جماعة من رجاله خضوعاً لعاطفتهم المتأججة في الأشتباك مع الروم دون خطة مدبرة ولا استعداد مسبق لخوض المعركة فكانت الكارثة التي لحقت بزهير وبفرسانه الأبطال .

أما لماذا لم ينجدهم رجالهم الذين يتقدمون باتجاه العدو ، فمن المحتمل أن يكونوا بعيدين عن ساحة المعركة ، ومن المحتمل أنهم لم يكونوا بعيدين ولكنهم وصلوا الى ساحة المعركة بعد فوات الوقت المناسب ، ففت استشهادهم في أعضادهم وأصبحوا بغير قيادة . فانهارت معنوياتهم ، ولا قيمة لجيش بغير قيادة ولا معنويات .

ومن المعلوم أن المعارك الحربية في العصور القديمة قبل اختراع البارود وقبل اختراع الأسلحة الحديثة ، يتقرر مصيرها خلال ساعات قليلة ، وقد يكون إستشهاد القائد وحده هو العامل المهم في الهزيمة .

ترى ! هل تلقي اللوم كله على زهير في تورطه بالاشتباك مع الروم دون استعداد كاف وفي وقت ومكان غير مناسبين ؟!

إن ظروف الحرب ظروف غير اعتيادية ، وشتان ما بين من يجلس الى مكتبه ليدرس معركة من المعارك فيقرر وهو آمن مستريح : هذا صحيح وهذا خطأ ، وهذا أصاب وهذا أخطأ ، وبين من يعانى ويلات الحرب ويصطلي بناورها .

إن سير الحوادث في الحرب قد يكون تياراً عارماً يجرف القائد دون ارادة منه ويجرف من معه من الرجال .

هكذا كانت خاتمة حياة زهير ، إذ استشهد استشهاده لا يقل روعة وجلالاً عن استشهاده عقبة بن نافع الفهري ، فأثار مصرعه نائرة العرب المسلمين ، وحفزهم إلى مواصلة الفتح لإدراك ثأر زهير وأصحابه . وقد يكون لمقتله على يد الروم أثر عظيم في سير الفتوح ، إذ كان زهير قد حسب - بعد قتله كسيلة - ان كل مقاومة للبلاد قد خمدت وأن البلاد أصبحت آمنة مطمئنة ، فكان مقتل زهير منبهاً للعرب إلى ما ينتجم عن ترك الروم من خطر ، والى

ما يمكن أن يسبوه للعرب من المتاعب إذا تركوا في مدائن الساحل يستعيدون ما ضاع من قوتهم ، ويستمدون العون من بيزنطة نفسها . وكما كان مصرع عقبة محمداً لمهمة زهير ، كان مقتل زهير محمداً لمهمة حسان بن النعمان - من بعده - فانفق ما قدر عليه من جهد في القضاء على الروم ، حتى تمكن من ذلك تماماً (١) .

وهكذا كانت حياة زهير الغالية بركة على المسلمين عامة وعلى فتح إفريقية خاصة ، وكانت خاتمة حياته المشرفة ، بركة على المسلمين عامة وعلى فتح إفريقية خاصة .

لقد كان من نتائج استشهاده تكامل الفتح الاسلامي في افريقية ، فأصبحت تلك البلاد اسلامية كما هو الحال في مصر وأرض الشام والعراق وغيرها من البلاد ، وأصبح الفتح الاسلامي في إفريقية فتحاً مستداماً كما هو الحال في تلك الاقطار .

لقد كان زهير مجاهداً قائداً ، يتسم بكل ما يتسم به المؤمن بالجهاد من مزايا التضحية والقداء من أجل إعلاء كلمة الله ، وهو كما قال : « إنما قدمت للجهاد ولم أقدم لحب الدنيا » (٢) ، ولعل إيمانه العميق بالجهاد حجب اليه الاستشهاد وجعله يستأثر بالخطر دون أصحابه ، فيكون دائماً قريباً من مواطن الخطر طلباً لما عند الله من أجر للشهداء ، وكان يحب رجاله ويحبونه ويشق بهم ويشقون به لما كان يتمتع به من ماض مجيد في الجهاد . وكان ذا تجربة طويلة عملية للحروب ، مارسها منذ قدر على حمل السلاح حتى يوم استشهاده ، فكان مجاهداً من المهد الى اللحد كما يقولون .

وكان في حروبه يطبق مبدأ ( التحشد ) ومبدأ ( التعرض ) ومبدأ ( الأمور الادارية ) ، فكانت استعداداته للقتال ممتازة حقاً .

لقد كان من أولئك الذين نذروا أنفسهم لعقيدتهم ، فسقط أخيراً في ساحات القتال دون ان يسقط السيف من يده .

(١) فتح العرب للغرب ( ٢٢٩ - ٢٣٠ ) .

(٢) رياض النفوس ( ٣٠/١ ) .

## زهير في التاريخ :

يذكر التاريخ زهير استنقاذه القيروان ومن بها من المسلمين من يد كسيلة المتغلب عليها .  
ويذكر له ، أنه كان نعم المطالب بدم عقبة بن نافع الفهري ، وهو الذي أخذ ثأر عقبة  
من قاتله كسيلة ، فهو الذي قتل كسيلة وقتل عدداً ضخماً من رجاله وفرسانه ورجال حلفائه  
الروم وفرسانهم .

ويذكر له أنه انتصر في معركة حاسمة على البربر في (ممس) ، ففزع منه أهل إفريقية  
واشتد خوفهم فلجأوا الى الحصون والقلاع .

ويذكر له أنه ضحى بنفسه من أجل عقيدته ، ولم يضح بعقيدته من أجل نفسه .  
رضي الله عن الصحابي الجليل ، التقي النقي ، المؤمن الورع ، البطل الشهيد ، القائد  
القائم ، زهير بن قيس البلوي .

محمود سبت قطاب

## المصادر

- ابن الأبار (أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي) :
- ١ - الحلة السيرة - تحقيق الدكتور حسين مؤنس - القاهرة - ١٩٦٣ م.
  - ابن أبي دينار (محمد بن أبي القاسم الرعيبي القيرواني) :
  - ٢ - المؤنس في أخبار إفريقية وتونس - تونس - ١٢٨٠ هـ .
  - ابن الأثير (أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الأثير الجزري الملقب بعز الدين) :
  - ٣ - أسد الغابة في معرفة الصحابة - طهران - ١٣٧٧ هـ .
  - ٤ - الكامل في التاريخ - القاهرة - ١٣٠٣ هـ .
  - ابن حجر (شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن علي الكناني العسقلاني) :
  - ٥ - الأصابة في تمييز الصحابة - القاهرة - ١٣٢٥ هـ .
  - ابن حزم (أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي) :
  - ٦ - جهرة أنساب العرب - تحقيق وتعليق عبد السلام هارون - القاهرة - ١٣٨٢ هـ .
  - ابن خرداذبة (أبو القاسم عبيد الله المعروف بابن خرداذبة) :
  - ٧ - المسالك والممالك - أعادت مكتبة المثنى طبعه في طهران - ١٩٦٣ م .
  - ابن خلدون (عبد الرحمن بن خلدون) :
  - ٨ - العبر وديوان المبتدأ والخبر - بولاق - ١٢٨٤ هـ .
  - ابن عبد البر (أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر) :
  - ٩ - الأستيعاب في معرفة الأصحاب - تحقيق محمد علي الجاوي - القاهرة .
  - ابن عبد الحكم (أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم) :
  - ١٠ - فتوح مصر والمغرب - نشر شارل توري (Torry) - لايدن - ١٩٢٠ م .

- ابن عذارى (أبو عبد الله محمد بن عذارى المراكشي) :
- ١١ - البيان المغرب في أخبار المغرب - بيروت .
- ابن عساكر (أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسن بن عساكر الشافعي) :
- ١٢ - التاريخ الكبير (تهذيب ابن عساكر) - دمشق - ١٣٢٩ هـ .
- ابن الفقيه (أبو بكر أحمد بن إبراهيم الهمداني) :
- ١٣ - مختصر كتاب البلدان - لايدن - ١٨٨٥ هـ .
- ابن كثير (عماد الدين أبو الفدا اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي) :
- ١٤ - البداية والنهاية في التاريخ - القاهرة .
- أبو الفدا (اسماعيل بن عماد الدين صاحب حماة) :
- ١٥ - تقويم البلدان - باريس - ١٨٤٠ م .
- الأصطخري (أبو اسحق إبراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري المعروف بالكرخي) :
- ١٦ - المسالك والممالك - تحقيق محمد جابر عبدالعال الحسيني - القاهرة - ١٣٨١ هـ .
- الباجي (أبو عبد الله محمد الباجي المسعودي) :
- ١٧ - الخلاصة النقية في أمراء إفريقية - تونس - ١٣٢٣ هـ .
- البشاري (المقدسي المعروف بالبشاري) :
- ١٨ - أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم - لايدن - ١٩٠٦ م .
- البكري (أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري) :
- ١٩ - المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب - طبع دي سلان (De SLAN) - الجزائر - ١٩١١ م .
- البلاذري (أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري) .
- ٢٠ - فتوح البلدان - القاهرة - ١٩٥٩ م .
- الحنبلي (أبو الفلاح عبد الحى بن العماد الحنبلي) :

- ٢١ - شذرات الذهب في أخبار من ذهب - القاهرة - ١٣٥٠ هـ .  
 الداغ ( عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الأنصاري ) :  
 ٢٢ - معالم الأيمان - تونس - ١٩٢٠ م .  
 الذهبي ( شمس الدين محمد بن أحمد بن بن عثمان الذهبي ) :  
 ٢٣ - سير اعلام النبلاء - تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد - القاهرة .  
 ٢٤ - العبر - تحقيق فؤاد سيد - الكويت - ١٩٦١ م .  
 السلاوي ( أحمد بن خالد الناصري السلاوي ) :  
 ٢٥ - الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى - الدار البيضاء - ١٩٥٤ م .  
 القزويني ( زكريا بن محمد القزويني ) :  
 ٢٦ - آثار البلاد وأخبار العباد - بيروت - ١٣٨٠ هـ .  
 الكندي ( أبو عمر محمد بن يوسف الكندي ) :  
 ٢٧ - كتاب الولاة والقضاة - لايدن - ١٩١٢ م .  
 المالكي ( أبو عبد الله بن أبي عبد الله ) :  
 ٢٨ - رياض النفوس - نشر وتحقيق الدكتور حسين مؤنس - القاهرة - ١٩٥١ م .  
 ياقوت ( شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي ) :  
 ٢٩ - المشترك وضعاً والمفترق صقلاً - لايدن - ١٨٤٦ م .  
 ٣٠ - معجم البلدان - القاهرة - ١٣١٣ هـ .

#### المراجع

حسين مؤنس ( الدكتور ) :

١ - فتح العرب للمغرب - القاهرة .

الزاوي ( الظاهر أحمد الزاوي ) :

٢ - تاريخ الفتح العربي في ليبيا - القاهرة - ١٣٧٣ هـ .

محمد علي دبوز :

٣ - تاريخ المغرب العربي الكبير - القاهرة - ١٣٨٤ هـ .

# رسالة في اللغز العربية

تأليف ايفانوس

قدم لها ، وحققها

كور كيس عواد

تمهيد :

في أثناء تصفُّحنا المخطوطات العربية التي تخرزها خزانة كتب جامعة كولمبية في مدينة نيويورك ، وكان ذلك في أواخر سنة ١٩٥٠ ، عثرنا على مجموعة خطية بالعربية والسريانية ، كتبت في نحو القرن الثامن عشر للميلاد . وكانت ، فيما مضى ، من مخطوطات « صيدنايا » ، على ما يؤخذ من حاشية وردت في أواسط تلك المخطوطة .

وصيدنايا ، قرية شهيرة قديمة ، تقوم في الشمال الشرقي ، من دمشق . كانت تزخر في الماضي ، بجمهرة كبيرة من المخطوطات . لكن معظم هاتيك المخطوطات قد أصابه ما أصاب أغلب خزائن كتب الشرق ، من إحراق وإتلاف ونهب وضياع . ذكر الباحثة الأستاذ حبيب زيات ، أن « من بقية هذه الكتب المنتهبة ، مخطوطات تُرى اليوم في المكاتب الأوربية ، قد كُتبت عليها في إحدى حواشها اسم صيدنايا ، إما لأنها نُسخت فيها ، وإما لأنها كانت قبلاً من كتب الدير . ومنها أيضاً مجلدات محفوظة في بعض المكاتب

الشرقية» (١) .

فما من شك في أن تكون هذه المخطوطة التي وقفنا عليها ، من جملة ما تشتت من صيدنايا ، فتعاورتها الأيدي ، وانتقلت من مكان إلى مكان ، حتى انتهى بها اللطاف إلى مدينة نيويورك ، أعظم مدائن العالم الجديد !

والجموعة الخطية التي نحن في صدد الكلام عليها ، سماها ناسخها بكتاب « ترجمان من اللغة السريانية إلى اللغة العربية » . وهي تحتضن بين دفتيها طقوساً دينية ، وصلوات نصرانية ، ومفردات في اللغتين العربية والسريانية . وما كان منها في هذه اللغة الأخيرة ، ألفينا بعضه مكتوباً بالقلم « الإسطننجيلي » ، وبعضه بالقلم السرياني الغربي . والجموعة في جملتها ، قد تظافت عليها أيدي النُسخ ، فهي مكتوبة بمخطوط مختلفة متباينة ، على ما بدا لنا .

يبلغ طول هذه المجموعة الخطية ٢٠ سنتمترًا ، وعرضها ١٣ ، وثخنها ٠٧ . وأوراقها غير مرقة . وهي مكتوبة على ورق شرقي ضارب إلى الصفرة . ورقها في سياقة المخطوطات في خزانة كتب جامعة كولمبية هو ( Ms. Or. 277 ) . وكنا قد نوهنا بها في بعض تأليفنا المطبوعة (٢) .

وجدنا في نحو من أواسط هذه المجموعة ، رسالة صغيرة في « صفة الحجارة التي تعلّق على كهنة بني إسرائيل : ما ذكره القديس ايفانايوس عن الاثني عشر حجراً » (٣) . وقد أشار العلامة جورج غراف ، إلى نص منقول من هذه الرسالة ، في بحثه

(١) خزائن الكتب في دمشق وضواحيها : لحبيب زيات ( القاهرة ١٩٠٢ ؛ ص ١١٩ ) ، ومثل

ذلك ما في كتابه « خبايا الروايات من تاريخ صيدنايا . ( حريصا - لبنان ١٩٣٢ ؛ ص ٢٦٠ ) .

(٢) جولة في نور الكتب الأمريكية . ( بغداد ١٩٥١ ؛ ص ٩٥ ) . والمخطوطات العربية في دور

الكتب الأمريكية . ( بغداد ١٩٥١ ، ص ٣٠ ) .

(٣) المخطوط : حجر .

« اعتراف ، أو شهادة الآباء » (١) .

كما نوه الدكتور ألفونس منكننا ، بنص آخر من هذه الرسالة ، في مجموعة مخطوطاته (٢) .  
قال في صفة المخطوط ذي الرقم ( ٤١ ) إنه يتألف من مجموعة رسائل قوامها ٣١٧ ورقة بحجم ٣٢٨ × ٣١٧ مليمترًا . وهي مجموعة مختارة من آباء الكنيسة ومن الجامع الأولى . جاء في الورقة ٨٨ ب منها : « وقال القديس ايفانيوس أسقف قبرس في الكتاب الذي قاله لأجل الاثني عشر حجر » .

إن النص اليوناني لهذه الرسالة ، قد سلم ونشر في جملة ما نشر من مؤلفات ايفانيوس في مجموعة مؤلفات الآباء اليونان التي جمعها مين (٣) .

وذكرت دائرة معارف العلوم الكلاسيكية (٤) ، ان لهذه الرسالة ترجمة قديمة باللاتينية مفقودة نهايتها . وان أحسن من أخرجها هو كنثر سنة ١٨٩٨ (٥) .  
وكان الباحث ف . فوجيني ، قد سبق الى نشرها سنة ١٧٤٣ (٦) .

(١) Bekenntnis der Väter (الفترة ١٠١) وقد نشر هذا البحث في مجلة :

Orientalia Christiana Periodica . ( III , 1937 ; pp . 345 - 362 )

وانظر كتابه : Graf (Georg) , Geschichte der Christlichen Arabischen Literatur . (Vol . I , Citta del Vaticano, 1944; p 26 ,No 556) .

(٢) Mingana ( A . ) , Catalogue of the Mingana Collection of Manuscripts , (Vol . II , Cambridge , 1936 ; P. 48 )

(٣) Migne(Jacques Paul), Patrologiae Cursus Completus. (Greek Series . (٢) Vol 41 , 42 , 43 )

(٤) Paulys Realencyclopädie der Classischen Altertumswissenschaft . (٤) ( Band VI<sup>1</sup> . Stuttgart 1907 ; p. 194 ) .

(٥) Guenther ( O ) , In : Collectio Avellanà , 1898 ; p . 743 ff .

(٦) S . Epiphani Salaminis in Cypro Episcopi : De XII Gemmis Rationalis Summi Sacerdotis Hebraeorum Liber ad Diodorum . Prodit nunc primo ex Antiqua Versione Latina Opera et Studio : P . Franc . Fogginii . ( Romae , 1745 ; XXXVI + 85 p . ) .

## مؤلف الرسالة :

ومؤلف هذه الرسالة ، هو القديس ايفانيوس (Epiphanius) ، أو ايفان ، أحد مشاهير آباء الكنيسة الأقدمين . وقد دوّن ترجمته غير واحد من الكتبة الشرقيين والغربيين ، نذكر من ذلك ، المراجع الآتية :

الكنز الثمين في أخبار القديسين : للبطريك مكسيموس مظلوم ( ٣ : ٦١ - ٦٨ ؛ بيروت ١٨٦٩ ) .

دائرة المعارف : لبطرس البستاني ( ٢ : ٤١٢ - ٤١٣ ؛ بيروت ١٨٧٧ ) .

مروج الأخبار في تراجم الأبرار : للأب بطرس فروماج اليسوعي ( بيروت ١٨٨٠ ؛ ص ٢٧٠ - ٢٧١ ) .

سيرة القديسين ( ١ : ٥٦٢ - ٥٦٦ ؛ الموصل ١٨٩١ ) .

تاريخ سورية : للمطران يوسف الدبس ( ٤ : ١٧٨ - ١٨٥ ؛ بيروت ١٨٩٩ ) .

المخطوطات العربية لكتبة النصرانية : للأب لويس شيخو اليسوعي ( ص ٢٤ الرقم ٧١ ، بيروت ١٩٢٤ ) .

كتاب السنكسار المشتعل على سير القديسين : للأرشمندريت ميشل عساف ( ٩ : ٤٦ - ٥٠ ؛ حريصا ١٩٤٨ ) .

دائرة المعارف : قاموس عام لكل فن ومطلب . بإدارة فؤاد أفرام البستاني ( ٥ : ٤٧٦ - ٤٧٧ ؛ بيروت ١٩٦٤ ) .

White (H. G. E.), Crum (W. E.) And Winlock (H. E.), The Monastery of Epiphanius at Thebes (2 Vols, New York, 1916-1926 : The Metropolitan Museum of Art : Egyptian Expedition).

Encyclopaedia Britannica. ( 14 th. ed; VIII, 656-657 ).

والذي يُستخلص من هذه المراجع جميعاً ، هو أن ايفانيوس ولد في قرية بزندوقة في ناحية بيت جبرين من أعمال فلسطين ، في نحو سنة ٣١٠ للميلاد . وتوفي في أواخر سنة

٤٠٢ أو أوائل سنة ٤٠٣ م . أقام في صباه في مصر ، وترهب في بعض دياراتها . فاقتبس  
 الفلسفة الرهبانية ، وتعلم هنالك عدة لغات : العبرية والقبطية والسريانية واليونانية  
 واللاتينية وبرع فيها جميعاً . وحين بلغ العشرين من عمره ، عاد إلى فلسطين ، وأنشأ فيها  
 ديراً ظل يتعاهده ثلاثين عاماً . وقد ألف في أثناء تلك المدة تأليف كثيرة . وكان صيته  
 وعلمه قد انتشرا في مصر وسورية وقبرس . فانتخبه القبرسيون ، في سنة ٣٦٧ م ، رئيس  
 أساقفة لجزيرتهم . فجعل مقره في سلاميس ، إحدى مدن قبرس . وأقام على ذلك حتى وفاته .  
 وقد طبعت مجموعة تأليف ايفانيوس في باريس سنة ١٨٥٦ و ١٨٦١ . كما نشرها ميسن  
 Migne أيضاً ، على ما سبقت الإشارة اليه . وكان الأب لويس شيخو اليسوعي <sup>(١)</sup> والأب  
 بولس سباط <sup>(٢)</sup> ، قد نوها بشيء ، من تأليف ايفانيوس المنقولة إلى اللغة العربية ، ولم  
 نجد بينها ذكراً لهذه الرسالة . ولم يتعين عندنا اسم ناقلها إلى العربية فضلاً عن معرفة زمنه .  
 كما ان المنقولات العربية من تأليف ايفانيوس التي أشار إليها هذان المؤلفان ، جاءت غفلا  
 من أسماء الذين تولوا نقلها .

#### صفة هذه الرسالة :

تصف هذه الرسالة اثني عشر حجراً كريماً وصفاً موجزاً فيه . وهذه الأحجار ، على  
 حد ما وردت تسميتها في النسخة الخطية ، هي : الحجر المدعو بالبابلي . الطباريون .  
 الزبرجد . الحجر الذي على لون الجمر . صابقيوريوس . ياسيباسن . الياقوت . الأخانيسن .  
 البيجازدي . الياقوت الأصفر . البهرمان . العقيق الطقري .

وسبب اقتصار هذه الرسالة على اثني عشر حجراً ، هو ان المؤلف رمى إلى إيضاح  
 ما كان يعلقه رئيس كهنة بني اسرائيل قديماً على صدره من حجارة كريمة بهذا العدد ،  
 يمثل كل حجر منها سبطاً من الأسباط الاثني عشر . وفي التوراة ما يعزز ذلك ، فان

(١) المخطوطات العربية لسكينة النصرانية . ( ص ٢٤ ) .

Sbath( Paul ), Al Fihris : Catalogue de Manuscrits Arabes .(Première (٢)  
 Partie . Le Caire 1958 ; P. 26 , No. 46 ) .

أولئك رؤساء الكهنة ، كانوا يضعون صدره مربعة طولها شبر وعرضها شبر . قال :  
« ورصع فيها ترصيع الجواهر أربعة صفوف من حجارة ، في الصف الأول : حجر  
العقيق الأحمر والياقوت الأصفر والزمرد . وفي الصف الثاني : البهرمان والياقوت الأزرق  
والعقيق الأبيض . وفي الصف الثالث : عين الهرّ واليشم والجمست . وفي الصف الرابع :  
الزبرجد والجزع واليشب . ولتكن مقلدة بالذهب في ترصيعها » (١) .

فترتيب أسماء الحجارة الوارد في الرسالة ، لا يوافق ترتيبها المذكور في التوراة .  
وتختلف الحجارة فيها نفيًا وإثباتًا .

على ان أسماء هذه الأحجار ، لم ترد في ما بيدنا من ترجمات عربية للتوراة ، على غرار  
واحد ، بل اختلف بعضها بين ترجمة وأخرى اختلافًا ظاهرًا من حيث الترتيب والتعريب معًا .  
ولنا أن نقول ، إننا رجعنا إلى أربع من هذه الترجمات العربية للتوراة :

الأولى : طبعت في لندن سنة ١٨٢٢ نقلًا عن النسخة المطبوعة في رومة سنة ١٦٧١ م  
ولا نعرف اسم ناقلها إلى العربية .

الثانية : ترجمة الآباء الدومنيكيين في الموصل . وهي للمطران اقليميس يوسف داود  
الموصلي . وقد طبعت في الموصل غير مرة ، وأشهرها طبعة سنة ١٨٧٥ .

الثالثة : ترجمة الآباء اليسوعيين في بيروت . وقد أشرف على تصحيح بعضها الشيخ  
إبراهيم اليازجي . وطبعت مرارًا ، ومنها طبعة سنة ١٩٢٥ .

الرابعة : ترجمة المرسلين الأميركيين في بيروت . وقد أشرف على تصحيحها المعلم بطرس  
البيستاني . ولها طبعات عديدة .

(١) سفر الخروج ٢٨ : ١٧ - ٢٠ من الترجمة الدومنيكية المطبوعة في الموصل .

وسنورد في الثبت الآتي، أسماء هذه الحجارة ، وفق سياقها في كل من الترجمات الأربع المذكورة ، مع ذكر ما يقابلها في اللغة الانكليزية منقولاً من ترجمة التوراة نفسها الى هذه اللغة :

الترجمة الى اللغة الانكليزية	الترجمة الأمريكية	الترجمة اليسوعية	الترجمة الدومنيكية	ترجمة رومة	الصف
Sardius	عقيق أحمر	ياقوت أحمر	عقيق أحمر	ياقوت أحمر	الأول
Topaz	ياقوت أصفر	ياقوت أصفر	ياقوت أصفر	زبرجد	
Carbuncle	زمرد	زمرد	زمرد	زمرد	
Emerald	بهرمان	بهرمان	بهرمان	سمندجوني	الثاني
Sapphire	ياقوت أزرق	لازورد	ياقوت أزرق	عقيق	
Diamond	عقيق أبيض	ماس	عقيق أبيض	يسب	
Jacinth	عين الهر	سمندجوني	عين الهر	ماس	الثالث
Agate	يشم	عقيق يماني	يشم	كر كند	
Amethyst	جمشت	جمشت	جمست	كر كهن	
Beryl	زبرجد	زبرجد	زبرجد	نجا دي	الرابع
Onyx	جزع	جزع	جزع	بلور	
Jasper	يشب	يشب	يشب	مدينح	

إن المترجم المجهول لهذه الرسالة ، قد جرى في تسمية بعض الأحجار ، على اتخاذ الألفاظ اليونانية التي نقل منها ، ولم يسر في تعريبها على ما سار عليه مؤلفو كتب الجواهر التي في أيدينا ، ككتاب « الجواهر في معرفة الجواهر » لأبي الريحان البيروني ، المتوفى سنة ٤٤٠ هـ ( ١٠٤٨ م ) ؛ و « أزهار الأفكار في جواهر الأحجار » لأحمد بن يوسف التيفاشي ( ٦٥١ هـ ١٢٥٣ م ) ؛ و « نخب النخائر في أحوال الجواهر » لابن ساعد الأنصاري المعروف بابن الألفاني السنجاري ( ٧٤٩ هـ ١٣٤٨ م ) .

ولغة هذه الرسالة ، يعثورها ضعف وركاكة . وهي في جملتها لا تخلو من أوهام نحوية وإملائية ظاهرة . فمن الأوهام النحوية ، قوله : وادي كبير ، أن ينظرون ، هم أناساً ، إذا أخذ أحداً منديل ، بدلاً من قوله : وادٍ كبير ، أن ينظروا ، هم أناسٌ ، إذا أخذ أحده منديلاً .

ومن الأوهام الإملائية ، قوله : رؤس ، بدلاً من رؤوس . وهو لا يتردد في كتابة الألف المقصورة طويلةً ، فهو يكتب : يُسمًا ، المسما ، تبقا ، أقصا ، بدلاً من : يسمي ، المسمى ، تبقى ، أقصى . وقد أشرنا الى شيء من ذلك في تضايف تعليقاتنا على الرسالة . والذي يبدو لنا ، أن ناقل هذه الرسالة ، أو ناسخها ، أو كليهما معاً ، لم يكن يجيد العربية ، فوقع في أثناء النقل أو النسخ بمثل ما وقع فيه ، على ما مر بنا .

شكر وثناء :

وقبل أن أختتم هذه النبذة التمهيدية ، أودّ أن أعرب عن شكري الجزيل لمن أفادني في أثناء تحقيق هذه الرسالة والتعريف بمؤلفها . وهم كل من الأساتذة الأفاضل : الدكتور داود الجلي ، والمطران الدكتور روفائيل بيداويد ، والمستشرق جورج غراف ، والأب خليل فوجحصاري ، والمحوري بطرس سابا .

\* \* \*

والى القاريء ، نص الرسالة . وقد جعلنا لكل حجر ورد ذكره فيها ، رقماً متسلسلاً :

## نص الرسالة

صفة الحجارة التي تعلق على كهنة بني إسرائيل :  
ما ذكره القديس ايفانيوس عن الاثني عشر حجراً :

### ١ - الحجر المدعو بالبابلي

لونه أشقر كلونِ الدم . ويصير في بابل التي بأرض فارس<sup>(١)</sup> . وهو شفاف يبرق ويلمع ،  
وفيه قوة شافية . تستعمله الأطباء للأورام والضربات الصائرة من الحديد ، تدهن به<sup>(٢)</sup> .

### ٢ - صخر الطباربون<sup>(٣)</sup>

لونه أحمر أكثر من الحجر المسمى<sup>(٤)</sup> خمرياً . ويصير في باره<sup>(٥)</sup> مدينة الهند . وإذا  
انحك على مسنّ ليس يخرج لون الحك منه مثل لونه أحمر ، بل مثل اللبن ويملاً الطبيب منه  
اقداحاً كبيرة مهاشاً ( ؟ ) وهو يُحك وليس ينقص لا من وزنه ولا من هيئته لونه .  
وحكاكته تنفع لوجع العين ، وإذا شُرب ينفع للجنون وللذين ينصرعون .

### ٣ - صخر الزبرجد<sup>(٦)</sup>

وهو أخضر<sup>(٧)</sup> . وهذا الحجر يُخفر في بلاد الهند . ويقطعون به . منفعته أنه يُسكن  
المعش . وهو شفاف يبصر فيه الوجه .

(١) لم تكن بابل من أرض فارس ، بل هي من أرض العراق . ولعل المؤلف أراد أنها كانت تحت  
الحكم الفارسي .

(٢) هذا الحجر ، نظراً الى وصفه ، يشبه أن يكون « البلخس »

(٣) لم أجد هذا الاسم في ما بيدي من كتب في هذا الباب .

(٤) المخطوط : المسما .

(٥) في كتاب « نخبه الدهر في عجائب البر والبحر » لشمس الدين الدمشقي المعروف بشيخ الزبوة  
( ص ١٩ ؛ بطرسبرج ١٨٦٥ ) ذكر بلدة في الهند اسمها « بارامي » فلعلها المذكورة أعلاه . فإنا لم  
نعثر في ما بيدنا من مراجع ، على مدينة في الهند باسم « باره » .

(٦) الزبرجد : معروف ، وقد يقال زبرجد . وهو أل Pèridot

(٧) في « نخبه اللطائف في أحوال الجواهر » بتحقيق الأب أنستاس ماري الكرملي ( القاهرة

١٩٣٩ ؛ ص ٥٣ ) : انه « فستقي اللون ، شفاف ، لكنّه سريع الانطفاء لرخاوته » .

#### ٤ - الحجر الزبري على لون الحجر<sup>(١)</sup>

بشريّ اللون ، مشبع ، يصير في قرطاجنة التي في القيروان التي تدعى افريقية . ويقال عنه انه ليس يوجد بالنهار لكن بالليل ، لأنه يبعث شراره على بعد مثل شمعة أو جرة ، وهذا ساعة بعد ساعة ، فيعرفونه الذين يطلبونه انه هو المطلوب ، فيُقصَد من شعاعه فيجسّدونه . فاذا أُحْمِل في ثياب ، مهما كانت الثياب التي يُدْف بها ، فيكون ضوءه خارج منها .

#### ٥ - الحجر المسمى صابفيريوس<sup>(٢)</sup>

لونه اسمانجوني . يصير في الهند والحبشة . واذا أحمك يبري الحبوب والحزاة . واذا قطر منه على المواضع المتقرحة مع كبن ، أبرأتها .  
الألواح التي أعطيت لموسى على الجبل ، يقال إنها على حجار اسمانجوني ظهرت .

#### ٦ - الحجر المسمى ياسيباس<sup>(٣)</sup>

يمائل لون الزبرجد الأخضر . يوجد على فم النهر المسمى برموز ونطن ، وفي مدينة أماتيا التي بقبرص . وينفع من الصرع .

---

(١) أراد به الياقوت الأرجواني . فقد جاء في نخب الذخائر ( ص ٦ ) قوله : « ومنهم من يسمي [ الياقوت ] الأرجواني : الجري ، بالجيم ، تشبيها له بالجر المتقد » . قلت ان اسمه بالفرنسية : Rubis Oriental .  
(٢) هو الحجر المعروف باللازورد والموهق ( Lapis - Lazuli ) . والأصح ان يقال فيه صابفيريوس بلاياء قبل الواو . قال الاب أنستاس ماري الكرملي ( نخب الذخائر ص ٩٣ ) : « يسمى بالانكليزية Sapphire وباللاتينية Sapphirus وباليونانية Sappheiros . والكلمة سامية الأصل . واسم بالعربية ( سفير ) بفتح السين وكسر الفاء المشددة يليها ساكنة وفي الآخر راء . ويقابلها بالعربية ( سفير ) كعلم وهو من سفر الصبح أي أضاء وأشرق لضياء هذا الجوهر وإشراقه » .  
(٣) في هذه اللفظة تحريف كبير . فالنقطة فوق بطن السين مغلوطة . فتبقى الكلمة ياسيباس وهذه محرفة عن ياسيبس وهو اليشب ( Jaspe ) ، وقيل فيه اليشم . وفي اليونانية Iaspis . أنظر : نخب الذخائر ( ص ٧٢ وما بعدها ) .

أشقر . يوجد في بلد الاسكيفيا الجوّاني . وقد جرى اعتياد القدماء أن يسموا الاقليم الجوّاني الذي يسكنه الغم<sup>(٢)</sup> وللدونس الاسكيفيا . فاذا هبّ الك داخل بيرة الاسكيفيا الكبيرة واد<sup>(٣)</sup> كبير عميق جداً غير مسلوک من الناس ومُصان من كل جانب بجبال عالية صخرية من هاهنا وهناك كمن حيطان . ولا يستطيعون أن ينظروا<sup>(٤)</sup> الى قرار الوادي من عمقه ، لأنّ الأبصار تكلّ وتحمير من النظر اليه . وتظلم لأنه مثل الهوته [ الهوة ] . والذين يُرسلون من الملوك الذين يُقاربون ذلك الموضع ، هم أناس<sup>(٥)</sup> محرومون ، يلزمهم ذلك يذبجون خرافاً ويسلخونها ويطرحونها من فوق تلك الجبال إلى عمق الوادي ، فتلتصق تلك الحجارة بتلك اللحوم . وفي تلك الصخور تأوى الصقورة ، فتنحدر على روائح اللحوم الى ذلك الوادي وتشيل الخراف وفيها تلك الحجارة لاصقة . وفيما يأكلون اللحوم ، تبقى<sup>(٦)</sup> الحجارة على رؤوس الجبال ، فيكون أولئك القوم يترقبون وينظرون إلى أين قد رفعت الصقورة<sup>(٧)</sup> اللحوم ، فيقصدها ويجدون الحجارة وهكذا يأخذونها . وفيها فعل مثل هذا أعني الحجارة ، انها إذا جعلت على جمر نار ماء تقطر<sup>(٨)</sup> وتطفي الجمر . وليس هذا

(١) الباقوت : معروف ، وهو أنواع . واسمه بالفرنسية Rubis .

(٢) عقد ابن خلدون فصلاً في المجلد الثاني من تاريخه ، قال في عنوانه : « الخبر عن اللطانيين ، وم الكيم ، المعروفون بالروم من أمم يونان وأشياعهم وشعوبهم » . فلعل الكيم هم الغم المشار اليهم في المتن

(٣) المخطوط : وادي .

(٤) المخطوط : أن ينظرون .

(٥) المخطوط : أناساً .

(٦) المخطوط : بقا .

(٧) المخطوط : الصقورة .

(٨) المخطوط : ما تقطر .

فقط ، بل إذا أخذ أحدٌ مندبلاً<sup>(١)</sup> ولفّ الحجر ووضعهُ على الحجر وهو ماسكها ، فتكون يده تتشوّط من النار ويبقى<sup>(٢)</sup> المندبيل لا تُضرّه النار البتّة . ويُقال عنه انه ينفع النساء اللواتي يلدن ، عند الولادة .

٨ — صمغ الأمانيس<sup>(٣)</sup>

لونه لازوردي . وهو يوجد في تلك البلدان . واذا سُحِقَ وُطِي به الجبهة ، يمنع من لسع الأفاعي والعقارب .

٩ — صمغ البجاري<sup>(٤)</sup>

لونه خمريّ ناريّ . يوجد في جبال القيروان على شاطئ البحر .

١٠ — صمغ الباقوت الأصفر<sup>(٥)</sup>

لونه ذهبي . يوجد في البحر عند شاطئ إيشامانيدا<sup>(٦)</sup> الذي ببابل . وُجِبَ تلك الصخرة يسمّى إيشامانيدا . واذا سُحِقَ يبري أوجاع المعدة والقولنج والجوف .

١١ — صمغ البهرمان<sup>(٧)</sup>

لونه يضرب الى زرقاة . يصير عند أقصى<sup>(٨)</sup> الجبال المدعوة بالطاوروس<sup>(٩)</sup> .

(١) المخطوط : أخذ احداً مندبيل .

(٢) المخطوط : ويبقى .

(٣) طراً تحريف على هذه اللفظة : فانتقطة فوق بطن السين زائدة . فالصحيح آخانس ، وهو

العقيق Agate .

(٤) وكثيراً ما يسمّى « البجادي » . ، بكسر الباء وهو بالفرنسية Grenat .

(٥) هو بالفرنسية Corindon Jaune .

(٦) لعله يريد : « اشيا ما نورا » ( Asia Minora ) ، وإن كان الأمر لا يتصل ببابل .

(٧) هو الباقوت البهرمان ، وبالفرنسية Rubicelle .

(٨) المخطوط : أقصا .

(٩) هي جبال طوروس ( Taurus ) القائمة في جنوبي آسيا الصغرى .

١٢ — حجر العقيق الطفري<sup>(١)</sup>

لونه أحمر . ويوجد في هذا الجبل نفسه .  
تمّ بعون الله تعالى . انتهت الرسالة .

كور كيس عواد

(١) لعل اللفظة مصحفة عن « الطفاري » نسبة الى ظفار ، بفتح أوله . قال ياقوت الحموي ( معجم البلدان ٣ : ٧٧ هـ طبعة ليسك ) : « ظفار : مدينة باليمن في موضعين ، إحداهما قرب صنعاء ، وهي التي ينسب اليها الجزع الطفاري » . ويعرف ( الجزع ) عند الاغريق والفرنج بلفظة Onyx ومعنى هذه اللفظة بلغة الاغريق الطفر . فلا غرو أن سمى صاحب هذه الرسالة الجزع بالعقيق الطفري ، لأنه أولاً كان ، على ما يظهر ، قبيل المعرفة بالعربية ، فكان يحبل ان اسم هذا الحجر بالعربية الجزع ، وثانياً لأن بين العقيق والجزع نسبة صرح بها البيروني في كتابه الجماهر ( ص ١٧٤ ) حيث قال : « ويخرج [ الجزع ] باليمن في معادن العقيق ، وقيل بينها نسبة بوجه التقارب ، وقد قيل إن في الهند من العقيق ما يسمى جزعاً » .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ، والصلوة والسلام على رسول الله

مقدمة

# المؤنثات السماعية

بقلم : محمد الخال

— ٢ — تنمة —

مؤنث . قال أبو حاتم <sup>(١)</sup> : وهو مذكر لاغير .

(الصالب) حمى شديدة الحرارة معها رعدة ، في المخصص يذكر ويؤنث .

(١) هو محمد بن إدريس ، أبو حاتم الرازي : حافظ للحديث من أقران البخاري ومسلم ، ولد في الرى سنة ١٩٥ هـ = ٨١٠ م واليه نسبته ، وتنقل في العراق والشام ومصر وبلاد الروم ، وتوفي ببغداد سنة ٢٧٧ هـ = ٨٩٠ م ، وله « طبقات التابعين » وكتاب « الزينة » .

(الصَّبُوبُ) : كفلوس تصوب نهرًا وطريق يكون في حدور ، في الدستور ومنظومة البيتوشي وجامع الشواهد مؤنثة .

(صدر القنا) القنا جمع قناة وهي الرمح وصدرها سنانها ، في الدستور ومنظومة البيتوشي مؤنثة ، أما صدر الانسان فذكر كما في القاموس فاطلاق جامع الشواهد أي ادخال الصدر مطلقاً في عداد المؤنثات السماعيات ليس في محله ، والحق ان الصدر ليس بمؤنث مطلقاً وإنما تأنيثه في صدر القنا بالاكتساب من المضاف اليه كما يقول بهاء الدين العاملي رحمه الله في كتاب الصمدية ويمثل له بالبيت القائل :

وتشرق بالقول الذي قد أذعته كما شرقت صدر القناة من الدم

(الصراط) : ككتاب الطريق ، في المخصص والدستور ومنظومة البيتوشي وجامع الشواهد يذكر ويؤنث ، وفي التنزيل « من اصحاب الصراط السؤي ومن اهتدى » في قراءة ، وأما قراءة حفص عن عاصم فقد تدل على التذكير والجمع صُرُطٌ وَأَصْرِطَةٌ .

(الصَّعُودُ) : كصبور ضد الكهبوط ، والجمع صُعُدٌ وصَعَائِدٌ ، في المخصص والدستور ومنظومة البيتوشي وجامع الشواهد مؤنثة ، يقال وقعوا في صعورٍ منكورة .

(الصلاح) : كقفل السلم ، في المنجد وجامع الشواهد يذكر ويؤنث .

(الصليف) : كامير عرض العنق ، في جامع الشواهد يذكر ويؤنث .

### باب الضار

(الضائن) : واحد الضأن وهو خلاف الماعز من الغنم ، في الدستور ومنظومة البيتوشي وجامع الشواهد مؤنثة ، والجمع ضَأْنٌ وَضَأَانٌ وَضَيْنٌ وَضَيْينٌ .

(الضبع) : بضم الباء وسكونها ضرب من السباع معروف ، في الدستور والقاموس ومنظومتي البيتوشي وابن الحاجب والمنجد وجامع الشواهد مؤنثة ، وكذا ضَبْعٌ بمعنى

السنة الشديدة كما في المخصص ، والجمع ضِبَاعٌ وَأَضْبِعُ وَضُبِعُ وَضُبِعٌ وَضُبُوعَةٌ وَضُبُعَاتٌ .

(الضحى) : بضم الضاد وفتح الحاء مقصوراً وقت شروق الشمس ، في المخصص والدستور وأدب الكاتب والمزهر ومنظومة البيتوشي مؤنثة ، يقال ارتفعت الضحى ، وتصغيرها ضَحْيٌ بغير هاء لثلا يشبه تصغير ضحوة ، قال الشاعر :

سرح اليبدين إذا ترفعت الضحى هـدج الثقال بحمله المتناقل

وفي القاموس والمنجد وجامع الشواهد مؤنثة ويذكر ، وفيه ان علامة التأنيث موجودة فيها.

(الضَّرْبُ) : بفتح الحاء والسين واللام ، في الدستور ومنظومة البيتوشي

وجامع الشواهد مؤنثة ، وفي المخصص يذكر ويؤنث قال الشاعر في التأنيث :

وما ضربٌ بيضاء يأوى مليكها الى طنف أعيا براق ونازل

(الضرس) : السين والجمع أضراس وضروس ، في المخصص ومنظومة ابن مالك والمنجد

يذكر ويؤنث ، قال دُكَيْنُ الرَّاجِزِ (١) :

ففقئت عينٌ وطنت ضرس

ورده الأصمعي (٢) وقال : إنما هو « وطن الضرس » ويقال ثلاثة أضراس ، ويلزم على

من أنه أن يقول : ثلاث أضراس ، قال أبو حاتم (٣) وأنشد أبو زيد (٤) في أحجيته :

وسرب ملاح قد رأينا وجوهه إناث أدانيه ذكور أواخره (٥)

(١) سبقت ترجمته في الصفحة ٣٢٦ من المجلد الثالث عشر من هذه المجلة .

(٢) هو أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن علي بن اصبع الباهلي : كان اماماً في اللغة والنحو والأخبار والملح والنوادر ، ولد في البصرة سنة ١٢٢ هـ = ٧٤٠ م وتوفي فيها سنة ٢١٦ هـ = ٨٣١ م أخذ العلم عن شعبة بن الحجاج وحماد بن محمد وحماد الزاوية ومسهر بن كدام وغيرهم ، نشأ بالبصرة وقدم بغداد في أيام هارون الرشيد له تآليف كثيرة وتصانيف مهمة .

(٣) سبقت ترجمته في الصفحة ١٢١ .

(٤) « « « « ٣١٤ من المجلد الثالث عشر .

(٥) السرب : الجماعة ، والمراد بها الأسنان لأن أدانيها الثنية والرابعة مؤنثتان ، وباقي الأسنان مذكرة

كالناجذ والضاحك والضرس والناجب .

وفي كتاب خلق الانسان للامام أبي اسحاق الزجاج<sup>(١)</sup> : في الفم الاسنان والاضراس  
وهما اثنان وثلاثون من فوق ومن اسفل ، يقال لها الشنايا والرابعيات والانياب والضواحك  
والارحاء والنواجذ ، فالشنايا أربع إثنان من فوق وإثنان من أسفل ، ثم يليهن أربع  
رابعيات إثنان من فوق وإثنان من أسفل ، ثم يلي الرابعيات الأنياب وهي أربعة ، ثم يلي  
الانياب الأضراس وهي عشرون من كل جانب من الفم خمسة من أسفل وخمسة من فوق ،  
ويقال لأربعة من اقصى الأضراس الناجذ ، كما يقال لكل سن تبدو عند الضحك  
الضاحك .

(الضلع) : كعنب وجدع عظم مستطيل من عظام الجنب منحني ، والجمع أضلع وضلوع  
وأضلاع ، في المخصص والدستور ومنظومة البيتوشي ومختصر العين والمنجد وجامع الشواهد  
مؤنثة ، جاء في الحديث الشريف ( خلقت المرأة من ضلع عوجاء نزع من جنب آدم عليه  
السلام ) وكذلك الضلع من الجبل المستدق منه يقال : أنزل بتلك الضلع ، وفي منظومة  
ابن مالك ويذكر .

### باب الطاء

(الطاغوت) : كهاروت الأصنام وكل رأس ضال يقع على الواحد والجمع ، والجمع  
طواغ وطواغيت ، في الدستور ومنظومة البيتوشي وجامع الشواهد مؤنثة ، وفي المخصص  
ويذكر ، وفي التنزيل « والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها » وقد وردت ذكرها في  
القرآن مذكراً في قوله تعالى « وقد أمروا أن يكفروا به » لذا قيل إنما أنت في الآية السابقة  
على ارادة الألهة التي كانوا يعبدونها .

(١) هو ابراهيم بن السري بن سهل ، أبو اسحاق الزجاج : عالم بال نحو واللغة ، ولد في بغداد سنة  
٢٤١ هـ = ٨٥٥ م ، وتوفي فيه سنة ٣١١ هـ = ٩٢٣ م ، طلب عبید الله بن سليمان وزير المعتضد  
المبالي مؤدباً لابنه القاسم ، فذله المبرد على الزجاج ، فطلبه الوزير فأدب له ابنه الى ان ولي الوزارة  
مکان ابيه فجعله القاسم من كتابه ، له تصانيف عديدة .

(الطاوس) : طائر حسن الشكل ، في جامع الشواهد مؤنثة ، والجمع اطواس وطواويس .  
(الطباع) : ككتاب السجية التي جبل عليها الانسان وهي واحدة مثل النجار ، في  
الدستور ومنظومة البيتوشي وجامع الشواهد مؤنثة ، وفي المخصص يذكر ويؤنث والتأنيث  
فيه اكثر ، قال ابو حاتم : الطباع مذكر إلا أن تتوهم الطبيعة .  
(الطبق) : كفرنس ظرف يطبخ فيه ، معرب (تابه) ، في جامع الشواهد مؤنثة ،  
والجمع أطباق .

(الطريق) : كرفيق السبيل ، والجمع طرق وأطرق وأطرقه وأطرقاء ، في المخصص وأدب  
الكاتب والدستور والقاموس والمزهر ومنظومة البيتوشي وجامع الشواهد مذكر ويؤنث .  
(الطست) : كنهلس اناء كبير لغسل الأيدي وغيرها ، والجمع طسوت ، في الدستور  
ومنظومة البيتوشي مؤنثة ، وفي المخصص يذكر ويؤنث قال الشاعر في التأنيث :

رجعت الى صدر كطست حنتم      إذا قرعت صفراً من الماء صلت  
وقال آخر في التذكير :

وهامة مثل طست العرس ملتعم      يكاد يُخَطِّفُ من إشراقه البصر  
وكذلك طسٌ على ما في المخصص وطشت على ما في جامع الشواهد كلتاها بمعنى طست .  
(الطوي) : بفتح الطاء وكسر الواو وتشديد الياء اسم بئر بقرب مكة في موضع يقال  
له ذو طوي ، في جامع الشواهد مؤنثة .

(الطير) : كفلس جمع طائر وقد يقع على الواحد ، في الدستور ومنظومة البيتوشي  
وجامع الشواهد مؤنثة ، وفي التنزيل « تأكل الطير منه » .

### باب الطاء

(الظئر) : العاطفة على ولد غيرها ، في المخصص مؤنثة من الناس ومن الإبل أيضاً ، والجمع  
آظار واظور وظوور وظؤورة وظؤار ، فيه ان الظئر هل يصح اطلاقها على المذكر ، وعند  
الاطلاق فهل يصح ارجاع ضمير المؤنث اليه فان صحا - وهو بعيد جداً - فهذا والافهي

خاصة بالمؤنث وتعد من المؤنث المعنوي .

(الظهر) : كقفل ساعة الزوال ، في المخصص وجامع الشواهد مؤنثة ، يقال الظهر فاتتني وكذلك العصر والمغرب ، اما سيبويه فقال هذه الظهر وهذه المغرب اي هذه صلاة هذا الوقت .

### باب العين

(العائق) : كفاعل موضع الرداء من المنكب ، الجمع عواتق وعتق ، في الدستور ومنظومة البيتوشي مؤنثة ، وفي المخصص وادب الكاتب ومنظومة ابن مالك والمزهر وجامع الشواهد يذكر ويؤنث ، قال الشاعر في التأنيث :

لا صلح بيني فاعلموه ولا بينكم ما حملت عاتقي  
سيفي وما كنا بنجد وما قرقر قرقر الوادي بالشاهق

واما العائق من القطا والحمام ( وهو ما لم يسن ويستحكم ) فذكر .

(العجز) : كعضد مؤخرة الشيء ، والجمع اعجاز ، ويقال لقبائل من هوازن عجز هوازن ، في المخصص والدستور ومختصر العين والقاموس والمزهر ومنظومة البيتوشي والمنجد وجامع الشواهد مؤنثة بالمعنيين .

(العجم) : كفرس وقفل خلاف العرب ، الواحدة اعجمي ، في الدستور ومنظومة البيتوشي وجامع الشواهد مؤنثة .

(العرب) : جيل من الناس بلادهم شبه جزيرة شرقي البحر الأحمر ، في المخصص والدستور والقاموس والمنجد ومنظومة البيتوشي مؤنثة ، قالوا العرب العاربة والعرب العاربة ، وقال ابو بكر الصديق<sup>(١)</sup> رضي الله عنه للأنصار يوم السقيفة : « نحن عترة رسول

(١) هو عبد الله ابن أبي قحافة عثمان بن عامر بن كعب التيمي القرشي ، أبو بكر : أول الخلفاء الراشدين ، وأول من آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم من الرجال ، ولد بمكة سنة ٥١ ق ه = ٥٧٣ م ونشأ سبداً من سادات قريش ، وغنياً من كبار موسريهم ، وعالماً بانساب القبائل واخبارها وسياستها ، توفي بالمدينة سنة ١٣ ه = ٦٣٤ م .

الله صلى الله عليه وسلم التي خرج منها ، وبيضته التي تفقت عنه ، وإنما جيبت العرب عنا كما جيبت الرحي عن قطبها .

(العُرسُ) : بالضم طعام الزفاف ، والجمع أعراس وعرسات ، في المخصص وأدب الكاتب والدستور والمزهر ومنظومة البيتوشي يذكر ويؤنث ؛ وقول جامع الشواهد : العرس كحبر زوجة الرجل مؤنثة غلط لأنها إذا كان بمعنى الأنثى فهو مؤنث معنوي لا سماعي .  
(العَرُوضُ) : كصبور ميزان الشعر والجزء الأخير من الشطر الأول ومكة والمدينة وما حولها ، في المخصص وأدب الكاتب والدستور ومنظومتي البيتوشي وابن الحاجب والقاموس والمنجد وجامع الشواهد مؤنثة ، قال الشاعر :

ما زال سوطي في قرابي ومحجني وما زلت منه في عروض أذودها

قال شارح القاموس وربما يذكر كما في اللسان .

(العسلُ) : كفرس لعاب النحل ، في المخصص وأدب الكاتب والقاموس والمزهر والمنجد وجامع الشواهد يذكر ويؤنث ، قال الشماخ (١) .

كأن عيون الناظرين يشوقها بها عسل تطابت يدا من يشورها (٢)

(العِشاءُ) : من المغرب إلى العتمة ، في جامع الشواهد مؤنثة ، وفيه ان علامة التأنيث موجودة فيها .

(العصا) : ما يتوكأ عليه ، في المخصص وأدب الكاتب والدستور والقاموس والمزهر ومنظومتي البيتوشي وابن الحاجب والمنجد وجامع الشواهد مؤنثة ، وفي التنزيل « وما تلك يمينك يا موسى قال هي عصاي » والجمع عُصَيٌّ وَعِصِيٌّ وَأَعْصَاءٌ .

(العصر) : آخر النهار إلى إحمراز الشمس ، في المخصص مؤنثة ، يقال العصر فاتتني

(١) هو شماخ بن ضرار بن حرمة بن سنان المازني الديلمي الغطفاني ، شاعر مخضرم ، أدرك الجاهلية والإسلام ، وهو من طبقة لبيد والنايفة ، كان أرجز الناس على البدئية ، جمع بعض شعره في ديوان مطبوع ، شهد القادسية توفي في غزوة موغان سنة ٢٢ هـ = ٦٤٣ م .

(٢) يشورها : أي يستخرجها ويحجتها .

وكذلك الظهر والمغرب ، فأما سيبويه <sup>(١)</sup> فقال هذه الظهر وهذه المغرب أي هذه صلاة  
هذا الوقت ، قال أبو علي القالي <sup>(٢)</sup> : كل هذه الأوقات مذكر فمن أنت فعلى إرادة الصلاة .  
(العضد) : ما بين المرفق الى الكتف ، في المخصص والدستور ومختصر العين ومنظومتي  
البيتوشي وابن الحاجب وجامع الشواهد مؤنثة ، وفي المزهرة والمنجد ومنظومة ابن مالك  
يذكر ويؤنث .

(العقاب) : كغراب طائر من الجوارح والجمع عقبان وأعقب ، في المخصص والدستور  
ومنظومة البيتوشي وجامع الشواهد مؤنثة ، وفي المنجد يذكر ويؤنث ، قال إمري  
القيس <sup>(٣)</sup> :

كأنها . عقابٌ تدلت من شماتح مهلان <sup>(٤)</sup>

قال الفارسي <sup>(٥)</sup> : وكذلك إذا أريد بالعقاب الراية حيث ان العلم الضخم يشبهه  
بالعقاب من الطير ، قال الشاعر :

ولا الراحُ راحُ الشامِ جاءت سيئةٌ لها غايةٌ تهدي الكرام عقابها

(العقب) : ككتف مؤخر القدم والجمع أعقاب ، في المخصص والدستور ومنظومتي  
البيتوشي وابن الحاجب والمنجد وجامع الشواهد مؤنثة ، وفي منظومة ابن مالك يذكر  
ويؤنث .

(العقرب) : كجعفر دويبة ذات سم تلسع ، والجمع عقارب ، وفي المخصص والدستور  
ومنظومتي البيتوشي وابن الحاجب وجامع الشواهد مؤنثة ، قال الشاعر :

إن عادت العقرب عدنا لها      وكانت النعل لها حاضره

(١) سبقت ترجمته في الصفحة ٣٣٣ المجلد الثالث عشر .

(٢) سبقت ترجمته في الصفحة ٣٣٤ مجلد الثالث عشر .

(٣) هو إمريء القيس بن حجر بن الحارث الكندي ، أشهر شعراء العرب على الإطلاق ، له الملقبات  
المشهوره ، ولد بديار بني أسد سنة ١٣٠ ق ٥ = ٤٩٧ م وتوفي سنة ٨٠ ق ٥ = ٥٤٥ م ودفن بآقرة .

(٤) مهلان : اسم جبل .

(٥) سبقت ترجمته في الصفحة ٣١٤ المجلد الثالث عشر .

وفي القاموس والمنجد يذكر ويؤنث ، وكذلك برج العقرب من السماء .

(العقبان) : الذهب الخالص ، في منظومة البيتوشي مؤنثة .

(العلباء) : عصابة صفراء في صفحة العنق ، والجمع علابي ، في المخصص يذكر ويؤنث ، وقال أبو حاتم : هو مذكر لا غير . وعندني أنها مؤنثة لوجود الألف الممدودة .

(العقاد) : بكسر العين الأبنية الرفيعة ، في جامع الشواهد مؤنثة ويذكر .

(العناق) الأثني من أولاد المعز ، والجمع أعنق وُعنوق ، وعناق الأرض دابة كالفهد وهي التَّمَّة تصيد كل شيء ، ومن الأمثال العربية :

« إستغنت التفة على الرُّفَّة » والرفة التبن وذلك أنها لا تأكل الا اللحم ، في المخصص والدستور ومنظومة البيتوشي مؤنثة ، وفيه أنها بالمعنى الأول مؤنثة حقيقية .

(العنبر) : نوع من الطيب والجمع عنابر ، في المخصص يذكر ويؤنث كالمسك ، يقال هي العنبر وهو العنبر ، قال أعرابي في تأنيث العنبر :

والمسك والعنبر خير طيب  
وأخذنا بالثمن الرغيب  
وقال الأعشى<sup>(١)</sup> في تذكير العنبر .

إذا تقوم يضوع المسك آونة  
والعنبر الورد من أردانها شمبل

(العنز) : كفلس الأثني من المعز والجمع عناز واعنز وُعنوز ، في جامع الشواهد مؤنثة ، وفيه أنها مؤنثة معنوية .

(العنق) : كقفل ودبر الجيد والجمع أعناق ، في الدستور والمخصص وأدب الكاتب والمزهر ومنظومتي البيتوشي وابن مالك وجامع الشواهد يذكر ويؤنث ، قال ابن دريد<sup>(٢)</sup> :

(١) هو ميمون بن قيس بن جندل ، كان أحد الأعلام من شعراء الجاهلية وفحولها ، وأحد أصحاب الملققات . سئل يونس النحوي يوماً من أشعر الناس ؟ فقال لأئوأى الى رجل بينه ولكني أقول : أمرىء القيس اذا رهب ، وزهير اذا رغب ، والأعشى اذا طرب . توفي سنة ٧ هـ = ٦٢٩ م .

(٢) هو محمد بن دريد الأزدي وكنيته أبو بكر ، ولد بالبصرة ونشأ بعمان ، كان شاعراً حكيماً ذا فلسفة وعلم باخلاق الناس وطباعهم حتى قيل : ان ابن دريد اعلم الشعراء وأشعر العلماء ، كان فصيحاً لسناً ضاعت كتبه الا قليلاً ، قيل كان طروباً محباً للموسيقى ذا علم بالابتناع والأنعام ، مات هو والجباثي في يوم واحد .

إذا قلت عنق بسكون الثاني ذكرت وإذا ثقلت الثاني أي ضممته أنته ، ولعل السبب في ذلك السماع .

(العنكبوت) : كحضرموت دويبة معروفة تنسج من لعابها خيوطاً ، والجمع عناكب وعنكبوتات ، في منظومة ابن الحاجب مؤنثة ، وفي المخصص والدستور ومنظومة البيتوشي وجامع الشواهد وقد تذكر ، وفي التنزيل « كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً » ، وقال الشاعر في التذكير :

على هطّاهم منهم بيوت<sup>١</sup> كأن العنكبوت هو ابتناها<sup>(١)</sup>

(العَوَا) : تمد وتقصّر اسم كوكب ، في المخصص والدستور ومنظومة البيتوشي وجامع الشواهد مؤنثة ، قال الراعي<sup>(٢)</sup> :

ولم يسكنوها الحرّ حتى أظلمها  
سحاب<sup>٣</sup> من العَوَا تَوّب غيومها  
وقال الفرزدق<sup>(٣)</sup> :

هنا ناهم<sup>٤</sup> حتى أعاب عليهم<sup>٤</sup>  
من الدلو أو عَوَا السمك سجأها  
وفيه أنها مؤنثة بعلامة التأنيث .

(العِيرُ) : القافلة ، والجمع عَيْرَاتٍ وَعَيْرَاتٍ ، في المخصص والدستور والقاموس ومنظومة البيتوشي والمنجد مؤنثة ، وفي التنزيل « ولما فصلت العِيرُ » .

(العَيْنُ) : كفلس من الاسماء المشتركة ، لها معان كثيرة وانها مؤنثة بجميع معانيها ، منها الباصرة ، وفي التنزيل « وابيضت عيناه من الحزن » ومنها ينبوع الماء ، في التنزيل « فيها عين<sup>٥</sup> جارية » ، ومنها ذات الشيء ، ونفسه يقال لا آخذ<sup>٦</sup> الا درهمي بعينه ، أي لا اقبل منه بدلا ، ومنها الذهب المضروب (خلاف الورق) ، ومنها الركبة ، ومنها ناحية القبلة ، والعرب تقول مطرنا بالعين ومن العين اذا كان السحاب ناشئاً من ناحية

(١) الهطلال : جيل كما في معجم البلدان .

(٢) سبقت ترجمته في الصفحة ٣١٦ المجلد الثالث عشر .

(٣) « » « » « » « » المجلد الثالث عشر

القبلة ، ومنها الميزان ، ومنها النقد من دنائير ودرهم ، ومنها الحاضر من كل شيء يقال : « بعته عيناً بعين » أي حاضراً بحاضر ، وهكذا إلى آخر معانيها وذلك باتفاق المخصص والدستور والقاموس ومختصر العين ومنظومتي البيتوشي وابن الحاجب وجامع الشواهد ، وفي منظومة ابن مالك ويذكر ، أما عين الجيش بمعنى الرقيب الذي ينظر لهم فذكر .

### باب العين

(الغَنَمُ) : كفرس الشاة للجنس لا واحد لها ، والجمع أَعْنَامٌ وَعُنُومٌ وَأَغَانِمٌ في الدستور ومنظومة البيتوشي وجامع الشواهد مؤنثة ، وفي التنزيل : « اذ نفثت فيه غم القوم » .

(الغول) : بضم الغين وسكون الواو ساحرة الجن ، والجمع أَعْوَالٌ وَغِيلَانٌ ، في المخصص والدستور ومنظومتي البيتوشي وابن الحاجب وجامع الشواهد مؤنثة ، ومنه قول كعب بن زهير<sup>(١)</sup> :

فما تدوم على حال تكون بها كما تَدَوَّنُ في اثوابها الغول

### باب الفاء

(الْفَأْسُ) : كفلس آلة لقطع الخشب والجمع أَفُوسٌ وَفُؤَسٌ ، في المخصص والدستور والقاموس ومنظومتي البيتوشي وابن الحاجب والمنجد وجامع الشواهد مؤنثة .

(الْفَجِيثُ) : ككتف القبيبة ، في المخصص والدستور ومنظومة البيتوشي مؤنثة .

(الْفَخِذُ) : بفتح فكسر ما بين الساق والورك ، في المخصص والدستور ومختصر

العين والقاموس ومنظومة البيتوشي والمنجد مؤنثة ، وفي منظومة ابن مالك ويذكر ،

والجمع انخاذ ، وكذلك الفخذ من القبائل وهي انخاذ العرب وبطونها .

(١) هو كعب بن زهير بن أبي سلمى المازني : شاعر عالي الطبقة من اهل نجد ، له ديوان شعر مطبوع ، كان ممن اشتهر في الجاهلية ، ولما ظهر الاسلام هجى النبي صلى الله عليه وسلم واقام يشب ببناء المسلمين فهدر النبي دمه ، فجاءه مستأمناً وقد اسلم ، وانشد لاميته المشهورة فمغنا عنه النبي صلى الله عليه وسلم وخلع عليه بردته ، توفي سنة ٢٦ هـ = ٦٤٥ م .

(الفردوس) : بالكسر البستان والجنة ، في المخصص والدستور والقاموس ومنظومتي البيتوشي وابن الحاجب والمنجد وجامع الشواهد يذكر ويؤنث ، وفي التنزيل : « أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون » والظاهر انه انما يذهب في تأنيته الى ارادة الجنة ، والجمع فراديس .

(الفرس) : محرّكة حيوان معروف ، في الدستور ومنظومتي البيتوشي وابن الحاجب وجامع الشواهد مؤنثة ، وفي ادب الكاتب والمنجد ويذكر .

(الفِرْسِينُ) : كزبرج للبعير كالحافر للدابة ، في المخصص والدستور ومنظومة البيتوشي مؤنثة ، وفي منظومة ابن مالك ويذكر .

(الفُرسَاءُ) : ريح تخرج من النفسى بلا صوت ، في الدستور ومنظومة البيتوشي مؤنثة ، وفيه أنها مؤنثة بالالف الممدودة .

(الفلك) : كقفل السفينة يكون واحدا وجمعا ، وضمته جمعا غيرها واحدا ، في الدستور ومنظومة البيتوشي مؤنثة ، وفي المخصص والقاموس والمنجد وجامع الشواهد ويذكر ، قال ابن برّي<sup>(١)</sup> : الفلك واحدا مذكر لا غير وجمعا مؤنث لا غير ، لكن الاصح انها يؤنث إن اريد بها السفينة وان كان واحدا كقوله تعالى : « قلنا اجعل فيها من كل زوجين اثنين » ويذكر إن اريد به المركب كقوله تعالى : « والفلك المشحون » .

(الفؤاد) : القلب وربما اطلق على العقل ، والجمع افئدة ، في المخصص انه يذكر ويؤنث ، وحكى الفارسي عن ثعلب تأنيث الفؤاد ولم يستشهد عليه بشيء ، أما ما استشهد به ابن الانباري<sup>(٢)</sup> على تأنيته من قول الشاعر :

(١) هو عبد الله بن بري بن عبد الجبار المقدسي الاصل المصري ، ابو محمد ، ابن ابي الوحش : من علماء العربية النابيين ، ولد بمصر سنة ٤٩٩ هـ = ١١٠٦ م ، وتوفي فيها سنة ٥٨٢ هـ = ١١٨٧ م ، ولى رئاسة الديوان المصري ، له تأليف كثيرة منها الحوامي على صحاح الجوهري وعلى درة النواص للحري .

(٢) سبقت ترجمته في الصفحة ٣٢٨ المجلد الثالث عشر .

شفتيت النفس من حَيِّي إِيَاد بقتلي منهم بردت فؤادي  
فإنما ينهض إذا كان الفؤاد فاعلاً لبردت وليس كذلك بل مفعول به له ، اي بردت  
القتلى فؤادي بقتلي لهم .

(فُوقُ السَّهْمِ) : موضع الوتر منه ، والجمع فُوقٌ وأفواق ، في المخصص يذكرو يؤنث  
يقال هو الفوق وهي الفوقة ، قال الشاعر :

ولكن وجدت السهم أهون فوقة عليك فقد أودى دمُّ أنت طالبه  
(الفِهْرُ) : كحبر الحجر قد در ما يدق به الجوز أو يملأ الكف ، في المخصص  
والدستور ومنظومتي البيتوشي وابن الحاجب وجامع الشواهد مؤنثة ، وفي القاموس  
والمنجد ويذكر ، والجمع أفهار وفهور .

(الفَيْدَلِقُ) : في المخصص انها اسم للاكتيبة مؤنثة والجمع فيالق .

#### باب الفاف

(قَبَاءُ) : بالضم عمد ويقصر موضع قرب المدينة ، في الدستور والقاموس وشرحه ومنظومة  
البيتوشي وجامع الشواهد يذكرو يؤنث ، وكذلك قباء بالفتح عمد ويقصر نوع من  
اللباس ، والجمع اقبية ، وفيه انها مؤنثة بالالف الممدودة فكيف تعد مؤنثاً سماعياً ، بل  
وكيف يذكرو .

(القَيْتَبُ) : كحبر المعى وبتصغيرها سمي الرجل قتيبة ، في المخصص والدستور  
ومنظومة البيتوشي وجامع الشواهد مؤنثة ، وفي منظومة ابن مالك والمنجد وقد يذكرو ،  
والجمع أقتاب ، اما القتب بمعنى جميع ادوات السانية<sup>(١)</sup> فذكر .

(القَشَامُ) : بالبناء على الكسر انثى الضبعان ، في الدستور ومنظومة البيتوشي  
مؤنثة ، وفيه انها مؤنثة معنوية .

(القُدَامُ) : كرمات ضد الخلف ، في الدستور والقاموس ومنظومة البيتوشي

(١) السانية : البعير الذي يسنو من البشر أى يستقى .

والمنجد وجامع الشواهد مؤنثة وقد تذكر .

(القدرُ) : كجبر اناء يطبخ فيه ، في الدستور ومنظومة البيتوشي والقاموس مؤنثة ، وفي المخصص ومنظومة ابن الحاجب والمنجد وجامع الشواهد ويذكر ، قال الشاعر في التأنيث :

وقدر ككف القرد لا مستعيرها      يعار ولا من يأتها يتدم  
وقال آخر في التذكير :

بقدر يأخذ الأعضاء تماماً      بحاقتهم ويلتهم الفقارا  
وقال أبو حاتم<sup>(١)</sup> : القدر مؤنثة لا غير واما المرجل والمطبخ فذكران ، والجمع قدور وتصغيرها قُدَيْرَةٌ وقُدَيْرٌ .

(القدمُ) : كفرس الرجل ، في المخصص والدستور ومختصر العين والقاموس ومنظومة البيتوشي وجامع الشواهد مؤنثة ، وفي التنزيل : « فنزل قدمٌ بعد ثبوتها » والجمع أقدام وقدام ومصغرها قديمةٌ . وكذلك القدم السابقة والعمل الصالح كقوله تعالى : « أن لهم قدم صدق عند ربهم » ، وقال حسان بن ثابت الانصاري<sup>(٢)</sup> .

لنا القدم الأولى اليك وخلفنا      لإولئنا في ملة الله تابع  
وعند ابن مالك وصاحب المنجد ويذكر ، واما القدم بمعنى الرجل الشجاع فذكر ، يقال رجل قَدَمٌ اذا كان شجاعاً وكذلك بمعنى التقدم .

(القدومُ) : كصبور آلة للنجر ، والجمع قُدُمٌ وقُدائمٌ ، في المخصص والدستور وتهذيب التبريزي<sup>(٣)</sup> والقاموس ومنظومة البيتوشي والمنجد وجامع الشواهد مؤنثة ، قال الشاعر :

(١) سبقت ترجمته في الصفحة ١٢١ .

(٢) كان شاعراً جليلاً من أهل يثرب ، كان مع فصاحته وبلاغته عفيف النفس شريفاً ، عاش مئة وعشرين عاماً منها ستون في الجاهلية وستون في الاسلام ، توفي رحمه الله سنة ٦٤ هـ = ٦٨٣ م .

(٣) سبقت ترجمته في الصفحة ٣٢٦ المجلد الثالث عشر .

نعم القتي لو كان يعرف ربه      و يقيم وقت صلاته حماد  
نفخت مشافره الشمول فانفه      مثل القدوم يسنها الحداد  
(القفا) : كعصاء مؤخر العنق ، في المخصص والدستور والقاموس ومنظومة بيتي البيتوشي  
وابن الحاجب والمنجد وجامع الشواهد يذكر ويؤنث ، والتذكير اغلب ، قال الشاعر :  
وما المولى وان غلظت قفاه      باحمل للملاوم من حماري<sup>(١)</sup>  
والجمع أقاء وقفبي واقفية .

(القلتُ) : كجلس النقرة في الجبل ، والجمع قلات ، في المخصص والدستور ومنظومة  
البيتوشي وجامع الشواهد مؤنثة ، قال أبو النجم<sup>(٢)</sup> :  
قلدتُ سقتها العين من غزيرها  
وقال أيضاً :

لحى الله أعلى تدلعة حفشت به      وقلدتاً أقرت ماء قيس بن عاصم  
وكذلك قلت بمعنى نقرة في اصل الابهام .

(القلوصُ) : الإبل الشابة أو الباقية على السير أو أول ما يركب من إنائها أو الطويلة  
القوائم ، في الدستور ومنظومة البيتوشي مؤنثة ، قال الشاعر :  
ودع قلوصك تسعى في أماكنها      أماكن حل فيها سيد الامم  
(القلبُ) : كأمر البئر ، في الدستور ومنظومة البيتوشي وجامع الشواهد مؤنثة ،  
وفي المخصص وأدب الكاتب والمزهر ومنظومة ابن مالك ويذكر ، قال الشاعر في التأنيث :  
إني اذا شاربني شريب      فلي ذنوبٌ وله ذنوبُ  
وان أبي كانت له قلب

(١) الملاوم : جمع ملامة وهي اللوم .

(٢) هو فضل بن قدامة الديلي ، أبو النجم ، من بني بكر بن وائل : من أكبر الرجاز ومن أحسن  
الناس إنشاداً للشعر نبع في العصر الأموي ، وكان يحضر مجالس عبد الملك بن مروان وولده هشام .  
قال أبو عمرو بن العلاء : كان ينزل سواد الكوفة ، وهو أبلغ من العجاج في النعت ، توفي سنة

وقال البيهقي في التذكير :

وكم من قلب خض خضته دلاؤنا      فعاد نيراً بعد ما كان آجنا  
والجمع أَقْلَبَةٌ وَقُلْبٌ .

(القِمَطْرُ) : ما تُصانُ فيه الكتب ، في المخصص والمنجد يذكر ويؤنث ، قال

الشاعر في التذكير :

لاعلم إلا ما وعاه الصدر      لاخير في عديم حوى القمطر  
وربما أنت بالهاء فيقال قِمَطْرَةٌ .

(القَمِيصُ) : أي الدرع ، في المخصص مؤنثة ، وأما ما يُلبس على الجلد ففي القاموس

والمنجد يذكر ويؤنث .

(القوسُ) : كفلس آلة على شكل نصف دائرة ترمي بها السهم ، في المخصص والدستور

ومنظومتي البيهقي وابن الحاجب مؤنثة ، وفي القاموس والمنجد وجامع الشواهد وقد

يذكر ، والجمع قِيسِيٌّ وَقِيسِيٌّ وَأَقْوِاسٌ وَقِياسٌ ، وكذلك القوس التي في السماء والقوس

التي بمعنى قليل تمر يبقى في أسفل الجِلَّةِ والقَوْصِرَةِ .

(القومُ) : كفلس الجماعة من الرجال والنساء معاً ، في جامع الشواهد يذكر ويؤنث ،

والجمع أَقوامٌ وَأَقوامٌ وَأَقوامٌ .

### باب اللّاف

(الكأسُ) : كفلس إناء يشرب فيه ، والجمع كؤوسٌ وأكؤوسٌ وكأساتٌ وكئاسٌ ،

في المخصص والدستور والقاموس ومنظومتي البيهقي وابن الحاجب والمنجد وجامع

الشواهد مؤنثة ، وقيل الكأس الحمر بعينها ، وفي التنزيل « إن الأبرار يشربون من كأس

كان مزاجها كافوراً » وقال الشاعر :

وما زالت الكأس تفتالنا وتذهب بالأول الأول

(الكثود) : كصبور العقبة الشاقة ، في المخصص والدستور ومنظومة البيتوشى

مؤنثة .

(الكاسرُ) : كفاعل العُقَاب والجمع كُسرٌ ، في جامع الشواهد يذكر ويؤنث ، يقال

« عقاب كاسر » .

(الكبد) : ككتف من الامعاء جهاز عن الجنب الأيمن يفرز الصفراء ، فيها ثلاث

لغات كَبِيدٌ وَكَبِيدٌ وَكَبِيدٌ ، والجمع أكباد وكبود ، في المخصص والدستور ومنظومتي

البيتوشى وابن الحاجب مؤنثة ، وفي القاموس ومنظومة ابن مالك وجامع الشواهد

والموجد وقد يذكر ، قال الشاعر :

أيا جَبَيْنيُ نَمانُ باللهِ خَلِيما      نسيم الصَّبَا يَخلصُ إلى نَسِما  
أجدُ بردها أو تشف مني حرارة      على كَبِيدِ لم يبق إلا صَمِما  
فان الصبا ريجٌ إذا ما تنسمت      على كَبِيدِ مهموم تجلت هموما

وكذلك كبد القوس .

(الكثيفُ) : بفتح فكسر عظيم عريض خلف المنكب ، والجمع كَثِيفَةٌ وَأَكثافٌ ،

في الدستور ومنظومة البيتوشى وجامع الشواهد مؤنثة ، وفي منظومة ابن مالك ويذكر ،

وفي المثل « إنه ليعلم من أين تؤكل الكَثِيفُ » .

(الكحَلُ) : بفتح فسكون السنة الشديدة المجذبة ، في المخصص وجامع الشواهد

مؤنثة ، قال سلامة بن جندل<sup>(١)</sup> :

قوم إذا صرحت كَحَلٌ ، بيوتهمُ      مأوى الضريك ومأوى كل قرضوب<sup>(٢)</sup>

(١) هو سلامة بن جندل بن عبد عمرو من بني كعب بن سعد التميمي ، أبو مالك ، شاعر جاهلي من

أهل الحجاز ، في شعره حكمة وجودة ، له ديوان شعر صغير مطبوع رواه الأصمعي ، مات في سنة

٢٤٣ ق ٥ = ٦٠٠ م .

(٢) الضريك : الفقير . القرضوب : الضعيف .

(الكُرَاعُ) : كغراب من الانسان ما دون الركبة الى الكعب ، ومن الدواب ما دون الكعب ، ومن البقر والغنم بمنزلة الوظيف من الفرس ، في المخصص والدستور مؤنثة ، وفي أدب الكاتب ومنظومتي البيتوشي وابن مالك والمنجد وجامع الشواهد ويذكر ، والجمع أكرُع وأكارِع .

(الكَرَشُ) : بفتح فكسر لذي الخف والظلف بمنزلة المعدة للانسان ، والجمع كروش ، في المخصص والدستور والقاموس ومختصر العين ومنظومتي البيتوشي وابن الحاجب والمنجد وجامع الشواهد مؤنثة ، وفي منظومة ابن مالك ويذكر ، ويجوز فيها كَرَشٌ وكَرَشٌ يقال كَرَشٌ منثور يراد بذلك كثرة العيال ، في المخصص وكذلك الكَرَشُ من المسك والثياب مؤنثة ، وهو ما ينقبض من الكرش كهيئة الرمانة .

(الكف) : اليد أو الراحة مع الأصابع ، في المخصص والدستور ومختصر العين ومنظومتي البيتوشي وابن الحاجب وجامع الشواهد والمنجد مؤنثة ، وفي منظومة ابن مالك ويذكر ، وفي الشعر :

وكفٍ خَضِيبٍ زُيْنَتِ بِنَانِ

قال البيتوشي :

لوحوت كفه نقود الدراري      لحباها هَيلاً بلا ميزان<sup>(١)</sup>

قال الفارسي : واما قول الأعشى<sup>(٢)</sup> :

رأت رجلا منهم أسيفاً كأنما      يضم الى كشحيه كفاً مخضبا

فانه يجوز أن يكون مخضباً كقوله « ولا أرضٌ اقبلُ إبقالها » أي حذفت الهاء للضرورة قال أبو حاتم : ووجه بعضهم على أن الكف تذكر ، قال وليس بمعروف ، أقول وقد حكى تذكيرها شرح البهجة في نواقض الوضوء وابن مالك في منظومته ، والجمع أكفٌ

(١) الهيل : ما إنهال من الرمل أو المال الكثير .

(٢) سبقت ترجمته في الصفحة ١٢٩ .

وكفوفٌ وكفٌ .

### باب اللام

(اللبوسُ) : كصبور الدرع ، في المخصص والدستور ومنظومة البيتوشى وجامع الشواهد مؤنثة ، وفي التنزيل « وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم » .

(اللسان) : ككتاب آلة النطق والذوق والبلع ، والجمع ألسنةٌ وألسنٌ وألسنٌ .  
ولسانات ، في الدستور ومنظومة البيتوشى وجامع الشواهد مؤنثة ، وفي المخصص وأدب الكاتب والقاموس والمنجد ومنظومتى ابن مالك وابن الحاجب ويذكر ، فمن أنث اللسان قال : ألسنٌ لأن ما كان على وزن فعال من المؤنث فجمعته في الغالب افعل كقول أبي النجم<sup>(١)</sup> :

يأتي لها من أيمن وأشمل

ومن ذكره قال : ألسنةٌ لأن ما كان على فعال من المذكر فجمعه أفِـعلةٌ كمثل وأمثلة وسوار وأسورة . وكذلك اذا كان بمعنى الرسالة والقصيدة ، قال الشاعر في التأنيث :

أتدني لسان بني عامر أحاديثها بعد قول نُكِرُ

(لظى) : كفتى جهنم ، في المخصص والدستور ومنظومتى البيتوشى وابن الحاجب والمنجد وجامع الشواهد مؤنثة ، وفي التنزيل « كلا إنها لظى ، نزاعة للشوى » .

(اللسيتُ) : بالكسر صفحة العنق ، مثناه ليتان وجمعه أليات ، في الدستور ومنظومة البيتوشى مؤنثة ، وفي المخصص ومنظومة ابن الحاجب وقد تذكر .

(الليلُ) : كفلس خلاف النهار ، ويجمع على الليالي بزيادة الياء على غير القياس ، في الدستور ومنظومة البيتوشى مؤنثة ، وفي المنجد وجامع الشواهد وقد يذكر .

(١) سبقت ترجمته في الصفحة ١٣٥ .

## باب الميم

( الماعز ) : واحد المعز وهو خلاف الضأن من الغنم ، في الدستور ومنظومة البيتوشي  
مؤنثة والجمع موعز .

( المال ) : ما ملكته من جميع الأشياء ، والجمع أموال ، في المخصص والمنجد يذكر  
ويؤنث ، وقد أثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكرها في حديث واحد فقال « المال  
حلوة خضيرة ونعم العون هو لصاحبه » وأنشد قول الشاعر :

والمالُ لا تُصلحها فاعلمن إلا بإفسادك دنيا ودين

( المتن ) : كفلس الظهر ، في المخصص وأدب الكاتب والقاموس والمنجد وجامع  
الشواهد يذكر ويؤنث ، قال الشاعر في التأنيث :

ومتنان خطاتان كزحوف من الهضب<sup>(١)</sup>

وقال الشاعر في التذكير :

اليد سابحة والرجل ضارحة والعين قاذحة والتمن محلوب

وأما المتن من الأرض وهو ما غلظ منها فذكر ، والجمع متان ومُتون .

( المسك ) : كجبر طيب وهي من دم نوع من الغزال ، يقال : فلان له غزال المسك  
والجمع مسوك ، في الدستور ومنظومة البيتوشي مؤنثة ، وفي المخصص ومنظومة ابن  
الحاجب والمنجد وجامع الشواهد ويذكر ، قال الشاعر في التأنيث :

والمسك والعنبر خير طيب أخذنا بالثمن الرغيب<sup>(٢)</sup>

وقال زبير بن عبدالمطلب<sup>(٣)</sup> في التذكير :

فإن قد خلقنا منذُ خلقنا لنا الحبراتُ والمسك القتيبت<sup>(٤)</sup>

(١) خطاتان : من خطا لمة اكثر . الزحوف . مكان أملت يترحلف عليه .

(٢) الرغيب : الكثير .

(٣) هو الزبير بن عبدالمطلب بن هاشم ، اكبر اعمام النبي صلى الله عليه وسلم ، ادركه النبي في طفولته ، وكان يعد من شعراء القريش الا ان شعره قليل .

(٤) الحبرات : جمع حبرة لضرب من برد اليمن .

(المسواك) : العود الذي تنظف به الأسنان والجمع مساويك ، في المخصص يذكر ويؤث .

(المِعَى) : المصران والجمع امعاء ، في الدستور ومنظومة البيتوشي مؤنثة ، وفي المخصص والقاموس ومنظومة ابن مالك والمنجد وجامع الشواهد ويذكر ، وفي الحديث « المؤمن يأكل في معي واحدة » .

(المغرب) : مكان غروب الشمس ، في المخصص مؤنثة ، يقال فاتتني المغرب وكذلك الظهر والعصر ، اما سيويه <sup>(١)</sup> فقال هذه المغرب وهذه الظهر اي هذه صلاة المغرب فالتأنيث على ارادة الصلاة .

(الملح) : كجبر المادة المعروفة التي يصلح بها الطعام والجمع ملاح وأملاح، في المخصص والدستور ومنظومتي البيتوشي وابن الحاجب مؤنثة ، وفي القاموس ودرة الغواص والمنجد وجامع الشواهد وقد يذكر ، قال مسكين الدارمي <sup>(٢)</sup> :

لا تلعها انها من نسوة ملحها موضوعة فوق الركب

يقول صاحب درة الغواص : اي انها من قوم هي من الغدر وسوء الفهم كمن ملحه فوق ركبته يتفرق سريعاً ، او انها سوداء زنجية لقولهم : « ملح الزنجي على ركبته » .  
ويقول الزمخشري <sup>(٣)</sup> في اسرار البلاغة : اي هو كثير الخصومات كان طول مجاثاته ومصا كته الركب قرّح ركبته فهو يضع الملح عليهما يداوئيهما به .

(المُذَكُّ) : ما يملكه الانسان ويتصرف به والجمع أملاك وملوك ، في المخصص والقاموس يذكر ويؤث ، فاذا اتوا ذهبوا به الى معنى الدولة والولاية ، قال الشاعر في التذكير :

(١) سبقت ترجمته في الصفحة ٣٣٣ المجلد الثالث عشر .

(٢) هو ربيعة بن عامر بن أنيف ( بالتصغير ) بن شريح الدارمي التميمي : شاعر عراقي شجاع من اشراف تميم ، توفي سنة ٨٩ هـ = ٧٠٨ م

(٣) سبقت ترجمته في الصفحة ٢٢٠ المجلد الثالث عشر .

فلك أبي قابوس أضحى وقد نجم

وقال ابن احرر<sup>(١)</sup> في التأنيث :

مدت عليه الملك اظنابها كأس رنوناة وطرف طمر<sup>(٢)</sup>

قال السيرافي<sup>(٣)</sup> : رواية البيت ليست هكذا وانما هي :

مدت عليه الملك اظنابها كأس الخ

ينصب الملك على انه مصدر في موضع الحال كانه قال مملكا والهاء راجعة الى الكأس .

(المنجنوق) : المنجنوق ، في المخصص مؤنثة وقد تذكر ، قال الشاعر :

يا صاحب اجتنبن الشام إن بها مهي زعافا وحصبات وطاعونا

والمنجنوق التي ترمى بمقذفها وفتية يدعون البيت موهونا

(المنجنوق) : بفتح الميم وكسرهما آلة ترمى بها الحجارة ، معربة والجمع مجانيق

ومجانق ، ومنجنوقات ، في المخصص والدستور ومنظومتي البيتوشي وابن الحاجب مؤنثة ،  
وفي القاموس والمنخذ وجامع الشواهد وقد يذكر .

(المنجنون) : المنجنين ، في المخصص والدستور ومنظومة البيتوشي مؤنثة .

(المنجنين) : الدولاب يسقى عليها ، في المخصص والقاموس وجامع الشواهد مؤنثة ،

وانشد الاصمعي<sup>(٤)</sup> :

تمل رمته المنجنون بسهمها ورمى بسهم جريمة لم تصطد

(١) هو هنيء بن أحرر ، من بني الحارث ، من كنانة ، شاعر جاهلي .

(٢) الرنوناة : ماخوذ من الرنو وهو ادامة النظر بغير طرف ، فالرنوناة هنا الدائمة الادارة .  
الطرف : الكريم الابوين من الخيل . الضمر : الفرس الجواد الطويل القوائم ، اى مدت عليه اسباب  
العيش واللذة من كل الوجوه .

(٣) هو ابو سعيد الحسن بن عبدالله بن المرز بن السيرافي النحوي ، سكن بغداد وتولى نيابة القضاء  
وتوفى فيها ، كان من اعلم الناس بشحو اهل البصرة وكان مبتزيا لا يأكل الا من كسب يده ، ولد  
بسيراف ( من بلاد فارس على ساحل البحر مما يلي كرمان ) سنة ٢٨٤ هـ = ٨٩٧ م ، وله تاليف  
كثيرة منها شرح كتاب سيويوه وشرح مقصورة ابن دريد وغيرها ، توفى سنة ٣٦٨ هـ = ٩٧٩ م .

(٤) سبقت ترجمته في الصفحة ١٢٣ .

(المنون) : كصبور الموت والدهر ، في الدستور وجامع الشواهد مؤنثة ، وفي  
المخصص ومنظومة البيتوشي والمنجد وتذكر ، فمن ذكره ذهب الى ارادة الدهر ، ومن  
انته ذهب به الى ارادة المنية ، قال الشاعر :

فقلت ان المنون فانطلقن      تعدو فلا تستطيع تدرؤها (١)  
قال الهذلي (٢) :

أمن المنون وريبها تتوجع      والدهر ليس بمعتب من يجزع

فان المنون على ارادة المنية ، وينشد : « وريبه » فذكر المنون على ارادة الدهر .

(الموسى) : كطوبى آلة يخلق بها والجمع مَوَاس وموسيات ، في الدستور  
ومنظومتي البيتوشي وابن الحاجب وجامع الشواهد مؤنثة ، وفي المخصص وادب الكاتب  
والصحاح والمزهر يذكر ويؤنث ، قال الكسائي (٣) : هي فُعْلى ، وقال غيره هو مُفْعَلٌ  
من او سيت راسه اى حلقته ، فعلى الاولى مؤنثة وعلى الثاني مذكر ، قال زياد الاعجم (٤)  
في التانيث يهجو به عتَّاب بن ورقاء الرياحي (٥) :

فان تكُنِ الموسى جرت فوق بظيرها      فما خففت الا ومصان قاعد (٦)

(١) تعدو : تشدد .

(٢) سبقت ترجمته في الصفحة ٣١٩ المجلد الثالث عشر .

(٣) هو علي بن حمزة وكنيته ابو الحسن احد القراء السبعة . سكن بغداد وتوفي بالري سنة ١٨٩ هـ =

٨٠٥ م . فارسي الاصل ، كان عالماً بالانحو واللغة والروايات ومن خصائصه انه لم يقرض الشعر ، وكان  
مما خلد به ذكره تأديبه للامين والمأمون ابني هارون الرشيد ، وقد صنف كتباً كثيرة .

(٤) هو زياد بن سليمان - او سليم - الاعجم ، أبو امامة العبدى ، من شعراء الدولة الاموية ،

جزل الشعر فصيح الالفاظ ، كانت في اسائه عجة فلقب بالاعجم ، ولد ونشأ في اصفهان وانتقل الى  
خراسان . ومات فيها سنة ١٠٠ هـ = ٧١٨ م . عاصر المهلب بن ابي صفرة ، وله فيه مدائح ومرات ،  
وكان هجاءً يداويه المهلب ويخشى نعمته

(٥) هو عتاب بن ورقاء بن الحارث بن عمرو ، ابو ورقاء الرياحي اليربوعي التميمي قائد من الابطال

مات في سنة ٧٧ هـ = ٦٩٦ م

(٦) وفي بعض النسخ :

وان كانت الموسى جرت فوق بظيرها      فما خففت الا ومصان قاعد

وقال الآخر في التذكير :

موسى الصنّاع مرهف شبّاته

### باب النوب

(النَّابُ) : السِّنُّ خلف الرباعية ، في القاموس مؤنثة ، والجمع أنيُبٌ وأنيابٌ ونُيُوبٌ وأناييبٌ ، وهذا مخالف لما أسلفناه في شرح « الضرس » من ان الناب مذكر وفي المخصص : الناب المسنة من النوق مؤنثة والجمع نيبٌ وتصغيرها نُيَيْبٌ ، اما الناب من الاسنان فذكر ، وكذلك ناب القوم سيدهم ، يقال فلان ناب بني فلان ، وانشد ابو علي <sup>(١)</sup> على تأييد الناب بالمعنى الثاني :

أَبَقِيَ الزَّمَانُ مِنْكَ نَاباً نَهَبَلَهُ وَرَجَمَا عِنْدَ اللَّقَاحِ مُقْفَلَهُ

(النَّارُ) : جوهر لطيف مضى محرق ، في الدستور وادب الكاتب والمزهر ومنظومتي البيتوشي وابن الحاجب وجامع الشواهد مؤنثة ، وفي المخصص والقاموس والمنجد وقد تذكر ، وفي التنزيل « يانارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا » وكذلك جميع اسماء النار .

(النَّبْلُ) : كفلس السهم ، والجمع نبالٌ وأنبالٌ ونَبْلَانٌ ، في الدستور ومنظومة البيتوشي وجامع الشواهد مؤنثة .

(النَّحْلُ) : كفلس ذباب العسل ، في الدستور ومنظومة البيتوشي وجامع الشواهد مؤنثة ، وفي التنزيل « وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا » قال الشاعر في التأييد .

إِذَا لَسَعَتْهُ النَّحْلُ لَمْ يَرْجُ كَسَعَهَا وَحَالَفَهَا فِي بَيْتِ نُوبٍ عَوَامِلُ <sup>(٢)</sup>

(النَّخْلُ) : كفلس شجرة التمر ، في الدستور ومنظومة البيتوشي مؤنثة ، وفي القاموس وجامع الشواهد ويذكر ، وفي التنزيل « وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا » .

(١) سبقت ترجمته في الصفحة ٣٣٤ المجلد الثالث عشر .

(٢) النوب من النحل التي تتأب المرعي فتأكل ، واحدها نائِب .

(التَّخْيِيلُ) : كامير النخل ، في جامع الشواهد مؤنثة وقد يذكر .  
(النَّسَمُ) : محرّكة نَفَسُ الروح ونس الريح اذا كان ضعيفاً والجمع انسام ، في  
الدستور ومنظومة البيتوشي مؤنثة .

(النَّعْلُ) : ما وقيت به القدم من الارض وتصغيرها نُعَيْلَةٌ والجمع نعال ، في  
المخصص والدستور ومنظومتي البيتوشي وابن الحاجب وادب الكتّاب والقاموس والمزهر  
والمنجد وجامع الشواهد مؤنثة قال الشاعر :

ان عادت العقرب عندنا لها      وكانت النعل لها حاضرة  
وكذلك النعل من نعال السيوف .

(النَّعَمُ) : بفتحين الابل وتطلق على البقر والغنم ، والجمع انعام ، في الدستور  
ومنظومة البيتوشي مؤنثة ، وفي المخصص وجامع الشواهد ويذكر ، قال الراجز (١) :  
أَكُلَّ عامٍ نَعَمٌ تَحْوُونُهُ      يُلْبِقِحُهُ قَوْمٌ وَتَلْتَجُونَهُ  
وكذلك الانعام تذكر وتؤنث فيقال هي الانعام وهو الانعام ، قال الله تعالى :  
« وَلَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةٌ نُسَقِّكُمْ بِهَا فِي بُطُونِهِ » فذكر الانعام ، وقال في سورة المؤمن :  
« مِمَّا فِي بُطُونِهَا » والتأنيث هو المعروف في الانعام ، وقيل انما ذكره لانه ذهب الى ارادة  
النَّعَمِ ، والنَّعَمُ والانعام بمعنى واحد ، فاما سيبويه فذهب الى ان الانعام يقع على  
الواحد وايداه بقولهم ثوب أكاش .

(النَّفْسُ) : كفلس الروح ، والجمع أنفُس ونفوس ، في الدستور ومنظومة  
البيتوشي مؤنثة ، وفي المخصص ومنظومة ابن مالك والمنجد وجامع الشواهد ويذكر ،  
والحق انها مؤنثة ان اريد بها الروح ، ومذكر ان اريد به الشخص ، وفي التنزيل « يَا أَيُّهَا  
النَّفْسُ الْمَطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي » ، وقال الشيخ عبدالله البيتوشي في التأنيث :

قلت للنفس اذ تسامت لكسب الـ      مجد جدا حذار ان تتناهى  
أتركي في السفاهة بابا      أطلب الدهر منه مالا وجاها

(١) سبقت ترجمته في الصفحة ٣٣٦ المجلد الثالث عشر .

وقال الشاعر في التذكير :

ما عندنا الا ثلاثة أنفسٍ      مثل النجوم تَلالُآت في الحنْدس<sup>(١)</sup>

(النُّكَاءُ) : قشر القرحة ، في الدستور ومنظومة البيتوشي مؤنثة ، وفيه أنها

مؤنثة بالالف المدودة .

(النُّوبُ) : النحل واحدها نائب ، في المخصص مؤنثة .

(النَّوَى) : كفتى البعد ، في المخصص والدستور ومنظومة البيتوشي والمنجد

وجامع الشواهد مؤنثة ، قال الشاعر :

فما للنوى لا بارك الله في النوى      وهَمَّ لنا منها كهَمَّ المراهن

وكذلك بمعنى الموضع الذي يذهب اليه وينويه المسافر ، قال الشاعر :

فالتت عصاها واستقرت بها النوى      كما قرَّ عيننا بالإياب المسافر

### باب الواو

(الوَاسِطُ) : اسم بلدة بالعراق ، والغالب في اسماء البلدان التأنيث ومنع الصرف

الا (منى) و (الشام) و (العراق) و (واسطا) و (دابقا) و (فلجا) و (هجرا) فانها تذكر

وتصرف كما في الصحاح ، وقد يمنع الواسط من الصرف فعند بعض لانه اريد بها البقعة او

البلدة ، وعند بعض لانها مؤنث سماعي .

(الوَحْشُ) : كفلس حيوان البر ، في الدستور ومنظومة البيتوشي وجامع الشواهد

مؤنثة ، والواحد وحشى والجمع وحوش وُوحشان .

(الوَراءُ) : كسحاب الخلف ، في الدستور والقاموس ومنظومة البيتوشي وجامع

الشواهد مؤنثة ، وفي المنجد يذكر ويؤنث ، وكذلك الراء بمعنى القدام ، وفيه انها

مؤنثة بالالف المدودة .

(الوَركُ) : ككتف مافوق الفخذ ، في المخصص والدستور ومختصر العين

(١) الحنْدس : الظلام الشديد .

والقاموس ومنظومة البيتوشي والنجد وجامع الشواهد مؤنثة ، وفي منظومة ابن مالك ويذكر .

( الوَعَكُ ) : كفلس شدة الحر واذى الحمى ، في الدستور ومنظومة البيتوشي وجامع الشواهد مؤنثة .

### باب الهاء

( الهَبُوطُ ) : كهبور الحدور من الارض ، في الدستور ومنظومة البيتوشي وجامع الشواهد مؤنثة .

( الهَجَرُ ) : بفتحتين بلد باليمن ، في القاموس مذكر مصروف وقد يؤنث ويعنع وفي المخصص يؤنث ويذكر قال الفرزدق في التأنيث :

منهن أيامٌ صدقٍ قد بُليتَ بها أيام فارسَ والأيام من هَجَرا  
وقد مرّ آتفا في شرح « الواسط » وجه التأنيث .

( هُدَى ) : بضم الهاء وفتح الدال المهملة مقصوراً ضد الضلال ، في المخصص والقاموس والمنجد وجامع الشواهد يذكر ويؤنث ، اما الهدى الذي هو النهار فذكر كقول ابن مقبل (١) :

حتى استبنتُ الهدى والبيد هاجمة يَحْشَعْنَ في الآل غلغا او يصلينا

### باب الياء

( اليَدُ ) : الكف او من اطراف الاصابع الى الكتف ، في المخصص والدستور ومختصر العين ومنظومتي البيتوشي وابن الحاجب وجامع الشواهد مؤنثة ، وفي منظومة ابن مالك ويذكر ، والجمع أَيْدٍ وَيُدِيٌّ ، وفي التنزيل « بِلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ » ، وقال البيتوشي :

ويَدٍ منه فوق كَبِيدٍ جَرِحِ وَيَدٍ مَدَّهَا إِلَى الرَّحْمَيْنِ

(١) هو تميم بن أبي بن مقبل ، من بني العجلان ، ابو كعب : شاعر جاهلي ، ادرك الاسلام واسلم فساكن بيكي اهل الجاهلية ، عاش نيحاً ومئة سنة ، مات في حدود ٢٥ هـ = ٦٤٦ .

وكذلك يد القميص والرحا واليد بجميع معانيها من النعمة والقوة .  
(اليسار) : كسحاب خلاف اليمين ، والجمع يُسْرٌ وُيسْرٌ ، في المخصص وجامع  
الشواهد مؤنثة ، اما اليسار من الغنى فذكر .

(يعرب) هو ابن قحطان ابو اليمن ، في الدستور ومنظومة البيتوشي مؤنثة ولا  
ادري وجهاً لتأنيته اللهم الا بالقياس على العرب وشتان ما بينهما .  
(اليمين) كأمر ضد اليسار والجمع أَيْمُنٌ وَأَيْمَانٌ وَأَيَامِنٌ وَأَيَامِينٌ ، في المخصص  
والدستور ومنظومة البيتوشي وابن الحاجب ومختصر العين والمنجد وجامع الشواهد  
مؤنثة ، وفي منظومة ابن مالك ويذكر ، وفي التنزيل « وما مَلَكَتْ يَمِينُكَ » قال  
البيتوشي :

أَسْلَمَنِي أَصْفَى الْأَخْلَاءِ بِي وَيَحْ شِمَالِي أَسْلَمَتَهَا الْيَمِينِ  
وكذلك بجميع معانيها كالقَسَمِ والقوة والمنزلة يقال : « حلفت على يمين فاجرة » .  
(يُوح) : الشمس ، في المخصص مؤنثة .

السليمانية ٦ شوال ١٣٨٤ - ٧ / ٢ / ١٩٦٥ .

محمد الخال

« الى الفارسي الكريم »

نشر في المجلد الثالث عشر من هذه المجلة النصف الأول من مقالنا تحت عنوان  
« المؤنثات السماعية » وعثرنا فيه على بعض الأخطاء المطبعية ، نرجو تصحيحها كما يلي :-

الصواب	الخطأ	السطر	الصحيفة
منظومة	مقطوعة	٣	٣١٤
منظومة	مقطوعة	٤	٣١٤
أُذِن	أَذِن	٨	٣١٤
« قل	« وقل	١٣	٣١٤
خير	خير	١٤	٣١٤
الذي	للذي	٢	٣١٥
ذالك	دانك	٢	٣١٥
وآراض	وأراض	٨	٣١٥
اشده ، في المخصص يذكر ويؤنث ،	اشده	٤	٣١٦
ويؤنث ، فمن ذَكَرَ لاحظ معنى العيد	ويؤنث ، قال	١٦	٣١٦
او يوم العيد ، قال			
(١)	(٣)	١٧	٣١٦
قتل ابن عفان الخليفة	قتل الخليفة ابن عفان	١٠	٣١٦
مفلولا	مغولوا	٢١	٣١٦
البث	البث	٨	٣١٨

الصواب	الخطأ	السطر	الصحيفة
(الْحَدُّوْرُ)	(الْحُدُوْرُ)	١٢	٣٢١
يَاءُ	وِيَاءُ	٤	٣٢٢
وَذَنَابُ	وَذَنَابُ	٤	٣٢٧
(١)	(٤)	١٦	٣٢٧
(٢)	(١)	١٧	٣٢٧
بَيْنَهُ	بِيذُو	٢٠	٣٢٧
مِنْ أَسْمَاءِ	مِنْ اسْمَاءِ	١٣	٣٣٢
أَبُو فِرَاسِ	أَبُو فِرَاسِ	١٤	٣٣٣
عَاوَرَتْ	عَاوَدَتْ	١	٣٣٥
وَيَذْكَرُ	يَذْكَرُ	١	٣٣٦
وَمَنْظُومَةٌ	وَمَنْظُومَتِي	٩	٣٣٧
(٣)	(١)	٢١	٣٣٧
وَشَجَرَاءُ ، وَفِي التَّنْزِيلِ « لَا كَلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُقُومٍ . فَالَّذِينَ مِنْهَا الْبَطُونَ » .	وَشَجَرَاءُ ،	٥	٣٣٨
وَشِمَالٍ (بَلْفِظِ الْوَاحِدِ)	(بَلْفِظِ الْوَاحِدِ)	١٣	٣٣٨
أَنْ يَطْلُعَ	أَنْ لَا يَطْلُعَ	٢	٣٣٩
وَمَنْظُومَةٌ	وَمَنْظُومَتِي	٧	٣٣٩

# البنس الجديسي في إخبار بنس

تأليف: محمد بن أحمد بن بسام المحتسب التنيسي

نشر بتحقيق وتقديم

للكونستانطيني

بسم الله الرحمن الرحيم

## مقدمة الناشر

مدينة بنس مدينة مصرية إسلامية مندثرة كانت تقع على جزيرة تحمل اسمها في الشمال الشرقي من بحيرة بنس (المنزلة حالياً) بين مدينتي القرما في شرقها ودمياط في غربها . وقد لعبت مدينة بنس دوراً حضارياً كبيراً في تاريخ مصر الإسلامية فقد كانت ثغراً بحرياً هاماً ومقر الأسطول وبها دار لصناعة السفن ، كما كانت مركزاً من أهم مراكز صناعة النسيج الرفيع وبها كانت تصنع كسوة الكعبة قروداً طويلة ، ولهذا كان معظم أهلها يشتغلون بالنسج والحياكة كما كانوا يمتنون صيد الأسماك والطيور .

وكانت بنس مدينة حصينة قوية تحيط بها الأسوار ذات القلاع والأبراج فقد كانت محطاً لأنظار المغيرين من البيزنطيين والصليبيين ، فكثرت غاراتهم عليها ، وصمدت لهذه الغارات وقاومتها في بسالة إلى أن أمر الملك الكامل محمد الأيوبي بتحطيم أسوارها وقلاعها في أوائل القرن السابع الهجري، فهجرتها أهلها وتهدمت مصانعها ودور طرازها وأصبحت

قاعاً بلقماً كأن لم تغن بالأمس .

وقد كتب واحد من علماء المدينة ومحتسبها وهو محمد بن أحمد بن بسام تاريخاً لها أسماه « أنيس الجليس في أخبار تنيس » ، وبقيت من هذا التاريخ قطعة صغيرة توجد منها نسخة وحيدة في دار الكتب المصرية بالقاهرة وهذه القطعة هي التي نقدمها هنا بعد أن أضفنا إليها دراسة تحليلية مفصلة للكتاب والمؤلف ، وسيرى القاري أن هذا التاريخ على صغر حجمه يلقي أضواء جديدة على كثير من النواحي الصناعية والعمراية لمدينة تنيس بصفة خاصة ولمصر الاسلامية بصفة عامة .

وحبذا لو عنى المشتغلون بالتاريخ وبنشر التراث العربي وتحقيقه بما وصلنا من تواريخ المدن العربية الاسلامية الأخرى ، وفقنا الله جميعاً لخدمة وطننا العربي وتاريخه .

صالح الربيع السبيل

١٠ نيسان ( ابريل ) ١٩٦٦

## القسم الاول

دراسة تفصيلية عن الكتاب والمؤلف

عناية المسلمين بالتاريخ لمذنبهم :

عنى المسلمون عناية كبيرة بالتاريخ لمذنبهم الكبرى والصغرى ، ولهذا قلَّ أن نجد مدينة إسلامية لم يكتب لها تاريخ، وهذه التواريخ تختلف في حجمها كبراً وصغراً ، فبعضها يقع في مجلدات كثيرة ، مثل :

تاريخ دمشق لابن عساكر .

وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي .

وتاريخ حلب لابن العديم .

وبعضها يقع في مجلد واحد ، مثل :

تاريخ الفيوم للناقلي .

وتاريخ بيروت لصالح بن يحيى ... الخ .

وهذه التواريخ جميعاً تعتبر من المصادر الهامة لدراسة الآثار الإسلامية والحضارة وال عمران بوجه عام ، فهي سجلٌ حافلٌ بأوصاف هذه المدن في عصورها المختلفة ، وبأوصاف خططها وطرقاتها وأسواقها وأسوارها ، وما كان بها من منشآت هامة : كالقلاع والحصون والأبراج والأسوار والأبواب ، والدور والقصور ، وما كان بها من معابد دينية : كالمساجد والكنائس والأديرة ، وما كان بها من معاهد علمية تعليمية : كدور العلم والحكمة ، والمدارس ، والبيمارستانات ، والخوانق ، والربط ، والزوايا ، وخزانات الكتب .. الخ .

وبعض هذه المنشآت في هذه المدن الإسلامية القديمة قد تهدم ، ولم تبق منه إلا  
أطلال ورسوم ، وبعضها قد طُمر تحت الرمال والأتربة . وعلماء الآثار في دراستهم لهذه  
الأطلال الباقية ، وفي بحثهم عن هذه المنشآت المطمورة المختفية يجدون العون والدليل دائماً  
فيما ورد في تواريخ المدن من روايات أو أوصاف ، وفيما كانت تثبت أحياناً من النصوص  
التي كانت تُنقش على جدران هذه المنشآت لتحديد تاريخ البدء في بنائها أو الانتهاء منه ،  
ولتعيين اسم مؤسسها وبنائها .

وحبذا لو تعاون المؤرخون والأثريون وعملوا على إعداد إحصاء شامل لكل الكتب  
التي ألفت للتأريخ للمدن الإسلامية ، مع بيان الموجود منها والمفقود ، والمطبوع منها  
والمخطوط ، ليسترشد طلاب البحث بهذا الإحصاء ، وليعمل المؤرخون والمشتغلون بالنشر  
والتحقيق على طبع ما لم يطبع من هذه التواريخ .

#### تواريخ المدن المصرية في العصر الإسلامي :

وأنا لا أستطيع أن أقدم هنا إحصاء كهذا ، ولكنني اكتفي بالإشارة إلى ما وفقت  
للعثور عليه من كتب ألفت للتأريخ للمدن المصرية في العصر الإسلامي ، وهذه الكتب  
نوعان :

#### كتب المخطوط :

نوع عام عني بالتأريخ للمدن المصرية كما عني بوصفها الطبوغرافي ، وبتطورها ، وبما  
كان بها من آثار ومنشآت ، وهو المعروف بكتب « المخطوط » . وأول من بدأ بالكتابة في  
هذا الفن التاريخي هو عبد الرحمن بن عبد الحكم — أقدم مؤرخي مصر الإسلامية —  
في كتابه « فتوح مصر والمغرب والأندلس » ، ثم تبعه أبو عمر محمد بن يوسف الكندي<sup>(١)</sup> ،

(١) قال المقرئ في مقدمة كتاب « المواعظ والاعتبار » : « أول من رتب خطط مصر وآثارها  
وذكر أسبابها في ديوان جمه أبو عمر محمد بن يوسف الكندي » ، والصحيح أن ابن عبد الحكم سبقه  
في هذا الميدان ، وعن حياة الكندي ومؤلفاته انظر المقدمة التي كتبها « جست Guest » لكتاب  
« الولاة والقضاة » و محمد عبد الله عنان : مصر الإسلامية وتاريخ المخطوط المصرية ، ص ٥ وما بعدها .

حين وضع كتابه في خطط الفسطاط — العاصمة الأولى لمصر الإسلامية — ، ثم تبعه مؤرخون آخرون :

فكتب الحسن بن زولاق ( توفي ٣٨٧ هـ = ٩٩٧ ) كتابه « الخطط »<sup>(١)</sup> .

وفي القرن الخامس الهجري كتب أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر القضاعي ( توفي ٤٥٤ هـ ) كتابه « المختار في ذكر الخطط والآثار » .

وفي القرن السادس كتب الشريف النسابة محمد بن أسعد الجواني ( توفي سنة ٥٨٨ هـ = ١١٩٢ م ) كتابه « النقط بعجم ما أشكل من الخطط » .

ومن القرن السابع كتب محيي الدين عبد الله بن عبد الظاهر ( توفي سنة ٦٩٢ هـ = ١٢٩٢ م ) كتابه « الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة » .

وفي القرن الثامن كتب تاج الدين محمد بن عبد الوهاب بن المتوج ( توفي سنة ٧٣٠ هـ = ١٣٣٠ م ) كتابه « إيقاظ المتغفل واتعاظ المتأمل من الخطط » .

وكتب ابن الجيعان ( توفي في أواخر القرن الثامن الهجري ) كتابه « التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية » .

وكتب صارم الدين ابراهيم بن محمد المعروف بابن دقاق ( توفي سنة ٨٠٩ هـ = ١٤٠٦ م ) كتابه « الانتصار لواسطة عقد الأمصار » .

وفي القرن التاسع الهجري ( ١٥ م ) وصل فن الخطط الى أوجه في الموسوعة التي كتبها تقي الدين أحمد بن علي المقرئ ( توفي ٨٤٥ هـ ) وأرخ فيها مدن مصر جميعاً وأسمائها « المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار » ، وقد أفاد فيها من مجهودات سابقيه جميعاً وأضاف إليها أوصاف هذه البلدان والآثار وما أصابها من تغيير أو تطور إلى عصره .

ونستطيع أن نقول إن هذا الفن من فنون التأليف التاريخي الأثري فن مصري

(١) انفراد بذكر هذا الكتاب ابن خلكان ، فقد قال في ترجمته لابن زولاق : « وله كتاب في خطط

مصر استقصى فيه » .

أصيل ، فقد ظهر في مصر دون غيرها من البلاد الاسلامية ، وفيها نما وازدهر ، واتصلت حلقات التأليف فيه قرناً بعد قرن ، فلا يكاد قرن يمر دون أن ينبغ من المصريين مؤرخ أو أكثر من كتاب هذا الفن ، ودون أن يضيف هذا الكاتب الى المكتبة التاريخية المصرية كتاباً قيماً في خطط مصر وآثارها ، وكل واحد من هؤلاء كان في العادة يفيد مما كتبه سابقوه ويضيف اليه ليقدم للقاري الصورة التي كانت تبدو عليها مدن مصر وآثارها في عصره هو .

ولم ينقطع شغف المصريين بهذا الفن التاريخي وإبداعهم فيه حتى يومنا هذا ، ففي القرن الثالث عشر الهجري ( ١٩ م ) كتب على مبارك كتابه « الخطة التوفيقية الجديدة » واتخذ الخطة المقرزية أساساً بنى عليه وأكمل وأضاف .

وفي القرن الرابع عشر ( ٢٠ م ) كتب محمد رمزي كتابه « القاموس الجغرافي للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين الى سنة ١٩٤٥ »<sup>(١)</sup> .

وكتب هذا النوع لم تصلنا جميعها ، بل كثير منها مفقود مثل كتب الكندي وابن زولاق والقضاعي والشريف الجواني وابن عبد الظاهر وابن المتوج ، ولا نكاد نعرف عنها شيئاً إلا تلك الشذرات المتناثرة التي قبسها عنها المؤرخون المتأخرون .

### نواحي المدد :

والنوع الثاني من الكتب التي أرخت للمدن المصرية نوع خاص ، أعني أنه يتضمن كتباً ألف كل كتاب منها للتأريخ لمدينة واحدة ، والملاحظ أن مؤلف كل كتاب من هذه الكتب كان من أبناء المدينة نفسها ، دفعه حبه لمدينته - هذا الوطن الصغير - الى التأريخ لها ، ومن هنا كان لهذا النوع من الكتب أهمية خاصة لأن الحديث فيه عن تأريخ المدينة وأخبارها ومنشأاتها وتطورها حديث مفصل مستوفى ، ولأن المؤرخ يكتب عن معرفة وخبرة ومشاهدة .

(١) مطبوعات دار الكتب المصرية في ٥ مجلدات ، الاول عن البلاد المدرسة ( ١٩٥٣ - ١٩٥٤ ) ،

والأربعة الأخرى عن البلاد الحالية ( ١٩٥٤ - ١٩٦٣ ) .

والمدن المصرية التي أرخ لها قليلة العدد ، ومن الغريب أنها جميعاً من الثغور ولم أجد مدينة من المدن المصرية الداخلية كتب لها تاريخ - ما عدا مدينتي الفيوم وأسيوط - ، والمراجع تشير الى كتب وضعت للتأريخ للثغور البحرية الشمالية الثلاث : الاسكندرية ودمياط وتينيس ، كما تشير الى كتاب وضع للتأريخ للثغر البري الجنوبي أسوان ، وفيما يلي بيانها :

### كتب تاريخ الاسكندرية :

كتاب « تاريخ الاسكندرية » ، تأليف وجيه الدين أبي المظفر منصور بن سليم بن منصور بن فتوح الهمداني الاسكندري ، والمؤرخ سكندري من رجال القرن السابع الهجري ( ١٣ م ) - فقد ولد في ثامن صفر سنة ٦٠٧ هـ ، وأخذ عن الكثيرين ورحل إلى الشام والعراق ، وكان من علماء الاسكندرية وفقهاؤها الممتازين ، وولى الحسبة بها مدة ، واعتنى بالحديث والفقه والرجال والتاريخ ، وجمع لنفسه معجماً ، وكتب تاريخاً كبيراً لمدينة الاسكندرية ، ذكر السبكي والذهبي أنه كان في مجلدين ، وذكر السخاوي أنه كان في أربع مجلدات ، وتوفى في الحادي والعشرين من شوال سنة ٦٧٣ هـ (١) .

وهذا التاريخ مفقود (٢) للأسف الشديد ، ولو اننا عثرنا يوماً على نسخة منه فانتا

(١) لاستيفاء ترجمة منصور بن سليم راجع : (الذهبي : تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والاعلام ، مخطوطة دار الكتب المصرية ، وفيات سنة ٦٧٣ ، ص ٢٩٦ ) ، (الذهبي ، تذكرة الحفاظ ج ٢٤ ص ٢٤٩ ) ، (ابن العباد : شذرات الذهب ، ج ٥ ص ٣٤١) ، (السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، ج ٥ ، ص ١٥٧) ، (ابن تفرج بردي : النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ٢٤٧) ، (المقريزي : السلوك ج ١ ، ص ٦١٩) ، (السخاوي : الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ، ص ١٢٢) ، (حاجي خليفة : كشف الظنون) ، (الشيال : الاسكندرية ، طيوغرافية المدينة وتطورها ، ص ٢٠٦ - ٢٠٧) .

(٢) لبثت زمناً أبحث عن هذا التاريخ لأهميته ، وكنت وجدت منذ سنوات عدة في فهرس المخطوطات العربية بمكتبة أياصوفيا باستانبول ما يفيد أن بالمكتبة نسخة مخطوطة من هذا التاريخ تقع في مجلدين تحت رقمين ٣٠٠٣ ، ٣٠٠٤ ، وأرسلت في الحال للصدوق المستشرق الالماني رثر Ritter - وكان مقبلاً - وفذلك في استانبول - أستوضحه حقيقة هذه المخطوطة توطئة لتصويرها ، ولكنه - للأسف الشديد - أرسل يخبرني أن الكتاب غير موجود ، وأن الكتاب الموجود مكانه والذي يحمل رقمه كتاب آخر تافه =

سنعثر في الحقيقة على وثيقة هامة جداً توضح لنا تاريخ الاسكندرية ومعالمها في القرون السبعة الهجرية الأولى ، فالمؤلف كما قلنا واحد من أبناء الاسكندرية وعلمائها ، وقد تولى التدريس والحسبة بها وقتاً ما .

وهناك كتاب آخر ذو فائدة كبيرة للباحثين في تاريخ مدينة الاسكندرية في العصر الاسلامي غير أنه أقل أهمية من سابقه ، لأنه لم يكتب للتاريخ للاسكندرية ، وإنما للتاريخ لحادثة معينة خاصة ، وهي غزوة القبارصة الصليبية للمدينة في أواخر القرن الثامن الهجري ( ٧٦٧ هـ = ١٣٦٥ م ) ، وعنوان الكتاب :

« الإمام بالإعلام بما جرت به الأحكام المقضية في واقعة الاسكندرية في سنة سبع وستين وسبعمائة ، وعودها الى حالتها المرضية » (١) .

== وعنوانه « قصة الاسكندر الرومي وسياحاته ودخوله في الظلة باحثاً عن ماء الحياة » .

انظر أيضاً : ( فهرست المخطوطات العربية بمكتبة أياصوفيا ، استانبول ، ١٣٠٤ هـ ) .

(Brockelmann : Geschichte der Arabischen Litteratur. supp Vol. I. P. 573-574 )

(١) كان المعروف الى وقت قريب أنه لا يوجد من هذا الكتاب إلا نسختان : نسخة من الجزء الاول منه في مكتبة برلين رقم ٩٨١٥ ( وفي دارالكتب المصرية صور شمسية منها ) ، ونسخة من الجزء الثاني من دارالكتب المصرية رقم ٣٩٤٢ ، غير أنني عثرت أخيراً على ما يفيد وجود نسختين أخريين للكتاب احدهما في خزانه « بانكي بور » بالهند ، رقم ٢٣٣٥ ، وهي نسخة قيمة هامة ، لأنها كتبت في القرن الثامن الهجري ، فهي أقدم النسخ المعروفة ، وتشتمل على الجزء الاول من الكتاب فقط . والثانية في المتحف البريطاني رقم ٦٠٦ ، وإنما تحت عنوان مخالف ، وهو « مرآة العجائب في وقاية الاسكندرية » أنظر :

( السيد هاشم الندوي : تذكرة النوادر من المخطوطات العربية ، حيدر آباد الركن ، ١٣٥٠ هـ )

و ( فهرس دارالكتب المصرية ، ج ٥ ، ص ٣٨ ، ج ٨ ، ص ٢٤ ) .

Combe : Le Texte de Nuwairi sur L' Attaque d' Alexandria, Par Piere I de Lusignan, dans : Bulletin of The Faculty of Arts, Alexandria ( Farouk I ) University , vol. III, 1946 .

واتبين كومب : بعض منتخبات من كتاب الامام للتوري الاسكندري ، نفس العدد من المجلة

المذكورة ) و ( الشيال : الاسكندرية ، طبوغرافية المدينة وتطورها ، ص ٢٠٧ - ٢٠٨ ) .

والكتاب لحسن الحظ موجود ولكنه لا يزال مخطوطاً ، ومؤلفه هو محمد بن القاسم النويري <sup>(١)</sup> الاسكندري ، إلا أن الطريقة الاستطراذية التي التزم بها المؤلف قد أمدتنا في هذا الكتاب بمعلومات نادرة وهامة جداً عن تاريخ الاسكندرية ومعالمها وطبوغرافيتها وأحوالها العمرانية والاقتصادية في العصر الاسلامي عامة ، وفي القرن الثامن الهجري ( ١٤ م ) خاصة .

وقد كتبت عن « فضائل الاسكندرية » رسائل كثيرة تشير المراجع الى ثلاث منها ، اثنتان موجودتان ، والثالثة مفقودة .

أما الاثنتان فهما :

أ — « فضائل الاسكندرية » لأبي علي الحسن بن عمر بن الحسن الصباغ <sup>(٢)</sup> ، وتوجد منها نسخة خطية في المكتبة الظاهرية بدمشق برقم ١٦٣ .

ب — « رسالة في فضل ثغر الاسكندرية » لجلال الدين السيوطي <sup>(٣)</sup> ، وتوجد منها نسخة خطية في مكتبة الجامع الأزهر بالقاهرة تحت رقم ١٣٧٤ .

أما الرسالة المفقودة فعنوانها « فضائل الاسكندرية » كذلك ، ومؤلفها هو خلف بن علي بن محمد بن أحمد بن داود بن عيسى المغربي التُّروجي السكندري <sup>(٤)</sup> ، المتوفى سنة ٨٤٤ هـ .

(١) انظر ترجمته في ( ابن حجر : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، ج ٤ ص ١٤٢ ) ، وقد قال السخاوي في الاعلان بالتوبيخ ، ص ١٢٢ عند حديثه عن هذا الكتاب : « ولمحمد بن قاسم بن محمد النويري السكندري صفة الكائنات العظمى التي وقعت للفرنج في أول سنة ٦٧ حين ملكوها ونهبوا أموالها وأمرؤا نساءها ورجالها ، في ثلاث مجلدات ، ولكنه استنورد فيها من شيء الى شيء فانه ابتدأ بصفة فتحها واستمر بحيث كانت الواقعة في جانب ما ذكر كالشامة » .

(٢) و (٣) راجع : ( الشيال : الاسكندرية ، طبوغرافية المدينة وتطورها ، ص ٢٠٨ ) و ( السخاوي : الاعلان بالتوبيخ ، ص ١٢٢ ) و ( حسن عبد الوهاب : الاسكندرية في العصر الاسلامي ، مجلة الكتاب عدد يناير ١٩٤٧ ) و ( Rosenthal : History of Muslim Historiography, P. 385 ) والترجمة العربية للدكتور صالح أحمد الدلي بعنوان « علم التاريخ عند المسلمين » .

(٤) انظر ترجمته في ( السخاوي : الضوء اللامع ج ٣ ص ١٨٤ ) .

## كتب تاريخ دمياط :

— كتاب تاريخ « دمياط » .

ومؤلفه مجهول، ولسنا نعرف عنه شيئاً ، ولم يشر اليه أحد من المؤرخين غير المقرئزي، وقد نقل عنه بعض الفقرات أثناء كلامه عن مدينتي « تنيس » و « الوراثة » في كتابه « الخطط » ، وقدّم لهذه الفقرات بقوله : « وقال جامع تاريخ دمياط » .

وقد عثرت أخيراً على قطعة صغيرة أرجح أن تكون جزءاً من هذا التاريخ ، وهي قسم من مخطوطة تضم رسائل أخرى ، وهذه القطعة - وتقع في عشر ورقات - تتكون من ثلاثة أبواب :

— الباب الأول « في فتوح دمياط » .

— الباب الثاني « في فضائل دمياط » .

— والباب الثالث « في شطا ورملة » .

وقد قارنت بين هذه القطعة المخطوطة وبين الفصول التي كتبها المقرئزي في خطه عن « دمياط » و « تنيس » و « الوراثة » و « الفرما » ، فرجح عندي أن هذه القطعة هي جزء من « تاريخ دمياط » الذي عرفه المقرئزي ونقل عنه ، والمقرئزي ينقل عن هذا التاريخ نقلاً حرفياً في بعض الأحيان ، ونقلاً موجزاً ملخصاً في أحيان أخرى ، وسأفصل الحديث عن هذه القطعة فيما يلي من صفحات هذه المقدمة .

— هذا وقد ذكر السيوطي في ترجمته لنفسه التي ضمنها كتابه « حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة » <sup>(١)</sup> قائماً بمؤلفاته ، ذكر من بينها : « الرحلة الدمياطية » ، وهي للأسف من كتبه المفقودة .

— وفي القرن التاسع الهجري ( ١٥ م ) ألف الأديب المؤرخ محمد بن أبي بكر بن عمر القادري الجوهري الدمياطي مقامة عنوانها : « المقامة الدمياطية في وصف الثغر ومحاسنه السنية » .

(١) ج ١ ، ص ١٤٥ .

وقد ولد هذا الأديب بقرية دانجية قرب دمياط في سنة ٨٢٠ هـ ، وتلقى العلم بها وبعض مدن الصعيد ، وحجَّ في سنة ٨٣٤ هـ ، ثم استقرَّ في دمياط ، وناب في القضاء بها ، وقال الشعر ، « وأتى بالقصائد الجيدة ، وخمَّس البردة ، ومدح كثيراً من الرؤساء ... وتكسب في سوق الجوهريين وقتاً » (١) .

وقد مدح القادري الملك المنصور عثمان بن السلطان الظاهر جقمق — وقت أن كان منفيًا في مدينة دمياط — بقصيدة جميلة سماها « الروض المطور في مدح الملك المنصور » ، وقدم لها بالمقامة سالفة الذكر التي أنشأها في وصف دمياط . والقصيدة والمقامة يضمها مجلد واحد ، ولا تزالان مخطوطتين في مكتبة معهد دمياط الديني ، ولها — إلى جانب قيمتهما الأدبية — أهمية خاصة ، فيها ترسمان صورة شائقة لمدينة دمياط في أواخر القرن التاسع الهجري ، وهذه الصورة في جملتها لا تختلف كثيراً عن الصورة التي رسمها المقرئ لمدينة دمياط في أوائل القرن نفسه (٢) .

### كتب تاريخ تنيس :

— وألف في تاريخ مدينة تنيس كتابان :

الأول في فضائلها من تأليف أبي القاسم عبد المحسن بن عثمان بن غنائم الخطيب (٣) ،

(١) انظر ترجمة القادري الدمياطي في ( السخاوي : الضوء اللامع ج ٧ ص ١٨٨ ) و ( الشيال : مجل تاريخ دمياط ص ٥٠ - ٥٣ ) .

(٢) زار المؤرخ المصري الكبير تقي الدين أحمد بن علي المقرئ مدينة دمياط في النصف الأول من القرن التاسع الهجري ( ١١٥ م ) ، وقد أرخ لها ووصف الكثير من معالمها في كتابه « المواعظ والاعتبار » ، وقال : « انها أحسن بلاد الله منظراً » ثم قال أيضاً : « أخبرني الأمير الوزير المشير الاستادار بلبغا السلمي — رحمه الله — أنه لم ير في البلاد التي سلكها من سمرقند الى مصر أحسن من دمياط هذه ، فظننت أنه يغلو في مدحها إلى أن شاهدتها فهي أحسن بلد وأنزه » ، ثم أثبت المقرئ في كتابه سالف الذكر قصيدة قالها في مدحها ، فيها وصف نادر لدمياط ومعالمها الهامة في ذلك العصر . انظر : ( المقرئ : الخطط ج ١ ص ٣٦٢ ) و ( الشيال : مجل تاريخ دمياط ص ٤٨ - ٤٩ ) .

(٣) ألف ابن غنائم كتابه هذا بعد سنة ٤١٣ هـ ( ١٠٢٢ - ١٠٢٣ م ) . انظر :

( Rosenthal : Op bit .P. 589 ) و ( Brockelman : G. A. L. Supp I. P. 548 ) و ترجمته العربية للدكتور صالح أحمد العلي .

وعنوان كتابه « العروس في فضائل تنيس » ، وقد انفرد بذكره السخاوي في كتابه  
« الاعلان بالتوبيخ لمن ذمَّ التاريخ » ، وكتاب « العروس » من ترائنا المفقود .  
والكتاب الثاني عنوانه : « أنيس الجليس في تاريخ مدينة تنيس » لمؤلفه الحافظ  
شمس الدين محمد بن شهاب الدين أحمد المعروف بابن بسام المحتسب التنيسي ، وسننصل الكلام  
عن المؤلف والكتاب فيما يلي من صفحات هذه المقدمة .

### كتاب تاريخ أسوان :

— « تاريخ أسوان » لابن الزبير الأسواني<sup>(١)</sup> ، ذكره حاجي خليفة في كتابه  
« كشف الظنون » ، وهو مفقود كذلك .

### كتب تاريخ الصعيد :

والى جانب هذه الثغور الشمالية البحرية وهذا الثغر الجنوبي البري ، حظى الصعيد في  
جملة بعناية نفر من المؤرخين المصريين ، وهو ما لم يحظ به الوجه البحري أو أسفل الأرض ،  
ففي المراجع إشارات الى كتب ثلاثة ألفت للتأريخ للصعيد ، منها كتابان مفقودان لانعرف  
من كل منهما غير عنوانه ، وهما : « كتاب العقيد في تاريخ الصعيد » لأبي سعيد عبدالرحمن

(١) عاش في مصر في أواخر العصر الفاطمي أخوان يحملان هذا الاسم « ابن الزبير الاسواني » :  
وهما : المهذب أبو محمد الحسن بن علي بن الزبير ، وأخوه الرشيد أحمد بن علي بن الزبير ، ولم يذكر حاجي  
خليفة أيهما مؤلف هذا التاريخ ، وكان الأخوان أدبيين شاعرين عالين ، غير أن المهذب أشعر ، والرشيد  
أعلم ، وتوفي المهذب سنة ٥٦١ هـ ، وتوفي الرشيد ٥٦٢ هـ . انظر ترجمتهما في :

( يا قوت : معجم الأديام ج ٤ ص ٥١ و ج ٩ ص ٤٧ ) و ( ابن خلكان : الوفيات ) و ( الأدفوي :  
الطالع الصعيد ص ٤٧ و ١٠٠ ) و ( ابن شاکر الكنتي : فوات الوفيات ج ١ ص ٢٤٣ - ٢٤٨ )  
و ( الهاد الأصفهاني : الحريدة ، قسم شعراء مصر ج ١ ص ٢٠٠ - ٢٢٥ ) و ( السلفي : معجم السفر ،  
مخطوط ) و ( عمارة اليمني : النكت المصرية ص ٣٥ ) و ( السيوطي : حسن المحاضرة ج ١ ص ٣٢٤ )  
و ( محمد كامل حسين : في أدب مصر الفاطمية ص ٢٠٣ - ٢١٠ ) و ( ابن واصل : مفرج الكروب ،  
نذر الشبال : ج ١ ص ٢٥٥ ) .

ابن أحمد بن يونس<sup>(١)</sup> ، وانفرد بذكر هذا الكتاب حاجي خليفة في « كشف الظنون » .  
— وكتاب « تاريخ الصعيد » لعلي بن عبد العزيز<sup>(٢)</sup> الكاتب ، ذكره السخاوي في  
« الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ » .

— والكتاب الثالث معروف ومطبوع وهو « الطالع السعيد في تراجم أعيان  
الصعيد » للدافوي ، وهو كتاب تراجم أولاً ، غير أنه يتضمن الكثير من المعلومات  
المفيدة القيمة عن تاريخ مدن الصعيد المختلفة وما كان بها من منشآت ومعاهد ومدارس  
ومساجد وآثار<sup>(٣)</sup> .

(١) أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس بن عبد الأعلى الصديقي المصري ، الحافظ المؤرخ ، من  
أوائل مؤرخي مصر الاسلامية ، ولد سنة ٢٨١ هـ ، وتوفي سنة ٣٤٧ هـ ، وقال عنه مؤرخوه انه كان إماماً  
في علم التاريخ ، وله كلام في الجرح والتعديل يدل على تبصره بالرجال ، وعمل مصر تاريخين : أحدهما  
— وهو الأكبر — يختص بأهل مصر ، والثاني يختص بذكر الغرباء الواردين على مصر ، ولم يذكر  
كتابه « العقيد في تاريخ الصعيد » غير حاجي خليفة في « كشف الظنون » وكتبه جميعاً مفقودة . وان  
كان المؤرخون المتأخرون ينقلون عنه . وقد رثاه عند موته الشاعر المصري أبو عيسى عبد الرحمن بن اسماعيل  
الحشاب النحوي بأبيات طريفة ، منها البيت المشهور الذي يقول فيه :

ما زلت تلهج بالتاريخ تكتبه حتى رأيتك في التاريخ مکتوباً

وقال ابن كثير : « وله ولد يقال له أبو الحسن علي ، كان منجماً له زيج مفيد يرجع اليه أصحاب هذا  
الفن ، كما يرجع أصحاب الحديث الى أقوال أبيه وما يؤرخه وينقله ويحكيه » ، وم ابن خلكان فيه  
والصحيح ما ذكره ابن كثير ، وللإبن ترجمات مختلفة في : ( الثعالي : بقيمة الدهر ج ١ ، ص ٣٤٥ )  
و ( القنطي : إخبار العلماء بأخبار الحكاء ص ١٥٥ ) و ( ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب ، الجزء  
الأول من القسم الخاص بمصر ، نشر الدكتورة زكي محمد حسن وسيدة الكاشف وشوقي ضيف ص ٢٧٣ )  
و خلاصة هذه الترجمات أن الإبن أبا الحسن علي كان من خواص القربين للخليفة الحاكم ، وله كتاب الزيج  
الكبير الحاكمي ، أتمه قبل وفاته سنة ٣٩٩ هـ وكان مختصاً بعلم النجوم ، متصرفاً في سائر العلوم ،  
بارعاً في الشعر ، وله شعر كثير ، ومؤرخنا عبد الرحمن هو حفيد أبي موسى يونس بن عبد الأعلى الفقيه  
المصري ، صاحب الشافعي . انظر ترجمة الجد في : ( ابن خلكان : الوفيات ج ٦ ص ٢٤٧-٢٥١ ) .  
وراجع ترجمة عبد الرحمن في : ( ابن خلكان : الوفيات ج ٢ ص ٣١٨ — ٣١٩ ) و ( ابن شاعر  
الكتبي : فوات الوفيات ج ١ ص ٥٢٦ — ٥٢٧ ) و ( الذهبي : تذكرة الحفاظ ج ٣ ص ١١٣ )  
و ( ابن كثير : البداية والنهاية ج ١١ ، ص ٢٣٣ ) و ( ابن تفردي : النجوم الزاهرة ج ٣ ص  
٣٢١ ) و ( السيوطي : حسن المحاضرة ج ١ ص ١٤٧ ، ٢٣٨ ) و ( الزركلي : الاعلام ) .

(٢) و(٣) السخاوي : الاعلان بالتوبيخ ص ١٢٧ ، وانظر كذلك (Rosenthal. Op. bit. P. 394)  
والترجمة العربية للدكتور صالح أحمد العلي .

وهناك مدينتان مصريتان من مدن الصعيد كتب لكل منهما تاريخ مستقل ، وهما :  
مدينة أسيوط ، ومدينة الفيوم .

أما المدينة الأولى فقد ألف في تاريخها كتاب عنوانه « تاريخ أسيوط » ومؤلفه هو  
المؤرخ المعروف ابن المدينة جلال الدين السيوطي ، وقد ذكر هذا الكتاب ضمن مؤلفاته  
في ترجمته لحياته التي ضمنها كتابه « حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة <sup>(١)</sup> » ، ولكن  
هذا التاريخ للأسف الشديد من الكتب المفقودة التي لا نعرف عنها شيئاً .

وإذا كان مؤرخو المدن المصرية السابقة جميعاً من أبناء هذه المدن ، فإن مؤرخ مدينة  
الفيوم نقر الدين عثمان بن النابلسي لم يكن من أبنائها . وإنما هو سوري الأصل ، نابلسي  
المولد ، قاهري الإقامة ، كان من كبار موظفي الدولة في عهد السلطان الملك الصالح نجم الدين  
أيوب ، اختاره السلطان في سنة ٦٤١ هـ للنظر في مصالح الفيوم وعمارتها ، فكتب كتابه  
هذا ليصف فيه الفيوم وقراها وخلقائها وسكانها وإدارتها وخراجها ومساجدها وكنائسها  
وأديرتها .. الخ وسماه :

« إظهار صنعة الحي الفيوم »

في ترتيب بلاد الفيوم »

وقد نشره المستشرق موريتز Moritz ، وطبع في بولاق في سنة ١٨٩٨ بعنوان :  
« تاريخ الفيوم وبلاده » <sup>(٢)</sup> .

مخطوطة « فوائد الموائد » :

وبعد ، فإن موضوع بحثنا في هذه المقدمة هو مخطوطة نادرة لم يشر إليها أحد من

(١) السيوطي : حسن المحاضرة ج ١ ص ١٤٤ .

(٢) انظر المقدمة الفرنسية التي كتبها موريتز لهذه الطبعة ، و ( مركيس : معجم المطبوعات العربية  
والعربية ) ، هذا وقد ذكر السيوطي في ترجمته الذاتية ( حسن المحاضرة ج ١ ص ١٤٥ ) قائمة بمؤلفاته ،  
من بينها « الرحلة الفيومية » ، وهي كذلك من كتبه المفقودة .

قبل تضم قطعتين من كتابين من هذه الكتب السالف ذكرها ، وهما :

- كتاب تاريخ دمياط

- وكتاب تاريخ تنيس

وقد كان المظنون حتى اليوم أنها مفقودان ، والمخطوطة وإن كانت لا تضم التاريخين كاملين ، وإنما تضم قطعة من كل منهما ، فإنها في الواقع تعتبر كشفاً له قيمته ، فإن القطعة المنقولة عن « تاريخ تنيس » بوجه خاص تتضمن وصفاً كاملاً رائعاً لتخطيط المدينة وأقسامها وسورها وأرباضها ، وما كان بها من دور للحكومة ومن منشآت ومرافق عامة ، وهو وصف قل أن نجد له شبيهاً في دقته واستينائه فيما وصلنا من أوصاف في كتب المخطوط وتواريخ المدن الإسلامية .

والمخطوطة موجودة في دار الكتب المصرية بالقاهرة تحت رقم ١٨٥٢ أدب ، وتقع

في ٨٥ ورقة ، وتتكون من قسمين :

- القسم الأول قطعة من كتاب الأمامي لأبي علي القالي ، وتنتهي بنهاية الورقة ٦٠ .

- والقسم الثاني ويضم مجموعة من الموضوعات المختلفة أهمها قطعة من « تاريخ دمياط » ،

وقطعة من كتاب « أنيس الجليس في أخبار تنيس » ، ويتكون من الخمس وعشرين

ورقة الباقية ، وقد ذكرت القطعة الأولى المأخوذة من « تاريخ دمياط » في الجزء السادس

من فهرس دار الكتب المصرية الخاص بالعلوم الجغرافية تحت عنوان : « قطعة من كتاب

لم يعلم مؤلفه » ، وعرفها واضع الفهرس بقوله :

« وتشتمل على وصف مدينة دمياط ، ونبذة من أخبار الصحابة في عهد المقوقس

رضوان الله عليهم <sup>(١)</sup> » .

وذكرت القطعة الثانية المأخوذة من تأريخ تنيس في نفس الجزء تحت عنوان : « نبذة

في وصف تنيس والجزائر وجزائر البحار » ، وعرفها واضع الفهرس بقوله :

(١) الجزء السادس من الفهرس الجديدة لدار الكتب المصرية ، ص ٤٧ .

« مأخوذة من كتاب الأنيس الجليس في أخبار تنيس والجزائر ، للشيخ شمس الدين محمد بن شهاب الدين أحمد ، المعروف بابن بسام المحتسب التنيسي ، وصف فيها مدينة تنيس وموقعها ومساجدها وكنائسها وفنادقها وحوانيتها وأسمائها وطيوورها ، ثم ذكر جزيرة إقريطش وجزيرة رودس ، وجزيرة سردينية . وجزيرة أرواد ، وجزيرة الزنج ، وجزيرة الديباج ، وجزيرة الراي ، وجزيرة تريعون ، وجزيرة الراصدي ، وفي آخرها معرفة عظم الأرض وعمارتها وخرابها ، مأخوذة من كتاب الجغرافيا لبطليموس ، وهب هذه النبذة مسبوقة بنبذة أخرى ناقصة من الأول ، تحتوي على فتح المسلمين لمدينة تنيس ، وذكر من حضر من الصحابة ، ووصف مدينة دمياط وما اشتملت عليه <sup>(١)</sup> . »

غير أنه ثبت لي بعد دراسة المخطوطة أن هذه المقتطفات تكون في مجموعها كتاباً مستقلاً يحمل عنواناً خاصاً به ، هو « فوائد الموائد » ، وهو من نوع كتب الشذرات والمتفرقات التي يقتصر عمل المصنف فيها على جمع مختارات من قراءاته في الأدب والشعر والتاريخ والقصص والحكم وضمها بعضها إلى البعض الآخر لتكون كتاباً واحداً ، فهذا المجموع ، أو كتاب « فوائد الموائد » يشبه إلى حد كبير كتاب « المستطرف في كل فن مستظرف » للابشيهي أو كتاب « الكشكول » للعالمي .

ويؤكد هذه الحقيقة أن الصفحة الأولى من هذا المجموع مثبت عليها سطور أربعة

– السطر الأول كتب فيه « كتاب فوائد الموائد » .

– وفي السطرين الثاني والثالث : « ديوان محمد بن كزّال العيسوي نائب السلطنة المعظمة

بشعر دمياط كان ، رحمة الله عليه » .

– وفي السطر الرابع بيت من شعر هذا الشاعر نصه :

فما هو الا ظاهر ومؤيد على ومنصور بشعر مظفرى

وقد تكرر ذكر عنوان الكتاب في السطر الأخير من الورقة ٨٥ وهي آخر ورقة في

هذا المجموع ، ونص هذا الختام :

(١) المرجع السابق ، ص ٦٢ ، وانظر أيضاً الجزء الخامس من نفس الفهارس ص ٣٨٠ .

« تم كتاب فوايد الموائد على بركة الله وعونه ، والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله » .

غير أنه يبدو لي أن هذا الكتاب « فوائد الموائد » لم يصلنا كاملاً ، وإنما هذه قطع منه ، بدليل أن القطعة المأخوذة من تاريخ دمياط ناقصة من أولها ، وتبدأ بهذه الجملة : « .. فانهى به الصيد إلى أرض العريش ، فطرد أمامه وحش كبير فطلبه الملك .. الخ » .

ومحتويات كتاب « فوائد الموائد » تتلحق على هذا النسق :

- ١ — مختارات من كتاب « الأمالي » لأبي علي القالي وتنتهي بنهاية الورقة ٦٠ .
- ٢ — قطعة من كتاب « تاريخ دمياط » وتقع في عشر ورقات . من الورقة ٦١ إلى ٧٠ ، ويبدو أن « تاريخ دمياط » كان مقسماً إلى أبواب ، فإن القسم الأول وينتهي في أوائل الورقة ٦٩ جاء في ختامه :

« تم فتوح دمياط بعون الله تعالى وقوته ونصره » .

ثم يليه في الورقة ٦٩ : « باب في فضائل دمياط » .

وفي النصف الأول من الورقة ٧٠ : « باب في شطا ورهلة » .

- ٣ — كتاب « أنيس الجلميس في أخبار تنيس والجزائر » ، تأليف الشيخ الإمام العالم العلامة الأديب الحافظ شمس الدين محمد بن الشيخ شهاب الدين أحمد المعروف بابن بسام المحتسب التنيسي ، رحمه الله ، وتبدأ هذه القطعة بالجملة الآتية :

« ذكر الشيخ شمس الدين محمد بن أحمد بن بسام التنيسي المحتسب العالم بتنيس كان

— رحمه الله — في كتابه المصنف في وصف تنيس .. الخ » وتبدأ هذه القطعة في أول

ص ٧٠ أ ، وتنتهي بنهاية ص ٧٨ أ .

- ٤ — فصل في أسماء الأسد وكناهه للحسن بن محمد بن الحسن الصغاني وتبدأ بالصفحة

٧٨ ب وتنتهي في منتصف ص ٨٣ أ ، أما النصف الثاني من الصفحة ففيه مقطوعة

شعرية لم يذكر اسم صاحبها .

٥ - فصل آخر في أسماء الذئب وكناهه للصغاني أيضاً وتشمل الصفحتين ٨٣ب و ٨٤أ .  
٦ - أبيات ومقطوعات شعرية مقتبسة من ديوان الفقير الى الله تعالى ، محمد بن كزّال العيسوي نائب السلطنة المعظمة بشعر دمياط - كان - ، رحمة الله عليه . وتتملأ هذه المقطوعات الثلاث صفحات الأخيرة من المخطوطة من ٨٤ب الى ٨٥ب .

ومسطرة المخطوطة ١٧ × ٢٥ سم ، والمكتوب منها ١٣ × ١٩ سم ، وعدد السطور في كل صفحة ١٥ سطراً ، وعدد الكلمات في كل سطر ١٢ كلمة .  
مخطوط تاريخ دمياط :

هذا وصف موجز سريع للمخطوطة في جملتها ، وسنقف قليلا عند القطعتين المأخوذتين من تاريخ دمياط وتاريخ تنيس لتحقيق كل ما يتصل بهما ، ولحاولة التعرف على مؤلفيهما إن أمكن ، ولبيان قيمة ما ورد بهما من معلومات تاريخية واثرية .

- أما القطعة المأخوذة من « تاريخ دمياط » فتتكون من ثلاثة أبواب :  
الباب الأول في « فتوح دمياط » ، والباب الثاني في « فضائل دمياط » ، والباب الثالث في « شطا ورملة » .

والباب الأول هو أهمها واكبرها فهو يقع في ست عشرة صفحة ، أما الباب الثاني والثالث فيقعان في صفحتين اثنتين ، وهذا الباب الأول يتحدث عن فتح العرب لدمياط وشطا وتنيس والمناطق والمجاور المجاورة مثل : الفرما والبقارة والورادة .. الخ وعن الشخصيات التي شاركت في أحداث الفتح من الروم والعرب جميعاً مثل المقوقس والهاموك وشطا وأبو ثوب ( وهو عند المقرئزي : أبو ثور ) ، ويزيد بن عامر ، وهلال بن أوس ، والمقداد بن الأسود .

وكتاب « تاريخ دمياط » لم يذكره أحد من المؤرخين السابقين غير المقرئزي في كتابه « الخطط » ، فقد نقل عنه ملخصاً في الفصلين اللذين تحدث فيها عن مدينتي تنيس والورادة ، وقدّم لنقله بقوله : « وقال جامع تاريخ دمياط » ولم يصرح باسمه ، ولم

أستطع أنا أيضاً - حتى الآن على الأقل وبعد تحقيقات كثيرة - أن أعر على اسمه ، ولكنني قارنت بين هذه القطعة المخطوطة -ة الفصول التي كتبها المقرئ في خطه عن دمياط وتنيس والورادة والقرمما فتأكد لدي أن هذه القطعة المخطوطة هي دون شك جزء من « تاريخ دمياط » الذي عرفه المقرئ ونقل عنه ، والمقرئ ينقل عن هذا التاريخ نقلاً حرفياً في بعض الأحيان ونقلًا موجزاً ملخصاً أحياناً أخرى .

واتضح لي من هذه المقارنة ومن دراسة المخطوطة حقائق أخرى ، منها :

أن مؤلف الكتاب دمياطي فهو يعني بذكر فضائلها ومحاسنها ويمجد رجالها والأبطال الذين شاركوا في فتحها سواء أكانوا من المصريين مثل شطا بن الهاموك أم من العرب مثل هلال بن أوس والمقداد بن الأسود .

- أن الكتاب ألف قطعاً قبل القرن التاسع الهجري ( ١٥ م ) وهو القرن الذي عاش فيه المقرئ ، وأنه كان موجوداً بأكمله حتى هذا القرن بدليل إفادة المقرئ منه ونقله عنه .

قد يفسر سكوت المقرئ عن ذكر اسم المؤلف بأنه كان مجهولاً لديه أو بأن النسخة التي استخدمها لم تكن تحمل اسم هذا المؤلف ، وإلا لذكره ونسب الكتاب إليه كما كان يفعل في أغلب الأحوال عند النقل عن المؤرخين السابقين .

- أن هذا الجزء الذي وصلنا من « تاريخ دمياط » ما هو الاقطعة صغيرة جداً منه وانه كان كتاباً كبيراً ، بدليل أن المؤلف يحيل القارئ في نهاية الباب الخاص بفتوح دمياط الى معلومات أخرى سيذكرها في « الجزء الثالث عشر إن شاء الله تعالى » .

- ان المعلومات الواردة في الفصل الأول الخاص بفتوح دمياط خليط من الأحداث التاريخية والقصص التاريخي ، وخاصة تلك الصورة التي رسمها للبطل المصري شطا بن الهاموك الذي أسلم وشارك العرب في فتوح دمياط وتنيس .

- ذكر المؤلف في هذه القطعة الباقية من « تاريخ دمياط » كثيراً من الأحاديث النبوية في فضل دمياط ، ونقل عن اثنين ممن سبقوه وهما :

- ابن اسحاق .

- وبكر بن سهل الدمياطي ، الحافظ .

ابن بسام مؤلف أنيس الجلبس :

أما مدينة تنيس فهي إحدى المدن المصرية الكبرى في العصر الاسلامي كانت تقوم على جزيرة في الشمال الشرقي من البحيرة التي كانت تحمل اسمها في العصور الوسطي « بحيرة تنيس » وهي المعروفة الآن ببحيرة المنزلة .

وكانت تنيس ثغراً من أهم ثغور مصر الشمالية ، ومركزاً من أهم مراكز صناعة النسيج في العصور الإسلامية ، وقد أسهب المؤرخون والجغرافيون والبلدانيون والرحالة القول في وصفها والاشادة بموقعها البحري والحربي وبمكاتها الصناعية الاقتصادية ، وهذه القطعة التي وصلتنا هي جزء من كتاب هام وضع في تاريخها وعنوانه « أنيس الجلبس في أخبار تنيس » وقد ذكر المقتبس صاحب كتاب « فوائد الموائد » اسم مؤلف تاريخ تنيس وهو : الأديب الحافظ شمس الدين محمد بن الشيخ شهاب الدين احمد المعروف بابن بسام المحتسب التنيسي .

ولهذا المؤلف كتاب آخر هام في الحسبة ، عنوانه : « نهاية الرتبة في طلب الحسبة »

وتوجد منه نسخة مخطوطة في المكتبة التيمورية بالقاهرة

وقد كتب الأب لويس شيخو عن هذا الكتاب ونشر مقتطفات منه في : ( مجلة

المشرق ) السنة العاشرة ، العدد ٧١ ، تشرين الثاني ١٩٠٧ ، ص ٩٦١ - ٩٦٨ ، العدد ٢٢٣ ،

كانون الأول سنة ١٩٠٧ ، ص ١٠٧٩ - ١٠٨٦ ) .

وقد بذل الأب لويس شيخو جهوداً كبيرة ، وبذلت أنا بعده جهوداً أخرى للعثور على

ترجمة مفصلة أو موجزة لهذا المؤلف ، ولكن دون جدوى ، وقد رجَّح شيخو في مقاله

أن ابن بسام عاش في القرن ٧ ( ١٣ م ) أو القرن ٨ ( ١٤ م ) لأنه أثبت أن ابن بسام نقل كتاب

الشيئزرى في الحسبة الذي يحمل نفس العنوان ، وأضاف إليه أبواباً جديدة ، والشيزري

عاش كما هو ثابت من ترجمته في أواخر القرن السادس الهجري ( ١٢ م ) . وقد لاحظت أن هناك شبهة كبيرة بين المعلومات التي أتى بها ياقوت عند حديثه عن تنيس في كتابه « معجم البلدان » وبين المعلومات الواردة في « أنيس الجليس » ، وخاصة تلكا القائمتين المشتملتين على أسماء الطيور والاسماك الموجودة في تنيس فأنهما تكادان تكونان شيئاً واحداً ، ومما يلفت النظر أن ياقوت نصّ على أنه نقل القائمة المشتملة على أسماء الطيور من كتاب « تاريخ تنيس » وان كان لم يفسح عن اسم مؤلفه ، قال : « قال صاحب تاريخ تنيس : ولتنيس موسم يكون فيه من أنواع الطيور ما لا يكون في موضع آخر ، وهي مائة ونيف وثلاثون صنفاً ... الخ » .

وقد تساعدنا هذه الإشارة على تحديد الوقت الذي عاش فيه ابن بسام ، فإذا كان كتاب تاريخ تنيس الذي نص ياقوت على أنه نقل عنه هو « أنيس الجليس » لابن بسام ، فإننا نستطيع أن نقول إن ابن بسام عاش في أواخر القرن السادس الهجري أو أوائل القرن السابع وبمعنى آخر قبل سنة ٦٢٦ هـ وهي السنة التي توفي فيها ياقوت .

ونستطيع بعد دراسة مخطوطة « أنيس الجليس » ، وبعد استشارة المراجع التاريخية التي أرخت لمدينة تنيس أن نحدد التاريخ الذي عاش فيه المؤلف والتاريخ الذي ألف فيه الكتاب تحديداً أكثر دقة .

فإن بسام أشار في « أنيس الجليس » إلى أنه رجع الى كتاب « المسعودي » : « مروج الذهب » و « أخبار الزمان » ونقل عنها ، والمسعودي عاش في النصف الأول من القرن الرابع الهجري ، وهذا يعني أن ابن بسام عاش بعد القرن الرابع الهجري .

وأخر حاكم مصري أشار اليه ابن بسام في متنه الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله ، فقد قال عند ذكر ما كان في تنيس من كنائس : « وكان بها - يعني تنيس - من الكنائس اثنتان وسبعون كنيسة الى أن أمر بهدمها الحاكم بأمر الله - رحمه الله - في سنة ثلاث وأربعمائة ، وجعل عوضها مساجد » .

وآخر سنة أشار إليها هي سنة ٤٠٥ ، فقد قال : « وبها من الفنادق والقياسر خمسون سواء ، ثم بنى في سنة خمس وأربعمائة ستة أدر للتجار كبار ، فصار الجميع ستة وخمسون موضعاً ... الخ » ، وهذا يعني أيضاً ان ابن بسام عاش بعد عصر الحاكم بأمر الله ، وبعد سنة ٤٠٥ بالذات .

وابن بسام يصف مدينة تنيس وأرباضها وخططها ومساجدها وفنادقها ومصانعها وأهلها وصفاً تفصيلياً دقيقاً يعطى صورة حية واضحة للمدينة في أحسن حالة من حالات عمرانها عندما كانت عامرة بمبانيها ودورها ومنشآت أهلها بسكانها الذين يقدرهم ابن بسام بما لا يقل عن ٥٠.٠٠٠ نسمة ، وهو وصف لا يستطيع أن يقدمه إلا من عاش في المدينة ردهاً من الزمن وابن بسام وصف في ديباجة « أنيس الجليس » بأنه الشيخ شمس الدين محمد بن احمد بن بسام التنيسي المحتسب ، العالم بتنيس - كان - ، فليس هناك شك في أنه من أبناء تنيس ، وأنه كان من علماءها ، وتولى الحسبة فيها . وفي المخطوطة إشارة صغيرة متوارية الى أن ابن بسام كان يعيش في تنيس وقت عمرانها أي قبل هدمها وتخريبها والى أنه كان يملك مصنعاً من أكبر مصانعها - أي مخزناً من أكبر مخازن الماء فيها - ، فقد وصف مصنعاً للماء كبيراً بناه بالمدينة عبد العزيز الجروى ، ثم أردف الوصف بقوله : « ولكاتب هذا مصنع آخر دون هذا » .

وقد ظلت تنيس عامرة أهلة حتى أوائل العصر الأيوبي ثم أخذت تهددها - كما تهدد جارتها الفرمما ودمياط - غارات الصليبيين من البحر بأساطيلهم ، وقد بذل صلاح الدين جهوداً كبيرة لتحصين تنيس حتى تستطيع أن تقاوم هذه الغارات .

يقول المقرئزي : « وفي سنة ٥٧٧ هـ انتدب السلطان لعمارة قلعة تنيس وتجدديد الآلات بها عندما اشتد خوف أهل تنيس من الإقامة بها ، فقدّر لعمارة سورها القديم على أساساته الباقية مبلغ ثلاثة آلاف دينار ثمن أصناف وآجر<sup>(١)</sup> » .

ولكنه اضطر قبل موته بسنة أن يأمر باخلائها ، قال المقرئزي : « وفي سنة ٥٨٨

(١) المقرئزي ، الخطط ، ج ١ ، ص ٢٩٢ .

كتب باخلاء تنيس ونقل أهلها الى دمياط ، فأخليت في صفر من الدراري والانتقال ، ولم يبق بها سوى المقاتلة في قلعها (١) .

وفي سنة ٦٢٤ أمر الملك الكامل محمد بهدم المدينة وتخریبها حتى لا ينزل بها الصليبيون ، وبذلك زالت من الوجود مدينة كانت من أكبر المدن الصناعية في مصر الاسلامية كما كانت ثغراً من أقوى ثغورها ، قال نفس المؤلف : « وفي شوال من سنة ٦٢٤ أمر الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بهدم مدينة تنيس ، وكانت من المدن الجليلة تعمل بها الثياب السرية وتصنع بها كسوة الكعبة (٢) » .

نستطيع إذن أن نقول إن المؤلف كان يعيش في تنيس قبل سنة ٥٨٨ هـ أو على الأكثر قبل سنة ٦٢٤ هـ وأنه ألف كتابه قبل هذه السنة ، لأن مدينة تنيس العامرة الآهلة التي وصفها ابن بسام في كتابه هذا زالت من الوجود ولم يعد لها كيان في هذه السنة ، ولم يعرف أنه أعيد تخطيطها وتعميرها كما حدث لدمياط مثلاً بعد أن هدمت في أعقاب حملة لويس التاسع عليها . ونستطيع أخيراً أن نخرج من هذه الدراسة التحليلية المقارنة بهذه الحقيقة : وهي أن المؤلف عاش في الربع الأخير من القرن السادس والربع الأول من القرن السابع ، وأنه ألف كتابه خلال هذه المدة ، ونستطيع كذلك أن نستبعد أن ابن بسام كان من رجال القرن الثامن الهجري كما افترض الأب لويس شيخو ، وكما تبعه في فرضه الدكتور الباز العريبي في مقدمته لكتاب « نهاية الرتبة » للشيزري .

دراسة تحليلية لمخطوطة « أنيس الجلبس في أخبار تنيس » :

ويبدو أن القطعة التي وصلتنا من تاريخ تنيس لا تشمل الكتاب كله ، بل هي مقتبسات منه ، فهي تقع في عشر صفحات فقط ، ومع هذا فإنها تتضمن معلومات قيمة ونادرة لم تذكرها المراجع الأخرى التي كتبت عن تنيس ، ففيها وصف تفصيلي دقيق لمخطط المدينة ومينائها وأسوارها وأبوابها ودار الحكومة بها وفنادقها ومساجدها وكنائسها ومصانعها .. الخ .

(١) و (٢) المرجع السابق ، نفس الجزء ، والصفحة .

بدأ المؤلف بتحديد موقع الجزيرة فقال إنها تقع في الاقليم الرابع ، وأوضح ما لهذا الموقع من أثر في صحة هوائها ورقة طبائع أهلها وقلة وبائنها ، وذكر أن الأهالي يدخرون ماء النيل عندهم عند صفائه في جباب أو صهاريج خاصة .

والمدينة كما وصفها المؤلف كانت شبه مستطيلة ، فطولها من الشمال الى الجنوب ٣٢٢٧ ذراعاً وعرضها من الشرق الى الغرب ٢٥٨٠ ذراعاً وكان يحيط بها سور ذرعه ٢٢٨٥ ذراعاً<sup>(١)</sup> ، ولهذا السور أبواب كانت عدتها ١٩ باباً ، وكان واحد منها مصفحاً بالنحاس ، وما سواه مصفح بالحديد ، وكان يتصل بالسور كذلك قنطرتان يسلك تحتها الى ميناءين ، لكل منهما باب مصفح يمنع من يريد أن يدخله أو يخرج منه بغير إذن .  
ثم قدّم ابن بسام إحصاء طريفاً نادراً لكل ما كان في المدينة من مساجد وكنائس وفنادق وقياسر وحوانيت ودكاكين ومعاصر وطواحين وحمامات ومناسج .

فالمدينة كان بها ١٦٠ مسجداً سوى المسجد الجامع ، ولكل مسجد منها منارة ، وقد وصف ابن بسام المسجد الجامع وصفاً تفصيلاً ، فقال :

إن طوله من جهة القبلة الى جهة البحر مائة وإثنا عشر ذراعاً وعرضه من المشرق إلى المغرب واحد وسبعون ذراعاً وكانت له زيادة ملاصقة له طولها سبعون ذراعاً وعرضها ٢٩ ذراعاً وكانت العناية بهذا المسجد الجامع كبيرة فقد كان يوقد فيه في شهر رمضان ثلاثة آلاف مصباح ومائة مصباح ومائتان وخمسون شمعة ، ويوقد فيه في كل ليلة ألفان وثمانمائة مصباح .

وذكر المؤلف أنه كان بتنينس اثنتان وسبعون كنيسة الى أن أمر بهدمها الحاكم بأمر الله في سنة ٤٠٣ هـ وجعل عوضها مساجد .

أما الفنادق والقياسر فكان عددها خمسين ثم بنى في سنة ٤٠٥ هـ ستة آدر كبيرة للتجار فصار الجميع ستة وخمسين .

وأما الحوانيت فكان عددها ألفين وخمسمائة .

(١) وقد قدر المؤلف طول هذا المحيط بالأميال فقال إنه يساوي ميلاً ونصف ميل وثمان ميل ونصف عشر ميل .

وكان بها مائة معصرة ، تختلف كبراً وصغراً ، فأصغرها يعمل بها رجالان ، وأكبرها يعمل بها عشرون رجلاً .

وكان بها من الدكاكين التي يباع بها البزُّ وأنواع الثياب مائة وخمسون دكاناً .  
وكان بها من الأرحية أي الطواحين ، مائة وستون ، منها ما يشتمل على مدار واحد ، ومنها ما يشتمل على مدارين ، ومنها ما يشتمل على خمسة أحجار ، وبها مقشرة ومعجنة .  
وكان بها من الحمامات العامة ستة وثلاثون حماماً ، سوى الحمامات الخاصة التي بينها بعض الأهلين ملحقة بدورهم .

وكان بها من المناسج - أي دور الطراز أو مصانع النسيج - خمسة آلاف منسج وكان عدد العمال الذين يعملون فيها عشرة آلاف عامل سوى من يُطَيَّب أو يُرَقِّم من ذكر وأُنثى ؛ وقد أشار صاحب تاريخ تنيس الى ضخامة انتاج هذه المناسج وتنوعه واتقانه ، وأمدنا في هذا الوصف بكثير من أسماء الأقمشة الفاخرة التي كانت تنتجها تنيس ، قال :  
« عدد ما فيها ( أي المناسج ) من الأسفاط ألف وخمسمائة سَفْط ، ومن الرُزَم ألفا رزمة ، وبرسم خزانة السلطان أربعائة سَفْط ، فيها من الامتعة ما لا يرى مثله ، مذهبة على هيئة المخيطة منسوجة ، الثوب الواحد منها بألف دينار ، ومناديل ، المنديل بخمسمائة دينار ، ومراتب المرتبة بألف دينار ، ومطارد ، ومقاطع ، ومفارش ، وستور ، ونخل ، ومُعَيِّن ، وسقلاطون كَبَيْقِي ، ومُصَمِّمَت كَبَيْقِي ، وعتابي ، وما لا يمكن وصفه » .

#### أرباضه المربنة :

ولم يكن العمران مقصوراً على المدينة التي تحيط بها الأسوار ، بل كانت لها أرباض أربعة تحيط بها من كل جهاتها ، وفي كل رِض من هذه الأرباض تقوم الدور والمنشآت والمرافق العامة ، بعضها حكومي ، وبعضها مما يتصل بالصناعات القائمة في المدينة ، وقد حدد ابن بسام الدور والمنشآت والمرافق العامة القائمة في كل رِض على النحو الآتي :

١ - الرِض الغربي ، ولأنه تقوم فيه :

دار الصناعة ، أي دار صناعة السفن .

دار الإمارة .

حمامات للرجال .

عرصتان عظيمتان يرد اليهما ما يُحمل الى تنيس من البلدان القريبة والبعيدة .

٢ - الربض الشرقي ، وطانت تقوم فيه :

الديوان الكبير ، ويشتمل على عدة دواوين ، ( ولعله يقصد ديوان الجرك الذي يحصل الضرائب المفروضة على التجارة الواردة على المدينة ، أو لعله يقصد دواوين الحكم بوجه عام التي تشرف على شئون المدينة الإدارية والمالية وغيرها ) .

دواليب تنقل الماء وقت غيوبه ( ؟ ) وزيادته الى مصانع المدينة وحماماتها .

مطاحن جبس ، ومواقد جبر .

اصطبل السلطان .

الربض القبلي ، وطانت تقوم عليه :

دواليب أخرى لنقل الماء الى المصانع والحمامات .

أخصاص كبيرة لا تحصى ( وأغلب الظن أنها الأخصاص التي كان يعيش فيها الصيادون )

ديوان السمك ومخازن الأصيار .

أرض تنبت الملح ، أي ملاحات لاستخراج الملح ، وقد وصف المؤلف الملح الناتج

منها بالجودة فقال إنه كان يفوق بضائنه وعدوبته وكثرته كل ملح .

الربض البحري ، وطانت تقوم عليه :

مساجد وكنائس .

مفارش لتبييض الأمتعة ، وحجارة لضرب الثياب .

هدف للرماة .

مصليان ، أحدهما لجناز الموتى ، والآخر لصلاة العيدين .

## صناعة صيد الأسماك والطيور :

وإذا كانت صناعة النسيج هي الصناعة الأولى بالمدينة ، فقد كانت الصناعة الثانية هي صناعة الصيد ، صيد السمك ، وصيد الطيور ، ولهذا فقد انتقل بعد وصفه لخطط المدينة وأرباضها الى الحديث عن هذه الصناعة ، وكل ما يتصل بها ، وبدأ بصيد الأسماك ، فذكر أن المدينة كان بها من المراكب الموسومة لصيد السمك في البحيرة ثلاثمائة واثنين وسبعين مركباً ، وأكثر ما تحمل المركب منها ستين رجلاً ، وأقله ثلاثة رجال ، وقد تصيد هذه المراكب في بعض الأوقات ما يباع بمائة دينار أو أكثر .

ثم أردف هذا الوصف بقائمة نادرة لأسماء هذه المراكب لا نجد لها شبيهاً في المراجع الأخرى ، فمنها : الجرافات ، والانكبارات ، والعينات ، والسد ، والطراحين ، والجراجن ، والباريات ، ومراكب الترع والفلاحين والطباخين ، ومراكب القوود ، والدق ، ومراكب المضارب ، ومراكب القرنديس ، ومراكب اللبائين ، ومراكب الدور .

وقدم بعد هذا قائمة كاملة بأسماء الأسماك التي كانت تصاد في تنيس وعددها ٦٣ نوعاً . وكان إيراد الحكومة من المكوس المفروضة على صيد هذه الأسماك كبيراً وقد قدره صاحب الكتاب بمخمسين ألف دينار في السنة ، وكان يشرف على هذه الصناعة وعلى جمع هذه المكوس ديوان خاص يسمى ديوان الأسماك موقعه في الريض القبلي كما سبق أن ذكرنا .

وانتقل ابن إسام بعد هذا الى الحديث عن صيد الطيور ، فقال إن عدة المراكب التي تصاد بها الطيور في جزيرة تنيس ، وتعيش من كسبها مائة وثلاثة عشر مركباً ، ثم قدم قائمة أخرى بأسماء الطيور التي كانت تصاد هناك وهي نيف ومائة صنف .

وأشار المؤلف بعد هذا الى النشاط التجاري بين مدينة تنيس ومواني الشام ، وقال إن السفن التي كانت تنقل هذه التجارة مختلفة الأنواع ، فمنها القوارب والكائم ، والعشاريات ، وأن عدد السفن الواردة الى تنيس من الشام كانت تبلغ في كل سنة خمسمائة مركب أكثرها ترد في الصليبية والربيعية ، هذا عدا المراكب الوافدة عليها من إقليم مصر

والصعيد والاسكندرية وأقصى الريف ، وهذه كما قال المؤلف مما لا يضبط عدده لكثرة ،  
وترد بأنواع الخيرات من الفواكه وغيرها .

### سطر المرينة :

وبين سطور هذا الوصف الطبوغرافي العمراني يجد القارئ لفتات وإشارات حاول  
المؤلف أن يكون منها صورة حية لسكان مدينة تنيس ، وهذه اللفتات والاشارات  
- رغم أهميتها العظمى - لم يعن بتسجيلها مؤلفو كتب الخطط الآخرون ، فهم في العادة  
يعنون بوصف الجماد ولا يعنون بوصف الأحياء .

أما ابن بسام فقد ضمّن هذه القطعة الصغيرة من تاريخ تنيس فقرات متناثرة لوصف  
سكان تنيس ومزاجهم وطبائهم ، فقال إن المدينة كانت تمتاز بصحة هوائها ورقة طبائع أهلها  
وصنائعهم حتى أن الميت لا تفسد جثته سريعاً ، ولا يتساقط شعره من جسمه ، ثم ضرب  
مثلاً على صحة هواء المدينة وقلة الوباء بها فقال : « إن أكثر من يعمل بها الأمتعة يأكلون  
الأسماك والأطعمة الزفرة ولا يغسلون أيديهم ، ويعودون الى رقهم ونسجهم ولا يُشَمُّ  
من روائح تلك الزهومات شيء ، بل يطيب نسجهم ، ويستلذ نشره » ، وساق المؤلف دليلاً  
آخر على صحة هواء المدينة وخلوها من الحشرات فقال إنه لا يوجد في خبزها ولا بُرّها  
ولا في أرضها ولا في بنائها شيء من الحيوان المهلك والديب المؤذي .

أما سكان المدينة فهم أهل فن ، يستخفهم الطرب ويحبون سماع الأغاني ، ويمجدون  
الرسم والتصوير والنقش والتلوين ، وهم كأرباب الفنون في كل زمان ومكان يقبلون على  
الحياة ويمسنون الاستمتاع بأطبايها ، ويألفون الغريب ويقبلون عليه بكل قلوبهم ،  
ويحبون السفر ويكرمون الغريب والمسافر ، ولا يحملون في أنفسهم غلاً ولا حقد داءً ،  
هكذا وصفهم المؤلف ، وأنت تحس حين تقرأ وصفه أنه يفخر بمواطنيه ويعتز بما لهم  
من سجايا طيبة ، فهو يقول :

« ولذلك أكثر طرب نفوس أهلها وفرحهم وورغبتهم في مداومة اللذات واستماع الأغاني

ومواصلة المسرات ، والرغبة في الراحة ، واطراح ما يوجب التعب والمشقة ، والحب للنقش  
والصورة والرقيم والتلوين بالأصباغ ، وعلى قلة الضجر في السفر ، وترك المخالفة لمن  
يصاحبون ، وكثرة المبالغة لمن يألفون ، وحسن المؤازرة لمن يستخدمهم ، ومحبتهم للغرباء  
والمسافرين ، والمواظبة على مسرتهم وسرورهم ومنفعتهم ، وتركهم للحسد لمن يحبونه ،  
والعتب على زلته ، ويمدح - ونه ويفضونه ، ويلومون أنفسهم في التقصير عن إخوانه وما  
يستحقه ، والقيام بذلك .

وكان معظم اعتماد السكان في معاشهم ، وفي مأكلهم ومشربهم بوجه خاص على ما يأتيهم  
من خارج جزيرتهم ، اذ لم يكن لديهم من أنواع المأكّل غير ما يصيدون من أسماك أو  
طيور ، أما بقية الماء كولات وخاصة القمح والشعير والفواكه فقد كانت تحملها إليهم السفن  
الوافدة من الشام أو من إقليم مصر والصعيد والاسكندرية ، وكانت هذه السفن ترد - كما  
يقول المؤلف - بأنواع الخيرات من الفواكه وغيرها .

وأما الماء فكان يحمله إليهم الفرع التنيسي وكانوا يدخرونه في موسم الفيضان في  
جباب وصهاريج ومصانع معدة لذلك ، وكانت بالمدينة دواليب تنقل الماء وقت زيادته الى  
مصانع المدينة وحماماتها ، وقد أحصى المؤلف هذه المصانع ووصفها بقوله : « وبتنيس  
مصنعتان عظيمتان ، تنسبان الى عمر بن حفص ، مكشوفتي السقوف ، والغربي منها أحد  
وعشرون بيتاً ، والشرقي ثمانية عشر بيتاً ، ومصنع مسقف وسط المدينة بناه عبدالعزیز  
الجرّوي ، ينقل إليه الماء على دولا بيشتمل عليه ستون قادوساً مدة شهرين كاملين بلباليها  
يسع كل قادوس في تفریفة في يوم وليلة ألف جرة ، ملء كل جرة أقساط من ماء ،  
فيكون هذا المصنع ثلاثة ألف ألف جرة وستائة جرة ... ولا ين طولون ثلاث  
مصانع ، أحدها بالقرب من السوق ، والآخر في زيادة الجامع . ثم أردف المؤلف انه  
كان له مصنع خاص به في المدينة ، قال : « ولكاتب هذا مصنع آخر دون هذا » .

ولأول مرة نجد مؤلفاً عربياً يقدم إحصاءاً للسكان ، ويبيّن تقديره على أساس علمي ،

فقد أورد ابن إسام في مخطوطته هذه عدد أراب القمح والشعير والتقطاني التي يستهلكها سكان تنيس في اليوم وفي السنة ، وعلى أساس هذا التقدير استنتج أن السكان كانوا خمسين ألفاً ، ولكنه شأن العالم المحقق استدرك فقال إن هذا الرقم قد لا يكون دقيقاً ، وأنه قابل للزيادة والنقصان لأن بعض الحماكة من سكان المدينة قد يدخرون الخبز المجفف لفصل الشتاء ، ولا يعتمدون على الدقيق الذي يطحن كل يوم ، قال : « وقد يزيد على ذلك زيادة تقل وتكثر ، مع اختلاف السنين ، لأن الحماكة يصلحون من الخبز الجريش المجفف في الشمس ما يدخرونه للشتاء وقصر النهار ، فيستغنون عن طحنه . »

#### مصر مدينة تنيس منذ فخرت الى الآن :

هذه هي أهم محتويات القطعة المخطوطة التي وصلتنا من كتاب « أنيس الجليس في تاريخ مدينة تنيس » لابن إسام المحتسب التنيسي ، أما المدينة نفسها فقد رأينا كيف أمر السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب في سنة ٥٨٨ ( ١١٩٢ م ) باخلائها من السكان وألا يبقى فيها غير المقابلة للدفاع عنها ، وكيف أمر السلطان الملك الكامل محمد في سنة ٦٢٤ هـ ( ١٢٢٦ م ) بهدم المدينة وتخريبها حتى لا ينزل بها الصليبيون ، فقد كانوا حينذاك على أهبة الاستعداد للهجاء الى مصر بحملة جديدة وانتهى هذا الاستعداد برسالة الحملة الصليبية الخامسة في سنة ٦٣٠ ( ١٢١٩ م ) بقيادة جازدي برين ، فنزلت على دمياط ثم منيت بالفشل - وهكذا تلاشت من الوجود مدينة من أكبر مدن مصر الصناعية والحربية في العصور الوسطى ، وبقيت أنقاضها واطلالها تتحدث عن مجدها الفاير وعزها الدائر ، وسكت المؤرخون والرحالة والجغرافيون والأثريون الذين كتبوا بعد النصف الأول من القرن الثالث عشر عن التحدث عنها أو الإشارة إليها ، ولا نكاد نجد لها ذكراً الا في بعض كتب الرحالة الاوربيين الذين زاروا مصر أو مروا بها ، فمن هؤلاء فرانكولو دا كوربتزو Franicolo da Corpizzo - ويفهم مما ذكره في رحلته أن المدينة أثناء زيارته لها في سنة ١٣٤٥ م ( القرن الثامن الهجري ) لم يكن بها غير القلعة تقيم بها حامية للدفاع ،

فقد ذكر أنه دفع لقائد هذه الحامية ضريبة عن نفسه وعن أصحابه . وفي سنة ١٤٢١ (ق . ٩٠ هـ) زار المدينة الرحالة جليبرت دي لانوى Jillebert de Lannoy فلم يجد بها إلا أنقاضاً وصفها في رحلته .

ومن المؤسف حقاً أن أطلال هذه المدينة ظلت نهياً مشاعاً للصيادين في بحيرة تنيس (المنزلة) من سكان القرى الأخرى المطلة على هذه البحيرة مثل المطرية والمنزلة وغيرها ، يسطون عليها للبحث عما بين جدرانها من نفائس ، ولنقل أنقاضها من أحجار وطوب وأخشاب ورخام ليستعملوها في إقامة المباني الجديدة بهذه القرى .

ولقد التفتت مصلحة حفظ الآثار العربية في مطلع هذا القرن الى أهمية هذه الأطلال فأرسلت في مارس سنة ١٩١٠ أحد مفتشيها من مهندسي المصلحة وهو المهندس الايطالي باتروكلوا Patricolo<sup>(١)</sup> لزيارتها وقد كتب تقريراً باللغة الفرنسية عن هذه الزيارة نشر في كراسات هذه اللجنة (مجموعة سنة ١٩١١) ، وذكر في هذا التقرير أنه لم يعد بين هذه الأطلال ما يستحق الدراسة غير أنقاض قلعة المدينة ، وغير ما بها من صهاريج للماء ، وقد درس هو خلال هذه الرحلة بقايا أربعة من هذه الصهاريج ووصفها وصفاً معيارياً أثريا وأرفق بتقريره عدداً من اللوحات لبيان قطاعات هذه الصهاريج .

وقال محمد رمزي في القاموس الجغرافي للبلاد المصرية (ج ١ ص ١٩٨) : « وبالبحث تبين لي أن الجزيرة التي كانت بها مدينة تنيس لا تزال موجودة الى اليوم ببحيرة المنزلة ومعروفة بجزيرة تنيس ، وبها بعض بقايا من الطوب الأحمر المخلف من مبانيها القديمة »  
وأخر من زار تنيس فيما نعلم هو الأستاذ تقولا يوسف - أحد أبناء دمياط - فقد قام في سنة ١٩٥٢ بجولة في بحيرة المنزلة وفي الجزر المتناثرة فيها والمدن المطلة عليها ، وكتب وصفاً لرحلته هذه في جريدة « أخبار دمياط » وأهم ما جاء في هذا الوصف قوله : « وماذا

(1) Patricolo (A) . = Rapport sur les Citernes de Tell Tinnis , dans le Lac Manzaleh , dans : ( Comité de Conservation des Monuments de l' Art Arabe . Exercice 1910 Fas - Nvii , re Caire 1911 . p. 65 - 68 ) .

يلقى الجائل اليوم بتنيس غير كشيان الرمال وقد تشربت بمياه المطر فتركت طبقات هشة  
تكسو وجه الأرض وغير أكمات وتلال فاتحة اللون يعلو بعضها بضعة أقدام والبعض  
الآخر بضعة أمتار ، تطوى تحت تراها بقايا المدينة العظمى وذكرياتها .. » الى أن يقول :  
« ولن يعثر الباحث الا على قطع من الخزف هنا وحطام صهريج هناك »

ولكن الجدير فيما كتبه قوله إن حريقاً شب في مدينة المطرية في سنة ١٩٠٧ ففضى  
على معظم مبانيها ، فاضطر سكانها أن يلجأوا الى جزيرة تنيس ينقلون من أحجارها  
وانقاضها ليعيدوا بها بناء منازلهم ، قال الاستاذ نقولا يوسف :

« وكان معنا في القارب شيخ من أهل المطرية سمعنا نتحدث عن تنيس فراح يقص  
علينا شيئاً من ذكرياته ، قال : كانت جزيرة تنيس إلى عهد قريب مليئة بالانقاض والحطام ،  
وكانت تلك البقايا والانقاض مهمة لا رقيب عليها ولا حسيب ، يعبث بها ويحمل منها كل  
من يشاء خلسة بالليل أو جهاراً بالنهار ، ثم وضعت الحكومة بعض الخفراء لحراسة تلك  
الانقاض ، غير أن ذلك لم يحل بين سكان المدن المجاورة من أن يعبروا البحيرة إليها كل يوم  
ويحملوا في سفنهم الانقاض والأحجار والآجر والرخام الى حيث تباع أو تستخدم في بناء  
البيوت ، وكان أن شب عام ١٩٠٧ حريق كبير أودى بمدينة المطرية ، فعمد سكانها الى نقل  
الانقاض من تنيس للاستعمانة بها في بناء بيوت جديدة في مدينتهم حتى خلت الجزيرة من  
كل أثر اللهم إلا من سرداب طويل كان فيما مضى صهريجاً من صهاريج تنيس الكثيرة  
لخزن الماء .. »

وبعد فما قصدت بهذا البحث إلا التنويه بهذه المخطوطة القديمة وأمثالها من كتب  
البلدان باعتبارها مصادر ذات قيمة كبرى لعلماء الآثار ، والالتنبه الأذهان الى هذه  
المدينة المصرية المندثرة ، وحبذا لو عنى علماء الآثار العربية في ج . ع . م . بارسال بعثة للحفر  
في أطلال هذه المدينة ولدراسة ما بقى منها على ضوء هذا الوصف الجغرافي الذي أمدنا به  
صاحب « أنيس المجلس في أخبار تنيس » .

## القسم الثاني

كتاب أنيس الجليس في أخبار تبس

تأليف الإمام العالم العلامة الأديب الحافظ شمس الدين محمد بن الشيخ شهاب الدين أحمد المعروف بابن بسام المحتسب التنيسي، رحمه الله، أمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صلّ على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

ذكر الشيخ شمس الدين محمد بن أحمد بن بسام التنيسي المحتسب العالم بتنيس - كان - رحمه الله في كتابه المصنف في وصف تنيس :

أنها من الإقليم الرابع ، لصحة هوائها ، ورقّة طبائع أهلها وصنائعهم .  
وأن الميت بها لا تفسد جثته سريعاً ، ولا يتساقط شعره عن جسمه .

وأن أكثر من يعمل بها الأمتعة يأكلون الأسماك والأطعمة الزفرة ولا يفسلون أيديهم ، ويعودون إلى رقبهم ونسجهم ولا يُشَمُّ فيه من روائح تلك الزهومات شيء ، بل يطيب نسمة ، ويستلذ نشره ، وذلك الدليل على صحة الهواء ، وقلة الوباء .

وهم يدخرون ماء النيل عندهم عند صفائه في جباب لهم مستعدة .

وطول هذه المدينة من جهة الشمال - وهي البحرية - وإلى جهة الجنوب - وهي القبليّة -

من الباب المعروف بباب القُرْط ثلاثة آلاف ذراع ومائتا<sup>(١)</sup> ذراع وسبعة وعشرون ذراعاً بالذراع الكبير الذي طوله أربعة وعشرون إبهاماً .

(١) الاصل : « مائتي »

وَعَرَّضُهَا مِنَ الْبَابِ الصَّغِيرِ إِلَى الْبَابِ الْمَعْرُوفِ بِدِيرْنِيَّةٍ ثَلَاثَةَ آلَافٍ وَخَمْسَةَ وَثَمَانُونَ ذِرَاعًا بِالذِّرَاعِ الْمَقْدَمِ ذَكَرَهُ .

وَذَرَعُ سُورِهَا ثَلَاثَةُ آلَافٍ ذِرَاعٍ وَمِائَتَانِ وَخَمْسَةَ وَثَمَانُونَ ذِرَاعًا ، يَكُونُ ذَلِكَ مِنَ الْأَمْيَالِ مِيلًا وَنِصْفَ مِيلٍ وَثَمَنِينَ مِيلًا وَنِصْفَ عَشْرٍ ثَمَنِينَ مِيلًا .

وَعَدَدُ أَبْوَابِ هَذِهِ الْمَدِينَةِ - أَبْوَابِ السُّورِ الَّتِي يُدْخَلُ مِنْهَا وَيُخْرَجُ - تِسْعَةٌ عَشْرَ بَابًا ، وَاحِدٌ مِنْهَا مُصَفَّحٌ بِنَحَاسٍ ( ٧١ ) وَمَا سِوَاهُ مُصَفَّحٌ بِالْحَدِيدِ . وَقَنْطَرَتَانِ يَسْلُكُ تَحْتَهُمَا إِلَى مِينَاءَيْنِ ، لِكُلِّ مِينَاءٍ مِنْهَا بَابٌ مُصَفَّحٌ بِالْحَدِيدِ يَمْنَعُ مَنْ يُرِيدُ أَنْ يَدْخُلَهُ أَوْ يُخْرَجَ مِنْهُ بِغَيْرِ إِذْنٍ .

وَجَمِيعُ مَسَاجِدِهَا وَمَحَارِبِهَا الدَّاخِلَةِ فِيهَا وَالخَارِجَةِ مِنْهَا سِوَى الْجَامِعِ مِائَةٌ وَسِتُونَ مَسْجِدًا .

وَأَمَّا الْجَامِعُ فَطَوَّلَهُ مِنْ جِهَةِ الْقِبْلَةِ إِلَى جِهَةِ الْبَحْرِ مِائَةً وَاثْنًا (١) عَشْرَ ذِرَاعًا ، وَعَرَضَهُ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ إِحْدَى وَسَبْعِينَ ذِرَاعًا ، وَطَوَّلَ زِيَادَتَهُ الْمَلَاصِقَةَ لَهُ وَالْمَسَافَةَ إِلَيْهِ سَبْعِينَ ذِرَاعًا ، عَرَضُهَا تِسْعَةٌ وَعِشْرُونَ ذِرَاعًا . وَيُوقَدُ فِيهِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ ثَلَاثَةَ آلَافٍ مِصْبَاحٍ وَمِائَةٌ مِصْبَاحٍ ، وَمِائَتَانِ وَخَمْسُونَ شَمْعَةً . وَكَانَ يُوقَدُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ فِيهِ أَلْفَانِ وَثَمَانِمِائَةٍ مِصْبَاحٍ .

وَفِي كُلِّ مَسْجِدٍ مِنْ مَسَاجِدِهَا مَنَارَةٌ .

وَكَانَ بِهَا - يَعْنِي بِتَنْبِيسٍ - مِنَ الْكِنَائِسِ اثْنَتَانِ وَسَبْعُونَ كَنِيسَةً إِلَى أَنْ أَمَرَ بِهَدْمِهَا الْحَاكِمُ بِأَمْرِ اللَّهِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَجَعَلَ عَوَضَهَا مَسَاجِدَ .

وَبِهَا مِنَ الْفَنَادِقِ وَالْقِيَاسِرِ خَمْسُونَ سِوَاءَ . ثُمَّ بَنَى فِي سَنَةِ خَمْسَةِ وَأَرْبَعِمِائَةٍ سِتَّةَ أَدْرٍ لِلتَّجَارِكِبَارِ فَصَارَ الْجَمِيعُ سِتَّةً وَخَمْسِينَ مَوْضِعًا .

وَبِهَا مِنَ الْحَوَانِيتِ أَلْفَانِ وَخَمْسِمِائَةٍ حَانُوتٍ .

(١) الْأَصْلُ : « اثْنَى »

وبها مائة معصرة ، أعداد رجالها مختلفة ، وأقلهم اثنان وأكثرهم عشرون .  
وبها من الدكاكين التي يباع بها البزُّ وأنواع الثياب مائة وخمسون دكاناً .  
وبها من الأرحية - يعني الطواحين - مائة وستون ، فيها ما يشتمل على مدار ،  
ومنها على مدارين ، ومنها ما يشتمل على خمسة أحجار مقشرة ومعجنة .

وبها من الحمامات ستة وثلاثون سوى ما يتخصص بها أهلها في دورهم .  
وبها من المناسج التي تعمل فيها الثياب خمسة آلاف منسج : عدد عمالها عشرة آلاف  
نفس سوى من يُطَيَّب أو يُرَقِّم من ذكر أو أنثى ، عدد ما فيها من الأسفاط ألف  
وخمسة سفاط ، ومن الرزم الف رزمة . ويرسم خزانة السلطان أربعمائة سفاط فيها من  
الأمثلة ما لا يرى مثله : ثياب مذهبة على هيئة المخيطة منسوجة ، الثوب الواحد بألف  
دينار ومناديل ، المنديل بخمسة دينار ، ومراتب : المرتبة بألف دينار ومطارد ومقاطع  
ومفارش وستور مُخَمَّل ومُعَيَّن وسقلاطون كديقي ومُصَمِّمَت ديبقي وعَتَّابِي  
وما لا يمكن وصفه .

وبالربض الدائم بسور المدينة مما يلي الغرب : الصناعة ، ودار الامارة ، وبينها حمامات  
للرجال ، وعرضتان عظيمتان<sup>(١)</sup> يرد إليها ما يُحمل من البلدان القريبة والبعيدة .  
وفي الربض الآخر : الديوان الكبير ، ويشتمل على عدة دواوين وفيه دواليب تنقل  
الماء وقت غيوبه<sup>(٢)</sup> وزيادته إلى مصانع هذه المدينة وحماماتها ، وفيها مطاحن جَبَس ،  
ومواقد جير ، واصطبل السلطان .

وفي الربض القبلي دواليب لنقل الماء الى المصانع والحمامات ، وفيه أخصاص كبيرة  
لا تُحصى ، وفيه ديوان السمك ومخازن الأضياد ، وبالقرب منه أراض تنبت الملح الذي  
يفوق بضائته وعدوبته (٧٢) كل ملح وبكثرتة .

(١) الاصل : « عرضتين عظيمتين »

(٢) كذا في الاصل ، ولعل المقصود « غيوبه » أي زيادته

وفي الربض الشرقي دوايب تنقل الماء إلى المصانع <sup>(١)</sup> والحمامات .  
وفي الربض البحري مساجد ، وكنائس ، ومقارن لتبييض الأمتعة ، وحجارة منقوشة  
لضربها - يعني الثياب - ونقائها ، كثيرة ، وهدف لارمات ، ومصليان ، أحدهما لجنائز الموتى  
والآخر لصلاة العيدين . .

وبها من المراكب الموسومة لصيد السمك في البحيرة المختلفة الأسماء ، مثل : الجرافات  
والانكبارات والعينات والسد والطراحين والجراجن والباريات ومراكب الترعَة والفلاحين  
والطباخين ومراكب القود والدق ومراكب المضارب ومراكب القرنديس ومراكب  
اللبانين ومراكب الدور وثلاثمائة مركب واثنان وسبعون <sup>(٢)</sup> مركباً وأكثر ما يحمل  
المركب منها ستون رجلاً ، وأقله ثلاثة رجال . وقد تصيد هذه المراكب في بعض الأوقات  
ما يباع بمائة دينار وأكثر .

#### أسماء الأسماك بها :

البوري ، البلبل ، البلبس ، اللبت ، البرو ، الاراث ، النسا ، الشكين ، الطوبار ، القلادف ،  
البلل ، البلطي ، الإبليل ، القشمار ، الزنج ، الاكلت ، القونج ، القجاج ، الدونيس  
الثقسط ، القرقراج ، اللاج ، الحيار ، التون ، الأحناش ، الانكليس ، المقيثة ، الخف ،  
اللات ، الحبالا ، الماص ، المشط ، القنا ، حوت الحجر ، السنور ، الراي ، الابرميس ،  
اللبيس ، سيف الماء ، حداة الماء ، الشطون ، اللجا ، القرش ، الحسة ، كلب الماء ، السرطان  
التمساح ، السنوب ، الصبح ، أم الأسنان ، الدلقين ، العميان ، النسانس ، الرعاد ،  
البلستين ، الاقونس ، القنديل ، الحجر ، الليف ، الحلبوه ، القماريس ، الآبنوس ، القرنديس ،  
الديليس .

وظهر بتنيس في أيام ابن أبي الريش حوت طوله ثمان وعشرون ذراعاً ونصف ، بلا  
قشر ولا صدف ، لونه أسود ، وبطنه أبيض ، طول رأسه ستة أذرع ونصف ، وعرض

(١) جمع مصنعة وهي المزان أو الصهرج يتخذ لحن المياه .

(٢) في الأصل : واثنان وسبعين .

طرف ذنبه خمسة أذرع ، ومحمل إلى الحضرة ، وكان المملح له يدخل في فيه قائما غير منحني .

والذي يجب عن مصايد هذه السموك في كل سنة خمسون ألف دينار .  
وفي هذه البحيرة أطيار تأتيها في أوقات مختلفة حتى أن منها ما قد شوهد بالمشرق ،  
ومنها ما قد شوهد بالمغرب ، وفي بلاد الروم وغير ذلك . والدليل على ذلك أنها توجد عند  
صيدها هزلا ثم تسمن إذا أقامت في هذه البحيرة .

### أسماء الطيور بها :

الجراد ، الصرد ، الحسيني ، الصدا ، السنة ، أبو الحنا ، برقع أم علي ، برقع أم حبيب ،  
القمرى ، درندر مالي ، الراهب ، الشماس ، الخضير ، الصقر ، الهدهد ، وارية الليل ، وارية  
النهار ، البلسنير ، الضريس ، الأطروش الشامي ، البصبص ، الأخضر ، أم السمان ، أم المرتجة ،  
صدر النحاس ، أبو سار ، أبو كلب ، ديك الكروم ، القرافير ، القطاس ، الأوز ، البط ،  
البعصص ، الأزرق ، رقشة حمراء ، رقشة زرقاء ، الزرزور ، الخفاش ، الراغ ، الغراب ،  
الأبقع ، كسر اللوز ، كسر الجوز ، الدبس ، الغابة ، الصقر ، الفحيمى ، الحدأة ، الحملة ،  
السلسلة ، البوم ، الواق ، الهام ، الباشق ، الشاهين ، السمان ، المرعة ، السلوى ، الملوخ ،  
البرير ، الرخمة ، الليش ، البرنسى ، الزجاجي ، أبو فيروز ، القرط ، البون ، الشراشير ،  
اللفات ، البشروش ، البط البري ، البلجون ، أبو قلمون ، الكروان البحري ، الكروان  
الجرفي ، القرلا ، الحروطة ، الحصفة ، الحمراء ، البوشة ، اورث ، المطون ، السهيككة البيضاء ،  
فارية ، جوحه ، بليقا ، اربوحية ، بطميس ، تيلاو ، سكسة ، المجنونة ، الرفادة ، السقس ،  
قرد مصر ، الوطواط ، البجع ، الكركي ، العريض ، الخطاف ، الخرطوم .

ومن المصافير التي تميز أهلها وتحمل عنهم ما يصيد بقضبان الدبق . وعدة المراكب التي  
تصاد بها الطيور وتعيش من كسبها مائة وثلاثة عشر مراكبا . وعدة ما يرد من القوارب  
والكائم والعشاريات الصادرة من تواصل الشام إليها في كل سنة خمسمائة قارب أكثرها  
ترد في الصليبية والربيعية .

ويرد (١) من اقليم مصر والصعيد والاسكندرية وأقصى الريف ما لا يضبط عدده لكثيرته ، ترد بأنواع الخيرات من الفواكه وغيرها .

وبتنيس مصنعتان عظيمتان (٢) تنسبان إلى عمر بن حفص ، مكشوفنا (٣) السقوف ، والغربي منها أحد وعشرون بيتا ، والشرقي ثمانية عشر بيتا . ومصنع مسقف وسط المدينة بناه عبدالعزيز الجروي ينقل إليه الماء على دولاب يشتمل عليه ستون قادوسا مدة شهرين كاملين بلياليهما ، يسم كل قادوس في تفرغته في يوم وليلة ألف جرة ، ملء كل جرة أقساط من ماء ، فيكون هذا المصنع ثلاثة آلاف ألف جرة ، وستائة جرة .  
ولكاتب هذا (٢) مصنع آخر دون هذا .

ولابن طولون ثلاثة مصانع ، أحدها بالقرب من السوق والآخر في زيادة الجامع . والذي يحتاج اليه أهل تنيس من القوت في كل سنة من الحنطة والشعير والقطاني مائتا ألف أردب . ووجدنا البيدار الفارسي يطحن في كل يوم وليلة ستة أردب وكل أردب ستة وتسعون قدحا وإذا ضربت هذه الأقداح في جميع ما يطحن من الأردب والوبيات ، وأعطى لكل إنسان قدح واحد (٥) لقوت يومه كان شحنة البلد خمسين ألفا ، وقد يزيد على ذلك زيادة تقل وتكثر مع اختلاف السنين لأن الحماكة يصلحون من الخبز الجريش المجفف في الشمس ما يدخرونه لشتاء وقصر النهار فيستغنون عن طحنه .

ولا يوجد في خبزها ولا برها ولا في أرضها ولا في بنائها شيء من الحيوان المهلك والديب المؤذي .

وطالع تأسيس هذه المدينة برج الحوت وصاحبه المشتري السعد الأعظم ، وصاحب الشرق الزهرة ، ولذلك كثر طرب نفوس أهلها وفرحهم ، ورغبتهم في مداومات اللذات ،

(١) الأصل : وما يرد .

(٢) الاصل : « مصبغتين عظيمتين »

(٣) الأصل : مكشوفي .

(٤) هذه إشارة لها أهميتها لأنها تؤكد أن المؤلف من أبناء مدينة تنيس .

(٥) الاصل : قدحا واحدا .

واستماع الأغاني ومواصلة المسرات ، ( ورقة ٧٤ ) والرغبة في الراحة ، واطراح ما يوجب التعب والمشقة ، والحب للنقش والصورة والرقم والتلوين بالأصباغ ، وعلى قلة الضجر في السفر ، وترك المخالفة لمن يصاحبون ، وكثرة المبالغة لمن يألفون ، وحسن المؤازرة لمن يستخدمهم ، ومحبتهم للغرباء والمسافرين ، والمواظبة على مسرتهم وسرورهم ومنفعتهم ، وتركهم للحسد لمن يحبونه والعتب على زلته ، ويمدحونه ويفضلونه ، ويلومون أنفسهم في التقصير عن اخائه وما يستحقه والقيام بذلك .

وطول البحيرة أربعون ميلاً بما تدور ، مجاريها كلها قريبة إلا مجرى يُسْتَمَانَة فإنه غريق سحيق نحو الثلاثين باعاً . وأكثر عمق البحيرة كلها قامة لا تجاوزها إلا هذا الموضع . وبنت هذه المدينة تَنْسِيَس بنت صاين تدارس أحد ملوك القبط . وكانت البحيرة آجنة وخليج يخترقها من ماء النيل من ضياع عامرة وزروع متوافرة إلى أن غلب عليها البحر الملح وقد تزايد وهاج فهجم من فم الأشتوم على أراضيها وعمائرها ففرقت ، فما كان من أرضها مستغلا هلك وعلاه البحر ، وما كان على كوم مثل تنيس وتونة وغيرها مما هو باق لم يعله الماء وبقي على حالته .

وكان ذلك الغرق قبل الإسلام بمائة سنة . وقد ذكر المسعودي في كتابه « مروج الذهب » بنفذ البحار إلى القفار ، وقد شاهدنا في عصرنا من ذلك ما دلّ على صحة قوله ، وما استبحر في طريق الجفار من مواضع كانت قفراً فصارت بحراً ، وذلك تقدير العزيز العليم . وزعم أهل الأثر أن بحيرة تنيس التي قال الله تعالى فيها : « فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرْوِشِهَا » الآية . وذلك أنها كانت بساتين ومنتزهات مقسومة بين اثنين أخوين مؤمنين وكافر ، فأنفق المؤمن من ماله في البرّ والصدقات ، وبقي الكافر ملياً غنياً . فخاطبه المؤمن يوماً من الأيام ، فاستطال عليه وسطاً ، وقال : « أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا » . وكان مصب النيل إلى البحر بين ضياعها فارتجّ البحر في الليل رجّة دخلت أمواجه من الأشتوم ففرق كل مستغلا وأرضها ، وما كان منها عالياً على ظهر كوم أو رهم من الأرض بقي ، وذلك قبل الإسلام بثلاثمائة وخمسين عاماً .

صالح الدين السبيل

# التراث الجغرافي اللغوي عند العرب

للكنوز عبد بن نضار

كان الشاعر العربي القديم ابن بيئته البار، أقام فيها فأحبها وأذابها في وجدانه . وانتقل عنها فلم ينسها ، ودأب على ذكرها والوقوف والاستيقاف عليها كلما مرّ بها . واتخذ منها ملهما لأفكاره ، ومنبعاً لصوره ، وموضوعاً لوصفه . وتغنى بها - على قسوتها عليه أحياناً - وردد أسماء البقاع التي شاهدت فترات من حياته ، متتبِعاً مستقصياً ، كما فعل الحارث بن حلزة ، حين قال في معلقته :

أَذَنْتُنَا	ببَيْنِهَا	أَسْمَاءُ	رُبَّ ثَاوٍ يُمَكِّلُ	مِنْهُ	الثَّوَاءُ						
بَعْدَ	عَهْدٍ	لَنَا	بِبَرْقَةٍ	كَشْمَا	ءَ فَاذْنِي	دِيَارَهَا	الْخُلُصَاءُ				
فَالْحَيَاةُ	فَالصَّمَّاحُ	فَاعْلَى	ذِي	فَتَاقٍ	فَعَاذِبُ	فَالْوَفَاءُ					
فَرِيَاضِ	الْقَطَا	فَأُودِيَةِ	الشُّرِّ	بِ	فَالشَّعْبَتَانِ	فَالْأَبْلَاءُ					
لَا	أَرَى	مِنْ	عَهْدَتِ	فِيهَا	فَأَبْكِي	الْيَوْمَ	دَلَهَا	وَمَا	يَرُدُّ	الْبُكَاءُ	!

وكان ذلك الشاعر مخلصاً لبيئته ، يحب أن يعود إلى صورتها الكاملة بجميع أبعادها وأن ينقلها إلى من يتغنى لهم ومعهم بتلك الأبعاد ، فلم يرضن عليهم بشيء ، يزيد صورتها تحديداً وكالاً . فعمد زهير إلى رسم الطريق الذي سلكته محبوبته في رحلتها في وادي

السوبان ، والجانب الذي مالت إليه منه ، إذ قال في معلقته :

ظهرن من السوبان ثم جزعنه      على كل قَيْنِي قَشِيب ومفأم  
ووركن في السوبان يعلون متنه      عليهن دلُّ الناعم المتنعم  
وعمد امرؤ القيس إلى الموضع الذي يريد التحدث عنه ، فشفى كل نفس من تحديده

حين قال :

قفا نيك من ذكرى حبيب ومنزل      بسقط اللوى بين الدخول فحومل  
فتوضح فالمقراة ، لم يعف رسمها      لما نسجتها من جنوب وشمال  
وُعرف امرؤ القيس خاصة بميله الى تحديد مواقع البقاع التي يتحدث عنها ، وقدرته على ذلك ، حتى رويت في ذلك القصص التي - صحت أو لم تصح - لا تفقد دلالتها على اشتها ذلك الجانب عند الشاعر .

حدث إسحاق بن إبراهيم الموصلي أنه أقبل قوم من اليمن يريدون النبي ﷺ ففضلوا الطريق . ومكثوا ثلاثة أيام لا يجدون الماء . وجعل الرجل منهم يستروي بفيء السمُر والطَّلح حتى أيسوا من الحياة ، إذ أقبل راكب على بعيره ، فأنشد بعضهم :

ولما رأت أن الشريعة همها      وأن البياض من فرائصها دامي  
تيممت العين التي عند ضارج      يفيء عليها الظل ، عر مضها طامي  
فقال لهم الراكب - وقد علم ما هم عليه من الجهد - : « من يقول هذا ؟ » قالوا :  
« امرؤ القيس » . قال : « والله ، ما كذب ، هذا ضارج عندكم » . وأشار إليه . فاذا  
ماء عذب وعليه العرمض - الطحلب الذي على الماء - والظل يفيء عليه فشربوا منه ريهم ،  
وحملوا منه ما كفاهم (١) .

واتخذ كَيْل (٢) Iyall من هذه الظاهرة دليلا على صحة الشعر الجاهلي وصحة نسبه  
إلى قائله .

(١) ياقوت : معجم البلدان ٤٦٠/٣ .

(٢) مقدمة طهته لديوان عبيد بن الأبرص ١٣ .

وظهر اللغويون الذين عنوا بالشعر رواية ودراية ، وحاولوا تفسير جميع جوانب ذلك الشعر ليتضح أمام القراء الجدد الذين ما كانوا يعرفون مناسباته ، ولا كثيراً من ألفاظه وإشاراتِه ، لطول العهد بينهم وبين قائله ، وللبعد بينهم وبين اللغة التي نظم بها .  
فكان من الجوانب التي عنوا بها البقاع المذكورة في الشعر ، فعاملوا أسماءها معاملة لهم لغيرها من الألفاظ ، وبالطريقة التي عاملوه بها ، وفي ذلك الوقت المبكر الذي عنى اللغويون فيه بألفاظ الشعر .

وكان ذلك أمراً لغوياً ، يقوم به لغويون ، بهدف لغوي ، ومنهج لغوي . ولا يحس القائمون به أنهم يعالجون شيئاً بعيداً عن اللغة .

ولكن ذلك الميدان لم يبق طويلاً خالياً للغويين وحدهم ، بل ما أسرع ما وجدوا معهم جماعات تعالج تلك الأماكن ، وغيرها من البقاع التي لم يسمع عنها اللغويون ، معالجة مختلفة اختلافاً كبيراً في الهدف والمنهج . فما كانوا يعنون بدراسة اللغة العربية ، بل كان بعضهم يعنى بدراسة الأخبار والأحداث العربية ويسمون أنفسهم الأخباريين والمؤرخين . وكان بعضهم الآخر يدرسون البقاع العربية وغيرها من البقاع من أجل التعريف بها ، ويسمون أنفسهم الجغرافيين ، وأصحاب المسالك والممالك ، أو تقويم البلدان .

وقد تنبه القدماء أنفسهم إلى المغايرة بين اللغويين والجماعة الأخيرة خاصة ، لأن المؤرخين عنوا بالمواضع كقدمات لدراساتهم التاريخية . فلم تسلط الأضواء إلا على اللغويين والجغرافيين ، الذين اعتمد عليهم ياقوت في معجم بلدانه العظيم ، ونبه في مقدمته إلى الفروق بين الفريقين حين قال <sup>(١)</sup> : « صنف المتقدمون في أسماء الأماكن كتباً وبهم اقتدينا وهي صنفان : منها ما قصد بتصنيفه ذكر المدن المعمورة والبلدان المسكونة المشهورة ، ومنها ما قصد به ذكر البوادي والقفار ، واقتصر على منازل العرب الواردة في أخبارهم والأشعار . فأما من قصد ذكر العمران لجماعة وافرة ، منهم من القدماء والفلاسفة والحكام أفلاطن وفيثاغورس وبطليموس وغيرهم كثير من هذه الطبقة ، وسموا كتبهم في ذلك

(١) معجم البلدان ٦/١ .

جغرافيا ... وقد وقفت لهم منها على تصانيف عدة جهلت أكثر الأماكن التي ذكرت فيها ، وأبهم علينا أمرها ، وُعدمت لتطاول الزمان فلا تعرف ، وطبقة أخرى إسلاميون سلكوا قريباً من طريقة أولئك من ذكر البلاد والممالك ، وعيّنوا مسافة الطرق والمسالك ، وهم ابن خرداذبه وأحمد بن واضح والجيّهاني وابن الفقيه ... وأما الذين قصدوا ذكر الأماكن العربية والمنازل البدوية فطبقة أهل الأدب ، وهم أبو سعيد الأصمعي ، وأبو عبيد السكوني ، والحسن بن أحمد الهمداني ... وأبو الأشعث الكندي ... وأبو سعيد السيرافي . وأبو محمد الأسود الغندجاني ... » .

وحديثي في هذا المقال قاصر على الذين سماهم ياقوت طبقة أهل الأدب ، أو الذين عالجوا أسماء الأماكن معالجة لغوية أدبية .

وأقدم من أعرف من هذه الطائفة خلف الأحمر ، المتوفى في حدود سنة ١٨٠ هـ . فقد قيل إنه ألف كتاباً بعنوان « جبال العرب وما قيل فيها من الشعر <sup>(١)</sup> » . وينافسه في القدم أبو الوزير عمر بن مطرف ، المتوفى في عهد الرشيد ١٧٠ - ١٩٣ <sup>(٢)</sup> . فقد نسب إليه كتاب « منازل العرب وحدودها ، وأين كانت محلة كل قوم ، وإلى أين انتقل منها <sup>(٣)</sup> » . والكتابان مفقودان ، ولم أعثرفيما رجعت إليه من كتب على نصوص يصرح أنها مقتبسة عنها .

وينسب إلى أبي المنذر هشام بن محمد الكلبي ، المتوفى في سنة ٢٠٤ ، عدة كتب من هذا النوع . ذكر ابن النديم <sup>(٤)</sup> منها البلدان الكبير ، والبلدان الصغير ، وقسمة الأرضين ، والأنهار ، ومنازل اليمن ، وأسواق العرب ، والأقاليم ، والحيرة وتسمية البيع والديارات ونسب العباديين ، وتسمية ما في شعر امرئ القيس من أسماء الرجال والنساء وأنسابهم وأسماء الأرضين والجبال والمياه .

(١) ابن النديم : الفهرست ٥٠ . القفطي : إنباه الرواة ١/٣٥٠ . السيوطي : بنية الوعاة ٢٤٢ .

(٢) وقيل إنه مات في عهد المهدي ١٥٨ - ١٦٩ هـ .

(٣) ابن النديم : الفهرست ١٢٧ . ياقوت : معجم الأدباء ١٦/٧٢ .

(٤) الفهرست ٩٧ . وعنه ياقوت : معجم الأدباء ١٩/٢٩١ .



وألف أبو عبيدة ، المتوفى في ٢٠٨ هـ ، كتاب الحرات <sup>(١)</sup> ولم يورد البكري ولا ياقوت شيئاً منه في حديثها عن الحرات .

وألف أبو زيد الأنصاري ، المتوفى في ٢١٥ هـ ، كتاب المياه <sup>(٢)</sup> . ولم أجد نصواً يصرح أنها مقتبسة منه . وغير بعيد أن يكون النص التالي مأخوذاً منه . قال ياقوت <sup>(٣)</sup> : « قال أبو زيد : تخرج من الحمى - حمى ضرية - فتسير ثلاثة ليال مستقبلاً مهب الجنوب من خارج الحمى ، ثم ترد مياه الضباب ، فن مياههم الأرطاة » .

وألف الأصمعي ، المتوفى في ٢١٦ ، كتب مياه العرب ، وجزيرة العرب ، والدارات <sup>(٤)</sup> ولم يصرح ياقوت باسم الأول منها في مقتبساته ، غير أنه أكثر من النقل من الثاني . وتدل هذه المقتبسات على أن الأصمعي رتب الكتاب وفقاً للأقاليم والقبائل ، فكان يذكر بقاع إقليم إقليم ، أو قبيلة قبيلة ، مثل مياه نجد ، ونواحي الطائف ، ومنازل قيس بنجد ، وديار الحجاز ، وغيرها . وتدل أيضاً على أنه كان يحدد الأماكن بما جاورها ، أو بأقليمها ومن يسكنها ، وكان في بعضها يصل الى تحديد جد دقيق . وكان عماده في أقواله على الشعر .

نمثل لذلك بقوله <sup>(٥)</sup> : « لبني نصر بن معاوية بجانب ركبة بقعاء بين الحجاز وبين ركبة ، وهي من أرض ركبة » ؛ ولعنابته بالشعر بقول ياقوت <sup>(٦)</sup> : « أنشد الأصمعي في كتاب جزيرة العرب لرجل من طيء ، يقال له الخليل بن قردة - وكان له ابن واسمه زافر ، وكان قدم بالشم في مدينة دمشق - فقال :

ولا آب ركب من دمشق وأهله ولا حص إذ لم يأت في الركب زافر

ولا من شبيث والأحص ومنتهى المطايا بقنسرين أو بخناصر »

ويعد كتاب الدارات للأصمعي أقدم كتاب وصل إلينا من هذه المجموعة . وقد

(١) ابن النديم : الفهرست ٥٤ . (٢) ابن النديم : الفهرست ٥٥ .

(٣) معجم البلدان ٢٠٩/١ . (٤) » » » ٥٥ .

(٥) » » ٢٠١/١ . (٦) معجم البلدان ١٥٢/١ .

نشره الآباء اليسوعيون في كتاب « البلغة في أصول اللغة » . واستهل الأصمعي كتابه الصغير باحصاء الدارات في بلاد العرب ، فكانت عنده ١٦ دارة . ثم عرّف الدارة ، وأورد صيغ جموعها . ثم أخذ يسرد أسماءها دون ترتيب ويتحدث عن كل منها . ودأب في حديثه هذا على أن يورد الاسم ثم بيتاً أو بيتين من الشعر شاهدين عليه . ولم يبذل أية محاولة لتحديد مواقعها . أما شواهد الشعرية فنسب بعضها إلى قائله ، وأهمل ذلك في غالبها .

قال في مفتتحه : « دارات العرب المعروفة في بلدانهم وأشعارهم ست عشرة دارة . والدارة : ما اتسع من الأرض وأحاطت به الجبال غلظ أو سهل . يقال : دار ، ودارة وأدور ، ودارات . فن ذلك دارة وشجى ، وأنشد :

ولست بناسٍ موقفاً إن وقفته      بدارة وشجى ما عمّرتُ سليما

ودارة مُجلجُل ، قال امرؤ القيس :

ألا ربَّ يومٍ لك منهن صالحٍ      ولا سيما يومٍ بدارة جلجلٍ

ودارة رفر ، وأنشد :

فقلت : عدي . قالت : إذا الليل جَنَّنَا      فوعدنا أقوازُ دارة رفر »

وألف محمد بن خالد البرقي - من أصحاب محمد بن علي الجواد المتوفى في ٢٢٠ هـ -

كتاب البلدان <sup>(١)</sup> . ولم يشر إليه ياقوت ولا البكري .

وألف أبو عثمان سعدان بن المبارك ( المتوفى في ٢٢٠ هـ ) ، كتاب الأرضين والمياه والجبال والبحار <sup>(٢)</sup> . ورأى ابن النديم قطعة منه بخط ابن الكوفي <sup>(٣)</sup> . ولكن ياقوتاً والبكري لم يذكرها .

وألف الحسن بن محبوب السراد ( المتوفى في ٢٢٤ هـ ) كتابي الأرضين ، والبلدان <sup>(٤)</sup> .

ولم يذكرها ياقوت والبكري .

(١) ابن النديم : الفهرست ٢٢١ .

(٢) ابن النديم : الفهرست ٧١ . ابن الانباري : نزهة الألباء ١٠٣ . السيوطي : البغية ٢٥٤ .

(٣) ابن النديم : الفهرست ٧١ . (٤) ابن النديم : الفهرست ٢٢١ .

ونسب ابن النديم<sup>(١)</sup> إلى أبي الحسن علي بن محمد المدائني، المؤرخ المشهور (المتوفى في ٢٢٥ هـ) كتاباً عن حمى المدينة وجبالها وأوديتها. ولكن كل ما نقله ياقوت عن المدائني مواد تاريخية، ما عدا ثلاثة نصوص، تحدث في أحدها عن حدة تهامة<sup>(٢)</sup>، وفي ثانيها عن حدة العراق<sup>(٣)</sup>، وفي ثالثها عن وادي قناة<sup>(٤)</sup>. وربما أخذ هذه النصوص الثلاثة من بعض كتبه التاريخية الكثيرة، وربما أخذ النص الثالث وحده من الكتاب المذكور. وألف الجاحظ (المتوفى في ٢٥٥ هـ) كتاباً اختلفت المراجع في عنوانه. فسماه ابن حوقل<sup>(٥)</sup> وياقوت<sup>(٦)</sup> «البلدان»، والثعالبي<sup>(٧)</sup> «خصائص البلدان»، والمسعودي<sup>(٨)</sup> «الأمصار وعجائب البلدان» وحاجي خليفة والثعالبي في موضع آخر من كتابه: «الأمصار». وتحمل قطعة منه، محفوظة بالمتحف البريطاني تحت رقم ١١٢٩، عنوان «الأوطان والبلدان»<sup>(٩)</sup>.

وذكر المسعودي<sup>(١٠)</sup> أن الجاحظ ادعى في هذا الكتاب أن منبع نهري مهران بالسند والنيل بمصر واحد، واستدل على ذلك باتفاق زيادتهما، وكون التماسيح فيها، وأن طرق الزراعة في البلدين واحدة، ثم رد عليه.

ونقل ياقوت<sup>(١١)</sup> منه نصاً يدل على أن الجاحظ تناول فيه بعض الآثار الجميلة، ذات الشهرة الكبيرة، بالوصف. قال ياقوت: «حكى الجاحظ في كتاب البلدان قال: قال بعض السلف: ما يجوز أن يكون أحد أشد شوقاً إلى الجنة من أهل دمشق، لما يروونه من

(١) الفهرست ١٠٣ . (٢) ٩٠٢/١ . (٣) ٦٣٠/٣ .

(٤) ياقوت: معجم البلدان ١٨٢/٤ . السهبردي: وفاة الوفا ٢١٥/٢ .

(٥) صورة الأرض ٣٧٢ . (٦) معجم البلدان ٥٩٣/٢ .

(٧) ثمار القلوب في الضفاف والنسوب ٤٣٨ .

(٨) التنبيه والأشرف ٥٥ . ومروج الذهب ٩٩/١ .

(٩) كشف الظنون ١٣٩٨/٢ . ثمار القلوب ٤١١ .

(١٠) Rieu, Supplément, No 1129 .

(١١) التنبيه ٥٥ ، ومروج الذهب ٩٩/١ (١٢) معجم البلدان ٥٩٣/٢ .

حسن مسجدهم . وهو مبني على الأعمدة الرخام طبقتين ، طبقة التحتانية أعمدة كبار ، والتي فوقها صغار ، في خلال ذلك صورة كل مدينة وشجرة في الدنيا بالفضيفساء الذهب والأخضر والأصفر . وفي قلبه القبة المعروفة بقبة النسر ، ليس في دمشق شيء أعلى ولا أسمى منظرًا منها . ولها ثلاث منائر : إحداها - وهي الكبرى - كانت ديدباناً للروم ، وأقرت على ما كانت عليه ، وصيرت منارة .

وتبين النصوص المنسوبة إلى الجاحظ - وإن لم يصرح باسم الكتاب المأخوذة منه - أنه كان يرصد الظواهر الطبيعية والبشرية ، ويعدها من فضائل البلدان التي تقع بها أو من عيوبها ، أي من خصائصها . فقد نقل عنه ياقوت <sup>(١)</sup> ما يتعلق بالمد والجزر وتغير الطقس في البصرة ، وكراهية المطر في مصر ، والمقدسي <sup>(٢)</sup> ما يتعلق بخصائص بغداد والكوفة والبصرة والفسطاط وغيرها . وتبين أيضاً أنه لم يقتصر على الأقاليم العربية ، بل تناول غيرها أيضاً مثل الري ونيسابور ومرو وبلخ وسمرقند وغيرها <sup>(٣)</sup> .

وأثنى كثيرون على كتاب الجاحظ ، قال ابن حوقل <sup>(٤)</sup> : « كتاب نفيس » . واتهم المقدسي <sup>(٥)</sup> ابن الفقيه بسرقة كتاب الجاحظ ، على الرغم من سوء رأيه فيه إذ قال <sup>(٦)</sup> : « وأما الجاحظ وابن خرداذبه ، فإن كتابيهما مختصران جداً لا يحصل منها كثير فائدة » . كذلك عابه البيروني ووسم صاحبه بالبساطة والسطحية .

وذكر ياقوت في معجم الأدباء أن شمر بن حمدويه الهروي ( المتوفى ٢٥٥ هـ ) ألف كتاب الجبال والأودية <sup>(٧)</sup> ، ولكنه لم يذكر في مقدمة معجم البلدان . وبالرغم من ذلك عزا إليه ، هو وأبو عبيد البكري ، كثيراً من الأقوال . وكلها - على وجه التقريب - تفسيرات لغوية واشتقاقية . فلا أدري يقيناً : هل أخذها من هذا الكتاب أو غيره ؟

(١) معجم البلدان ١/٦٤٧ ، ٦٥١ ، ٤/٥٥٢ . (٢) أحسن التقاسيم ٣٣ .

(٣) نفس الموضع . (٤) صورة الأرض ٣٧٢ .

(٥) أحسن التقاسيم ٢٤١ . (٦) أحسن التقاسيم ٤ .

(٧) ٢٧٥/١١ .

وربما كان الاستثناء الوحيد من الحكم السابق ما نقله ياقوت عنه <sup>(١)</sup> : « عُنَاب : جبل في طريق مكة . قال المرار :

جعلن يمينهن رعان حبس . وأعرض عن شمائلها العُنَاب »

وبالرغم من ذلك لا أستطيع أن أؤكد أنه من كتابه المذكور .

ونسب ياقوت في معجم الأدباء إلى أبي عبد الله أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل ، نديم المتوكل ، المتوفى نحو ٢٥٥ هـ ، كتاب أسماء الجبال والمياه والأودية <sup>(٢)</sup> . ولا ذكر له في معجم البلدان ولا معجم البكري .

وفي عهد المتوكل أيضاً ، كان يعيش محمد بن إدريس بن أبي حفصة ، الذي وقف ياقوت <sup>(٣)</sup> على كتاب له سماه « مناهل العرب » ، كما تدل المقتبسات على أنه عاد إلى كتابه الآخر اليمامة . ولا يفرق ياقوت بين ما يقتبسه من كل من الكتابين ، ولكننا قد نطمئن إلى أن كل ما يتصل باليمامة من الكتاب الثاني ، وما عداه يحتمل أن يكون من الكتاب الأول . فاذا كان الأمر كذلك ، نستطيع أن نقول إن المؤلف وصف في كتابه الأول المواقع على الطريق بين البصرة ومكة <sup>(٤)</sup> ، وحجر والبصرة <sup>(٥)</sup> ، وربما الطريق بين اليمامة ومكة <sup>(٦)</sup> ، ووصف كثيراً من الأماكن بالبحرين ، ونجد ، وهجر <sup>(٧)</sup> .

قال ياقوت <sup>(٨)</sup> : « قال الخنصي : إذا خرجت من البصرة تريد مكة ، فتأخذ بطن

فلج ، فأول ماء ترد الحفير . قال بعضهم :

ولقد ذهبتُ مراغماً أرجو السلامة بالحفير

فرجعتُ منه سالماً ومع السلامة كل خير »

وتحدث في كتاب اليمامة عن القرى ، والمياه ، والجبال ، والوديان ، والرياح ، والأماكن . بل عده ياقوت أحسن من كتب عن اليمامة ، فجعله مصدره الرئيس فيها .

(١) ٧٣٢/٣ . (٢) ٢٠٤/٢ . (٣) معجم البلدان ٧/١ .

(٤) ٢٩٧/٢ ، ٣٤٧ . (٥) ٨٥٦ . (٦) ٣٥٠/٢ .

(٧) ١/١ ، ٩٤١/١ ، ٣٥٤/٢ ، ٨٨٦/٣ ، ٨٩٤/٤ . (٨) ٢٩٧/٢ .

ولعله نقل الكتاب برمته في معجمه . قال ياقوت (١) : « قال محمد بن إدريس بن أبي حفصة : أثيفية : قرية وأكيات ، وإنما شبهت بأثافي القدر ، لأنها ثلاث أكيات . وبها كان جرير . وبها له مال . وبها منزل عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير ... » .

وقال ياقوت في حديثه عن الأجرعين (٢) : « علم لموضع باليمامة ، عن محمد بن إدريس ابن أبي حفصة ، هكذا حكاه مبتدئاً به » . ولعل هذا القول يعني أن الحفصي بدأ كتابه بالأجرعين . وربما كان لنا الحق أن نستنبط أنه رتب مواضعه على الألقباء ، ولكنه في الحرف الأول وحده ، لأنه قدم الأجرعين على أثيفية . ولكن بعض أقوال ياقوت الأخرى تجعلنا نعتقد أن الكتاب لم يكن مرتباً على الألقباء . قال (٣) : « قال الحفصي : ذو سدير قرية لبني العنبر » . وقال في موضع آخر من كتابه : « بظاهر السُّخال واد يقال له : « ذو سدير » . وربما لم يكن ذلك النص صريح الدلالة على عدم الترتيب ، لأنه من الجائز أن يكون أورد « ذو سدير » الثانية عرضاً ، في أثناء حديثه عن السُّخال . ولكن ياقوتاً قال أيضاً (٤) : « ذكر الحفصي مسافة ما بين اليمامة والدهناء ثم قال : وأول جبل بالدهناء يقال له الوحيد ، وهو ماء من مياه بني عقيل يقارب بلاد بني الحارث بن كعب » ، مما قد نستنبط منه أنه راعى التسلسل الجغرافي .

وكان الحفصي يذكر إقليم المكان الذي يتحدث عنه أو يحدد أبعاده عما جاوره من بقاع مشهورة ، أو يصرح بالقبائل التي تسكنه ، أو أكثر من أمر من هذه الأمور . ولكنه في كتاب اليمامة اقتصر في كثير من البقاع على أنها من اليمامة ، ولم يحاول لها تحديداً . ومن الطبيعي أن يضطر الزبير بن بكار المتوفى في ٢٥٦ هـ ، في كتبه التاريخية المتعددة إلى التعرض للأماكن الواردة في تضايف أخباره . ولكن ابن الفقيه الهمداني قال (٥) : « وفي العقيق وقصوره وأوديته وحراره أخبار كثيرة ، وللزبير بن بكار فيه كتاب

(١) ١٢١/١ . (٢) ١٣٤/١ . (٣) ٦٩/٣ .

(٤) ٩٠٨/٤ . وانظر ٨٧٢/٣ . (٥) البلدان ٢٦ .

مفرد» . وأكّد ذلك ياقوت في معجم البلدان <sup>(١)</sup> والسمهودي في وفاء الوفا <sup>(٢)</sup> .  
وتدل النصوص التي نقلها ياقوت ، والبكري ، والسمهودي ، من هذا الكتاب ، أن  
المؤلف تناول فيه أودية العقيق ، وغدرانه ، وسيوله ، وما إليها ؛ وأكثر فيه من الأخبار  
والأشعار . قال ياقوت <sup>(٣)</sup> : « ذكر الزبير في كتاب العقيق بالمدينة : هو مَرخ وذو مرخ  
وأشداً لأبي وجزة يقول :

واحتلّت الجوّ فالأجراع من مرخ فالها من ملاحاة ولا طلب »

وراعى في الأماكن التي ذكرها تسلسلها الجغرافي . قال السمهودي <sup>(٤)</sup> : « قال  
[ الزبير ] : وأعلى عُدر مسيلات العقيق التي في درج الوادي مما يلي الحرة موكلان ، من  
أعلى ذي العش . ثم غدِير سليم . ثم ذو التحاميم . ثم الأعوج . ثم غدِير الجبال . ثم يماحم .  
ثم غدِير الذباب . ثم غدِير الحمير ... » . ولكننا يجب ألا نستنتج من هذه النصوص  
وأمثالها عند السمهودي أن الزبير كان يدون قوائم مجردة بهذه البقاع ، فقد أثبت الدكتور  
صالح أحمد العلي <sup>(٥)</sup> أن السمهودي كان يلخص نقوله ، بحذف ما فيها من أشعار .

ونسب ابن النديم <sup>(٦)</sup> إلى أحمد بن محمد البرقي ، المتوفى في ٢٧٤ هـ ، كتاب البلدان ،  
وصرّح أنه كان أكبر من كتاب أبيه السالف الذكر . وبالرغم أن ياقوتاً ترجم له في معجمي  
الأدباء <sup>(٧)</sup> والبلدان <sup>(٨)</sup> لم يذكر هذا الكتاب ، ولا رجع إليه هو أو البكري .

وألف أبو سعيد الحسن بن الحسين السكري ، المتوفى في ٢٧٥ هـ ، كتاب المناهل  
والقرى <sup>(٩)</sup> ، الذي صرح ابن النديم أنه رآه بخطه <sup>(١٠)</sup> . والنقول التي يعزوها ياقوت إلى  
السكري كثيرة . ولكننا لا نستطيع أن ننسب شيئاً منها إلى هذا الكتاب ، على وجه  
اليقين . بل صرح ياقوت نفسه بأسماء كتب أخرى للسكري ، نقل منها ، مثل روايته

(١) ٨٥٠/٢ ، ٤٩٢/٤ ، ٦٧٣ ، ٧٨٠ . (٢) ٢٠٨/٢ ، ٢١٠ ، ٢١٩ .

(٣) ٤٩٢/٤ . (٤) ٢١١/٢ . (٥) المؤلفات العربية عن المدينة والحجاز ٢٠ .

(٦) ٢٢١ . (٧) ١٢٢/٤ . (٨) ٥٧٥/١ .

(٩) القنطي : انباه الرواة ١/٢٩٢ . السيوطي : البنية ٢١٩ . (١٠) ٧٨ .

شعر جرير<sup>(١)</sup>. أما كتاب المناهل والقرى فلم يذكره لافي الكتاب ولا في المقدمة .  
وأكثر ما نقله ياقوت أسماء أما كن أوردتها في صدد شرحه للشعر ، وأكثرها من بقاع  
شبه الجزيرة العربية ، ولكن قليلا منها في مصر<sup>(٢)</sup> .

وألف عرام بن الأصمغ السُّلَمي المتوفى نحو ٢٧٥ هـ كتاب « أسماء جبال تهامة ،  
وسكانها ، وما فيها من القرى ، وما ينبت عليها من الأشجار ، وما فيها من المياه<sup>(٣)</sup> » .  
ووصلت إلينا نسخة منه ، من رواية أبي سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي ، عن أبي محمد  
عبيد الله بن عبد الرحمن السكرى ، عن ابن أبي سعد الوراق ، عن أبي الأشعث عبدالرحمن  
ابن محمد ، عن المؤلف . وقام بتحقيقها وطبعها الأستاذ عبد السلام محمد هارون . وعليها  
أعتمد في الوصف . وكان بين يدي أبي عبيد البكري نسخة أخرى ، من رواية أبي عبيد الله  
عمرو بن بشر الكسوفى ، عن أبي الأشعث ، عن عرام ، أتكلم عنها بعد .

ينقسم الكتاب الى قسمين ، يشغل أولها نحو ثلثيه ، والثاني الثلث الباقي . ويعالج  
المؤلف في القسم الأول تهامة . ويبدوها بتحديد ما رأى أنه الحد الشمالي لها ، وهو جبل  
رضوى . قال<sup>(٤)</sup> : « أولها (رضوى) من ينبع على يوم ، ومن المدينة على سبع مراحل  
ميامنة طريق المدينة ، ومياسرة طريق البرراء لمن كان مصعداً الى مكة ، وعلى ليلتين  
من البحر ... » . وعندما ينتهي المؤلف من وصف منطقة رضوى ، يبدأ بالمدينة ثم يقوم  
بما يشبه الرحلة الى مكة . فاذا ما بلغها قفز الى منطقة الطائف .

وكان هدفه من هذه الرحلة وصف ما يقابله من جبال . ويتضح من الكتاب وعنوانه  
أنه كان في كل جبل يعني بتحديد موقعه ، ووصف شكله ونباته ، وحيوانه ، ومياهه ،  
ووديانه ، وقراه ومدنه ، وإبانة سكانه .

فكان يحدد الموقع بإبانة أبعاده عما حوله ، وموضعه من الطرق المارة به ، كما يبين من

(١) ٨٤٦/١ . وانظر ١/١١٧ ، ٢٦٧ ، ٥٨٨ . (٢) ٢٦٩/١ .

(٣) نواذر المخطوطات - الجزء ٨ - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٥ م .

(٤) ص ٣٩٦ .

النص السابقة ، ومن تكلمته الآتية : « وبجذائها (عزور) وبينه وبين رضوى طريق المعركة تختصره العرب الى الشام ، والى مكة ، والى المدينة ، بين الجبلين قدر شوط فرس . وهما جبلان شاهقان منيعان لا يرومها أحد . نباتها الشوحط والقرظ والرّف - وهو شجر يشبه الضّياء » .

وكان يذكر قائمة بالنباتات التي تظهر في البقعة التي يتحدث عنها ، ويخشي ألا تعرف بعضها ، فيحاول تعريفها بذكر مرادفها ، أو شبيهاها من النباتات ، أو بوصف شكلها ، ومنفعتها ، وثمرتها ، وطعمها ، ورأحتها . قال عن جبلي نافل الأكبر والأصغر (١) : « نباتها العرعر ، والقرظ والظّيان ، والأيدع ، والبشام . وللظيان ساق غليظة . وهو شاكٌ - أي غليظ الشوك - ويحتطب . وله سنفة كسنفة العسرق . والسنفة ما تدلى من الثمر وخرج عن أغصانه . والعسرق ورق يشبه الحندقوقا منتنة الريح . والأيدع : شجر يشبه الدّلب ، إلا أن أغصانه أشدّ تقاربا من أغصان الدّلب ، لها وردة حمراء ليست تجد طيب الريح ، وليس لها ثمر ... » .

وكان في وصفه للمياه بين قدرها ، ومنبعها ، وطعمها ، وفي الأودية بين مصابها . قال (٢) : « وفي نافل الأكبر عدّة آبار في بطن واد يقال له (يرتد) . يقال للآبار (الدباب) . وهو ماء عذب كثير غير منزوف ، أناشيط قدر قامة قامة . وفي نافل الأصغر ماء في دوّار في جوفه يقال له (القاحة) وهما بئران عذبتان غزيرتان » .

وكان في حديثه عن القرى والمدن بين قدرها ، وسكانها ، ومياها . وفي حديثه عن السكان يذكر القبائل التي تحل بالموضع ، وحالتها المالية ، وما تقوم به من أعمال (٣) . قال : « ثم أسفل منها (مهايع) وهي قرية كبيرة غنّاء ، بها ناس كثير ، وبها منبر ، ووالي ساية من قبيل صاحب المدينة ، وفيها نخل ومزارع وموز ورمان وعنب . وأصلها لولد علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وفيها من أفناء الناس ، وتجار من كل بلد ثم خيف يقال له (خيف

(١) ٤١٤ .

(٢) ٤٠١ .

(٣) ٢٩٩ .

سلام) ... وفيه منبر وناس كثير من خزاعة . ومياهاها فُقرُ أيضاً ، وباديتها قليلة ، وهي جُشَمُ وخزاعة وهذيل . » .

وعالج المؤلف في القسم الثاني الحجاز ، وأراد أن يسير فيه على النهج الذي سار عليه في القسم السابق . ولكن المادة العلمية التي كانت لديه عنه قليلة ، ولذلك اضطر الى الإجمال والإخلال في حديثه ، فظهر البون واضحاً بين القسمين . قال <sup>(١)</sup> : « ثم (الطرف) لمن أمّ المدينة ، يكنفه ثلاثة جبال : أحدها (ظلم) وهو جبل أسود شامخ لا ينبت شيئاً ، و (حزْمُ بني عوال) وهما جميعاً لظفان . وفي عوال آبار منها (بئر ألية) اسم ألية الشاة ، و (بئر هرمة) و (بئر عُهير) و (بئر السُدرة) وليس بهؤلاء ماء ينتفع به . » .

ثم ألف أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري ، المتوفى في ٢٨٢ هـ ، كتاب البلدان ، الذي وصفه ابن النديم والقفطي بالكبر <sup>(٢)</sup> . وكل النقول التي عثرت عليها من كتابه الآخر ، كتاب النبات ، الذي يعد أعظم ما خلفه القدماء من الكتب التي تصف نباتاتهم .

وتقتني مكتبة شيخ الاسلام بالمدينة كتاباً ، منسوباً إلى أبي علي الحسن بن عبد الله المعروف بلغدة ، معاصر الدينوري ، عالج فيه الأماكن العربية . وتقتني عدة مكتبات عامة وخاصة في بغداد نسخاً منه ، نُقلت عن المخطوط المدني ، غير أنها جميعاً لا تذكر عنوان الكتاب . ولما كان من ترجم للغة لا يذكر له كتاباً من هذا النوع ، بقي عنوان الكتاب مجهولاً منا ، وإن حاول بعضهم أن يضع له من عنده عنواناً اعتماداً على مادته ، فسماه «صفة جزيرة العرب» أو «قبائل العرب ومياها وجبالها» <sup>(٣)</sup> .

واتخذ المؤلف من القبائل أساساً لبحثه ، فكان يتناول المياه والجبال التي تحمل بها

(١) ٤٢٤ .

(٢) ابن النديم : الفهرست ٧٨ . النبطي ٤١/١ . ابن الانباري : الزهدة ١٦٥ .

(٣) مكتبة الاوقاف ٦٢١٦ . وعليها اعتماد في الوصف والإشارة . ومكتبة المتحف العراقي ٢٢٧ ، ١١٠٠ ، وانظر للقال القيم الذي نشره الاستاذ محمد رضا الشبيبي بعنوان : أقدم مخطوط وصل البناء عن بلاد العرب ، ص ٣٩ - ٤٥ من مجلة المجمع العلمي العراقي - الجزء الاول من السنة الاولى - ايلول ١٩٥٠ .

بطون قبيلة ما ، إلى أن يفرغ منها ، فينتقل الى غيرها . فهذه مواضع بني عقيل ، فواضع  
بني فهم وعدوان ، فبني أسد ، فبني غنى الخ . قال (١) : « ومنزل بني ربيعة الجزيرة . ولبني  
عامر بن عقيل بن ربيعة الجوفاء ، وهي معاوية وعوف ابني ربيعة . وغُضَى لعامر بن ربيعة  
جميعاً ، ما خلا بني البكاء . ولهم بريم ، وهم شركاء جُشَم فيه . قال الراجز :

تذكَرْتُ مشرِها من تُصلبها      ومن بريم قَصَبها مشقبا

وتصلب لبني إنسان من بني جشم ... فهذه مياههم الأعداد التي يجتمع عندها ، ولهم  
مياه سوى هذه ربما نزحت . ولهم من الجبال : حَضْن لجشم خاصة . والسود لهم أيضاً .  
ولهم هَوَلَى ، والقامة . قال الأصمعي : بسّ وبسيان ورهوة في أرض بني جشم ونصر  
ابني معاوية بن بكر بن هوازن » .

وعند ما ينتهي المؤلف من هذا السرد يصف ثلاثة طرق تخرج من حجر اليمامة ، وأولها  
الى البصرة ، وثانيها الى الكوفة ، وثالثها إلى مكة . قال (٢) : « واذا خرجت من حجر تريد  
الكوفة ، فأول ماء ترده يقال له الحبل - وهو في ناحية القُفّ ، وهو ماء لراعية اليمامة ،  
وبينه وبين حجر نحو من خمسة فراسخ . ثم تخرج منه فتد القف ، وهي أرض خشنة  
ظاهرة ، حتى تأخذ بين بنيان والعرض ، تدع بنيان يميناً والعرض يساراً . ثم تمضي حتى ترد  
البالدية ، بالدية بني عُغْبَر ، وهي قرية فيها نخيل ومزارع ، وبين البالدية وحجر ليلتان ... » .

وفي أواخر الكتاب حديث عن المعادن المطمورة في باطن شبه الجزيرة العربية : نجدتها  
وحجازها ، حيث ذكر الذهب والفضة والنحاس ، وغيرها . قال مثلاً (٣) : « الكوكبة  
من وراء الغيصان ، على مسيرة يوم وليلة ، وهي على رأس جبل ، كان منقوباً فيه باب ،  
وإنما سميت الكوكبة لأن رجلاً مرّ فاذا هو بفضة شبه الكوكب . فخرّوها فانشعبوا  
فيها حتى كان يدخل فيها نحو من مئة رجل من مدخل واحد فينشعب كل واحد منهم في  
معمل لا يراه صاحبه ، وهو لثمير » .

(١) ٤٩ .

(٢) ٤٢ .

(٣) ٢ .

واعتمد المؤلف في مادة كتابه على سكان البقاع التي يتحدث عنها ، وخاصة العامري الذي أخذ منه قسطاً كبيراً من كتابه . ولذلك جاء وصفه دقيقاً محكماً ، وخاصة لمنطقة اليمامة . ونقل السهمودي كثيراً من نصوصه عن كتاب لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأسدي<sup>(١)</sup> ، من أهل القرن الثالث ، غير أنه لم يذكر اسمه . وتبين هذه النصوص أن الكتاب كان عن المدينة ومنطقتها ، اهتم بالمساجد التي صلى فيها الرسول صلى الله عليه وسلم ، والطرق التي تتفرع من المدينة الى مكة ، والكوفة ، والبصرة . فسجل أبعادها بالأميال ، والبرد ، وعن بالمياه والآبار والسكان .

قال السهمودي<sup>(٢)</sup> : « قال الأسدي في وصف طريق العراق : إنه [ أي الطرف ] على خمسة وعشرين ميلاً من المدينة ، وعلى عشرين ميلاً من بطن نخل . وذكر فيه آباراً وبركاً » . ونسب ابن النديم<sup>(٣)</sup> الى أبي الأشعث عزيز بن الفضل الهذلي كتاب « صفات الجبال والأودية وأسمائها بمكة وما والاها » . وقد ذكر المرزباني في معجم الشعراء عزيزاً ، وقال عنه<sup>(٤)</sup> : « محدث معتدي » أي أنه من الشعراء الذين اتصلوا بالخليفة المعتمد (٢٥٦-٢٧٩) . ولكنني لم أعثر عند البكري أو ياقوت على نقول معزوة اليه .

ولما طبع كتاب عرام بن الأصمغ السالف الذكر ، أثار كثيراً من المشاكل . فقد نقل البكري منه كثيراً من النصوص ، رواية عن أبي عبيد السكوني ، عن أبي الأشعث عنه . ونقل ياقوت كثيراً منه عن أبي الأشعث . وتبين من مقارنة النقول والكتاب المطبوع أن أبا الأشعث عبد الرحمن بن محمد الكندي كان مجرد راوية أمين لكتاب عرام . أما أبو عبيد الله عمرو بن بشر السكوني فلم يكتب بالرواية . فكثير من النصوص التي نقلها البكري عنه غير موجودة في كتاب عرام المطبوع ، بل تختلف عن منهجه أيضاً . اذ يقيم علاجه للأماكن على وصف رحلات يقوم بها الإنسان من مدينة معروفة الى المنطقة التي يريدتها ، ويصف كل ما يقابله في هذه الرحلة وكثيراً ما كان هذا الإنسان هو المصدّق ،

(١) ١٦٤/٢ . (٢) ٣٣٩/٢ . (٣) ١١٤ . (٤) ١٧٣ .

أي أخذ الصدقات والزكاة من القبائل . وقد ذكر البكري عدة رحلات من هذا النوع .  
 فاستنتج من ذلك الأستاذ عبد السلام هارون أن « كتاب السكوني في جبال تهامة هو  
 رواية حرة لكتاب عرام اعتمدت على التعليقات الكثيرة والإضافات الاستطراذية (١) »  
 أو « أن السكوني جعل الكتاب أساسه في الرواية ، ولكنه زاد عليه كثيراً من التعليقات  
 والإضافات ، شأن كثير من رواة الكتب الأقدمين (٢) » . ولكن الدكتور صالح أحمد  
 علي درس هذه النصوص ، فتبين له أن كثيراً منها موجود في وفاء الوفا للسمهودي ، مروية  
 عن أبي علي الهجري ، الذي لا يمكن إلا أن يكون غير السكوني (٣) . وصار الأمر مشكلة  
 تحتاج إلى مواد جديدة ليتيسر الاهتداء إلى وجه الصواب فيها .

ونسب ياقوت في مقدمة معجم البلدان (٤) كتاباً لأبي عبيد السكوني لم يصرح باسمه ،  
 ونقل عنه في المعجم ٦٠ نصاً ، درسها الدكتور صالح أحمد العلي (٥) ، ووجد أنها تتصل  
 بطريق حاج واسط ، والكوفة ، والبصرة ، ومناطق من الشام وجبلى طي . وتبين من هذا  
 أن السكوني تناول في كتابه جغرافية الجزيرة كلها ، وأنه اهتم بطرق المواصلات ، والأبعاد  
 بين الأماكن ، وحددها بالأميال ، وبالأماكن القريبة من محاطة الطرق الرئيسية ، والآبار  
 وأعماقها ، والسكان وعشائرهم ، وأنه من أدق وأشمل من وصف جزيرة العرب عامة .

قال ياقوت (٦) : « قال أبو عبيد السكوني : خَفَّان : من وراء اللُّسوخ ، على ميلين  
 أو ثلاثة ، عَيْن ، عليها قرية لولد عيسى بن موسى الهاشمي ، تعرف بخفان . وهما قريتان من  
 قرى السواد ، من كُفَّ الحجاز . فمن خرج منها يريد واسطاً في الطف ، خرج إلى نجران  
 ثم إلى عدينييا وُجْدُ بلاء ثم قناطر بني دارا وتل تخار ثم إلى واسط » .

ولكننا يجب أن نفرق بين هذا السكوني ، وأبي عبيد عمرو بن بشر السكوني الذي  
 نقل عنه أبو عبيد البكري كتاب عرام . فإنني أعتقد أن هذا السكوني هو أبو عبيد الله

(١) ٣٧٢ . (٢) ٣٧٦ . (٣) ٣٦٠٣٢ .

(٤) ٧/١ . (٥) المؤلفات العربية عن المدينة والحجاز ٢٨ — ٤٢ .

(٦) ٤٥٦/٢ .

[ أو أبو عبيد الله ] أحمد بن الحسن السكوني ، الذي ترجم له ياقوت في معجم البلدان <sup>(١)</sup> ، وكان مختصاً بالمكتفي ( ٣٣٣ - ٣٣٤ ) والمقتدر ( ٣٣٤ - ٣٦٣ ) ، وألف كتاباً في أسماء مياه العرب ، صرح ياقوت انه رأى نسخة غير تامة منه ونقلها .

وعدّ ياقوت <sup>(٢)</sup> كتاب « صفة جزيرة العرب » لأبي محمد الحسن بن أحمد الهمداني ، المتوفى في ٣٣٤ هـ ، من هذا النوع من الكتب . وبالرغم أني لا أوافق كل الموافقة ، أدون وصفاً سريعاً ومختصراً للكتاب ، ليتضح منهجه ، وما بينه وبين الكتب التي أتحدث عنها من مشابه وفروق .

صدر الهمداني كتابه بعدة فصول جغرافية خالصة أو تكاد . فتحدث عن الجزيرة العربية ، باعتبارها أفضل البلاد المعمورة ، فأبان حدودها ومسافاتها ، ثم تحدث عن تقسيم بطليموس الأرض الى اقاليم ، ودوائر ، وخطوط الطول والعرض ، وما ذكره بطليموس عن طبائع أهل العمران . وختم بإبانة خطوط طول مدن العرب المشهورة وعرضها . ثم بدأ الكتاب الحق بالأمور التي يعنى بالحديث عنها ، وهي <sup>(٣)</sup> « مساكن هذه الجزيرة ومساكنها ومياهها وجبالها ومراعيها واوديتها ونسبة كل موضع منها الى سكانه ومالكه على حد الاختصار ، وعلى كم تجزأ هذه الجزيرة من جزء بلدي ، وفرق عملي ، وصقع سلطاني ، وجانب فلكوي ، وحيّز بدوي » .

ثم استهل حديثه بأولاد نزار ، وتفرقهم ، وسبب تسميتها بالجزيرة : وأقسامها . وبدأ باليمن موطنه ، فأفاض فيه ، وعالج منه كل شيء ؛ وما بقي من الكتاب — وهو قليل — وزّعه على بقية أنحاء الجزيرة . وكان يتحدث عن الأماكن حسب تسلسلها الجغرافي ، ويفيض في الحديث عن النواحي البشرية ، وأكثر من الشعر في آخر الكتاب خاصة . ويعد كتاب الهمداني اكبر الكتب التي تناولت الجزيرة العربية ، وأهم الكتب عن اليمن . قال <sup>(٤)</sup> : « ومن أخذ الجادة من مكة الى معدن النقرة ، فمن مكة الى البستان تسعة

(١) ٩/٣ . (٢) ٧/١ . (٣) ٤٦ . (٤) ١٨٥ .

وعشرون ميلاً . وعرض البستان أحد وعشرون جزء اربع . ومنه الى ذات عرق أربعة وعشرون ميلاً . وعرض ذات عرق أحد وعشرون جزءاً وثلاثاً جزء . ومنها الى الغمرة عشرون ميلاً . وعرض الغمرة اثنان وعشرون جزءاً .. » .

ونسب ابن النديم <sup>(١)</sup> الى أبي محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزي المتوفى نحو ٣٦٠ هـ « كتاب المناهل والأعطان والحنين الى الأوطان » . ويبدو أنه لم يقع لياقوت ولا البكري .

وذكر ياقوت في مقدمة معجم البلدان <sup>(٢)</sup> عن أبي سعيد الحسن بن عبدالله السيرافي المتوفى في ٣٦٨ هـ : « بلغني أن له كتاباً في جزيرة العرب » . ولكنه نسب اليه دون تميز في المعجم ، ونقل نصاً عنه ، قال في صدد حديثه عن أجياد <sup>(٣)</sup> : « قال أبو سعيد السيرافي في كتاب جزيرة العرب من تأليفه : هو موضع خروج دابة الأرض » . وما نسب ياقوت الى السيرافي من النصوص قليل جداً ، لانستطيع أن نستخلص منه معالم لكتابه .

وألف الحسين بن محمد الراقبي الخالغ ، المتوفى في ٣٨٨ هـ ، كتاب « الأودية والجبال والرمال <sup>(٤)</sup> » . ونسب اليه ياقوت <sup>(٥)</sup> ثلاثة نصوص ، كلها تتحدث عن الرياض . مثال ذلك قوله : « روضة الحداد : كذا وجدته في كتاب الخالغ : بالحاء ، وعندني أنه الجداد ، بالجيم والضم ، والجداد : صغار الطلح . قال : الحداد : واد عظيم . قال اياس بن الأرت : حيّ الجميع بروضة الحداد من كل ذي كرم يزين النادي »

وألف أحمد بن فارس الرازي ، المتوفى في ٣٩٥ هـ ، كتاب « دارات العرب <sup>(٦)</sup> » . وقد أشار اليه ياقوت في مطلع حديثه عن الدارات ، قال <sup>(٧)</sup> : « وهي نيف على ستين دارة ، استخراجتها من كتب العلماء المتقنة ، وأشعار العرب المحككة ، وأفواه المشايخ الثقات .

(١) الفهرست ١٥٥ . (٢) ٧/١ . (٣) ١٣٨/١ .

(٤) ١٥٥/١٠ . السيوطي : البنية ٢٣٥ . وانظر التنوخي : مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق

١٥٨/١٥ .

(٥) معجم البلدان ٤/٢ ، ٨٤٧ ، ٨٥٦ ، ٤٧٥/٤ . (٦) ابن الأنباري : نزهة الألباء ٢٢٠ .

(٧) ٥٢٦ : ٢ .

واستدللت عليها بالأشعار حسب جهدي وطاقتي ، والله الموفق . ولم أر أحداً من الأئمة  
القدماء زاد على العشرين دارة إلا ما كان من أبي الحسين بن فارس ، فإنه أفرده (؟) كتاباً ،  
فذكر نحو الأربعين . فزدت أنا عليه بحول الله وقوته نحوها . ونقل ياقوت عن ابن  
فارس في بعض المواضع ، ولكن أرجح أنها كلها مأخوذة من أماليه (١) .

ومن أهل القرن الخامس ، ألف أبو محمد الحسن بن أحمد الأسود الأعرابي الغندجاني ،  
الذي كان حياً في ٤٢٨ هـ ، كتابي « أسماء الأماكن » (٢) و « مياه العرب » . واشتهر  
ياقوت إلى ثانيها بين الكتب التي رجع إليها عند تأليف معجم البلدان (٣) . والنقول التي  
يعزوها إليه كثيرة ومتنوعة ، غير أنه لم يصرح باسم الكتاب الذي ينقل عنه . فهو  
يتحدث عن المياه كثيراً (٤) ، ولكنه يتحدث عن غير المياه أيضاً (٥) ، بل ينقل عنه  
أشعاراً فقط (٦) ، كما ينقل عنه أخباراً وأساطير عربية (٧) .

وفي القرن الخامس أيضاً ، ألف أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي ، المتوفى  
في ٤٨٧ هـ ، كتاب « معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع » . وحسب المؤلف  
موضوعه في صدر مقدمته ، حين قال (٨) : « هذا كتاب ذكرت فيه — إن شاء الله —  
جملة ما ورد في الحديث والأخبار ، والتواريخ والأشعار ، من المنازل والديار ، وأنقرى  
والأمصار ، والجبال والآثار ، والمياه والآبار ، والدارات والجرار » . فالبكري إذن يعني  
بكل ما ورد اسمه في الحديث والأخبار والشعر من الأماكن .

ورمى بذلك إلى هدف لغوي ، جلاه في قوله (٩) : « فإني لما رأيت ذلك قد استعجم

(١) ٤٠٥ : ١ . (٢) السيوطي : البقية : ٢١٧ .

(٣) ياقوت : معجم البلدان ٧/١ .

(٤) نفس المرجع ١/٣٦٤ ، ٢٩٥ ، ٣ ، ٦٠٢ وغيرهما .

(٥) ١/٦٠ ، ٣/٣٩١ ، ٤١٤ ، ٦٧١ وغيرهما .

(٦) ١/٨٠٠ ، ٩٣٣ ، ٢/٢٦٤ ، ٣/٢٧٣ ، ٧١٤ ، ٤/٦٩١ وغيرهما .

(٧) ١/١٢٧ ، ١٣٠ ، ٤٠٦ ، ٢/٩٩ ، ٣/٣٠٢ ، ٤١٢/٣ ، ٦٠٩ ، ٨٦٤ وغيرهما .

(٨) ١ .

(٩) ١ .

على الناس ، أردت أن أفصح عنه ، بأن أذكر كل موضع مبين البناء ، معجم الحروف ، حتى لا يدرك فيه لبس ولا تحريف .

ورتب المؤلف كتابه وفقاً للحروف العربية ، ولكن على نظامها عند المغاربة ، وهو يتفق مع ترتيبنا المشرقي الى الزاي ، ثم يختلف على النحو التالي : ط ظ ك ل م ن ص ض ع غ ف ق س ش ه و ي . واعتمد في ترتيب المواضع على الحرفين الأولين ، وأهمل ما بعدها من حروف . واذا كان الحرف الثاني ألفاً زائدة أهملها واعتبر الحرف الذي بعدها . وقد طبع الكتاب في جوتنجن ، على يد المستشرق فستنفلد ، على هذا الترتيب . ثم أعاد طبعه الاستاذ مصطفى السقا في القاهرة ، بعد أن غير ترتيبه وفقاً للألفباء المشرقية ، التي أخضع لها حروف الكلمة كلها ، غير مقتصر على حرفين فقط .

ونهج المؤلف في كتابته عن المواضع أن يضبط الحروف بالعبارة ، ثم يحددها ، مع نسبة كل قول الى قائله من اللغويين والاختباريين المشهورين <sup>(١)</sup> . وقد أوضح استاذي مصطفى السقا هذا النهج في قوله <sup>(٢)</sup> : « يعول المؤلف في الضبط على الشعر العربي أولاً ، ف يأتي بالشعر الذي ورد فيه اسم المكان ، ويسنده الى الراوي الذي نقله من العلماء ، ويوازن بين الروايات ، ويرجح رواية الثقات ، ويعتمد في ذلك على النسخ الفدّة ، التي كتبها العلماء أنفسهم بأيديهم ، أو التي كتبها وراقوهم المعروفون ، أو تلاميذهم المبرزون ، وقرءوها عليهم ... وكان يعتمد في الحديث على روايات الكتب الصحاح ، وخاصة الموطأ ، والبخاري ، وسنن أبي داود ، وينقل كثيراً من الاحاديث عن ابن وهب وابن القاسم من شيوخ المالكية . وينقل عن ابن اسحاق صاحب السيرة ، وعن أبي جعفر الطبري . ويصحح ما وقع في كتب أولئك وهؤلاء ، من تحريف في اعلام البلدان » . واضيف الى ذلك ما نقله من المعاجم اللغوية ، وخاصة من جهرة ابن دريد .

وامثل لمنهجه بقوله <sup>(٣)</sup> : « البان — على وزن افعال ، كأنه جمع كبن : موضع في ديار بني هذيل . قال ابو حاتم : هو جبل اسود في ديار بني مُرّة بن عوف ، قال ابوقلابة :

(١) ١٨٦/١ (٣)

(٢) د .

(٣) ١٤٠١

يادار أعرفها وحشا منازلها بين القوأم من رهط فألبان  
فدمنة فرخيات الأحت الى ضوَجِي دفاق كسحق للملبس الفاني  
هذه كلها مواضع متقاربة . والقوأم : جبال منتصبة هنالك . قال تأبط شراً :

هَلَا سَأَلْتُ عُمَيْرًا عَنْ مِصَاوِلِي قَوْمًا مَنَازِلَهُمْ بِالصَّيْفِ أَلْبَانُ «  
وصدّر البكري كتابه بمقدمة طويلة ، في ٩٠ صفحة ، عالج فيها أقسام بلاد العرب  
المختلفة ، وتفرّق القبائل ورحلاتها فيها . وهي مقدمة عظيمة الأهمية من الناحية الجغرافية  
والتاريخية .

ويؤخذ عليه أنه لم يحدد كثيراً من مواضعه ، أو أعطاه تحديداً غير دقيق ، وأنه أحال  
في كثير منها الى مواضع أخرى ، بل مواضع جاءت عرضاً في بعض الرسوم الأخرى .  
ولكنه مرجع لاغناء عنه لكل من يشتغل بالتاريخ العربي القديم والجغرافيا والشعر  
الجاهلي (١) .

وفي القرن السادس ، ألف أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، المتوفى في ٥٣٨ هـ ،  
كتاب « الجبال والأمكنة والمياه » . وحاول ان يرتب القسط الأكبر منه . فاعتمد في  
ذلك على الحرف الأصلي الأول وحده ، واهمل بقية الحروف . ولكنه اضطرب في الاسماء  
المكونة من مضاف ومضاف اليه ، فاعتبر الصدر أحياناً ، كما في أبي قبيس ، وأم خنور ،  
وأم خرمان ، وام موصل ، وام اوغال ، التي وضعها في باب ما أوله همزة ؛ وبرقة شماء ،  
وبستان ابن عامر ، وبطن مر ، وبطن اللوى ، وبقيع الفرقد ، وبقاع الكلب ، وبتّر  
بضاعة ، وبيت جبريل ، وبرقة الروحان ، وبيت رأس ، وبتّر أبي عنبة ، وبتّر مصونة ،  
وبرك الغهاد ، التي وضعها في باب ما أوله باء . واعتبر العجز أحياناً ، كما في معدن الأحسن ،  
وسوق حباشة ، وأبرق الجنان ، التي وضعها في باب ما أوله حاء ؛ ورمل مخفق ، وجبل  
خليج ، التي وضعها في باب ما أوله الخاء ؛ وجبل رنقاء ، ومرج راهط ، اللذين وضعهما  
في باب ما أوله راء .

(١) كراتشكوفسكي : تاريخ الادب الجغرافي العربي ٢٢٨ .

ثم ألحق به أربعة فصول تعالج الطريق بين ينبع ومكة . فجعل الفصل الأول منها لأسماء الجبال الكبيرة ، والثاني للجبال الصغيرة ، والثالث للأودية ، والرابع للمياه . ولم يراع الزمخشري في هذه الفصول الأخيرة ترتيباً ما - فيما يبدو . ولم يتعمد منهجه فيها إعطاء قوائم بأسمائها ، ولم يعن بتحديداتها أو وصفها أو إيراد شواهد شعرية عليها إلا نادراً كـل الندر . مثال ذلك قوله في الفصل الأول (١) : « شعران ، ويمنى ، وبضع ، والعناب ، وسيان ... وسراوع . وأنشد الجحوش الخفاجي :

نظرت - ومن دوني تهامة كلها  
وحمر الدرا معروف من سراوع »

أما الكتاب نفسه ، فقد ترك فيه كثيراً من البقاع دون تحديد ، ولجأ في بعضها إلى تحديدها بما يجاورها ، أو بأسماء من يسكنها من قبائل ، أو بالإقليم الذي تقع فيه ، أو بأكثر من واحد من الأمور السابقة ، مع بيان المسافة بينها وبين بعض البقاع الأخرى المشهورة في أحيان أخرى ، ووصفها في أحيان بذكر نباتها ، أو ارتفاع جبالها وألوانها . وقد علل بعض الأسماء ، وأورد في ذلك بعض الخرافات ، وكان ذلك قليلاً جداً . واستشهد بأشعار نسب بعضها إلى قائله ، وأهمل بعضها الآخر . وتظهر على الكتاب خصائص المختصرات .

وأمثل له بقوله (٢) : « الدثنية والدفينة : منزل لبني سليم . الدخول : موضع . وقيل : بئر نميرة كثيرة الماء . دارة الجثوم : لبني الأضببط بن كلاب - والجثوم : ماء لهم يصدر في دارة بيضاء . دارة غبير : لبني الأضببط بها ماء يسمى الغبير . الدهناء : موضع في بلاد بني تميم . درني : موضع . قال الأعشى :

حلّ أهلي ما بين درني فبادو  
لي ، وحلت علوية بالسخال »

وصرح ياقوت (٣) أنه رأى كتاباً لأبي الحسن علي بن محمد العمراني الخوارزمي ، المتوفى نحو ٥٦٠ هـ ، وإن مؤلفه وقف على كتاب شيخه الزمخشري وزاد عليه . وعبارة

(١) معجم البلدان ١/٧ .

(٢) ٥٤ .

(٣) ١٥٥ .

ياقوت موهمة . فقد وسع العمراني مجال دراسته ، فشمّل العالم الإسلامي كله ، من خوارزم شرقاً إلى المغرب غرباً ، بل تعرض لبعض البلدان غير الإسلامية مثل القديونين ، وقرار ، وقنوة ، ومجدونية ، من بلاد الروم ، ووضح ان اكثرها غير مشهور ، مما قد يدل على انه حاول ان يتحدث عن بلاد الروم كلها . ووضح من نقول ياقوت عنه كثرة المواضع غير العربية التي تعرض لها .

ورتب العمراني كتابه « المواضع والبلدان » على الألفباء ، ولكنه لم يقتصر على الحرف الأول كأستاذة . فقد ذكر ياقوت (١) : « قال ابو الحسن الخوارزمي : عيقة : موضع ذكره في هذا الباب من العين مع الياء » . فدل على انه راعى الحرفين الأولين على الأقل . وذكر ياقوت (٢) ان العمراني وضع قلبها بالياء بعد قلبها بالياء ، مما قد نستنتج منه انه راعى حروف الكلمة كلها . ولكن ذلك غير ضروري ، لأنه - فيما يبدو - كان يضع المواضع المتشابهة في الخط ، فيخاف عليها اللبس والتحريف ، في موضع واحد ، مما يؤيد قول ابن خلكان ان عنوان الكتاب (٣) « ما اتفق لفظه وافترق معناه في الاماكن والبلدان المشبهة الخط » . ويبدو انه في داخل كل فصل لم يراع الترتيب فقد قدم قلبها بالياء على الثانية مرة ، ولكنه قدم قراش بالشين على قراس ، في فصلها (٤) .

واختلف العمراني مع استاذة في ضبط بعض الاماكن . فقد ضبط الزمخشري حقال (٥) بكسر الحاء وتخفيف القاف ، وضبطه هو بفتح الحاء وتشديد القاف ، وقال ياقوت (٦) : « قال العمراني : مَرَجَحْ - بفتح الميم والباء : رمل من رمال زرود ، وعن جار الله بضم الميم وكسر الباء » .

وحاول العمراني أن يحدد مواقع المواضع التي تحدث عنها ، فأفلح في بعضها ، ولم يفلح في بعضها الآخر ، وخاصة البعيدة عن موطنه وعن الجزيرة العربية ، فاكتفى في كثير منها

(١) ٢٥٣/٣ . (٢) ١٦٨/٤ . (٣) ٤٢١/٣ .

(٤) ١٧/٤ . (٥) ٢٩٨/٢ . (٦) ٤٨٣/٤ .

أو أكثرها بأنها مواضع ، أو مواضع بمصر ، أو المغرب ، أو بلاد الروم ، أو ما شاكل ذلك .

قال : <sup>(١)</sup> « الأعيان ، بالنون : موضع ، في قول عتبية بن الحارث بن شهاب اليربوعي :

تروحننا من الأعيان عصراً فاعجّلنا الإلاهة أن ترووبا

هكذا رواه أبو الحسن العمري . ورواه الأزهري : تروحننا من اللعناء .

وقال <sup>(٢)</sup> : رَزَيْبِط ... مدينة بالمغرب ، عن العمري .

ويبدو أن ياقوتاً كان سيء الظن بالعمري ، فشك في كثير من مواده <sup>(٣)</sup> ، وعدل عن

ضبطه <sup>(٤)</sup> ، وحكم عليه بالتصحيح في الضبط والحروف <sup>(٥)</sup> ، ولم يرض عن تحديده لبعض

المواقع <sup>(٦)</sup> ، ورمأها بالخطأ <sup>(٧)</sup> . ثم اتهم العمري بسوء الفهم ، حتى اعتقد أن مسهرة أرض

وهي قبيلة <sup>(٨)</sup> ، وأن حليلة المذكورة في المثل « ما يوم حليلة بسر » موضع وهي امرأة <sup>(٩)</sup> ،

وأن ربا التي ذكرها جرير موضع وهي امرأة <sup>(١٠)</sup> .

والف أبو الفتح نصر بن عبدالرحمن الفزاري الإسكندري <sup>(١١)</sup> ، المتوفى في ٥٦٠ هـ ،

كتاب « أسماء البلدان والأمكنة والجبال والمياه » الذي أعجب به ياقوت كثيراً واتخذ منه

أحد العمد الرئيسة التي رفع عليها معجمه ، بحيث رأى محققه أن من العبث فهرسة

المواضع التي ذكر فيها نصر .

ومن العسير - في مثل هذه الحالة التي التحمت فيها مادة نصر بمادة ياقوت - أن نتبين

(١) ٣١٧ / ١ (٢) ٧٠٥ / ٢

(٣) ١٠٨ / ٣ ، ٣٤٤ ، ٤٥١ ، ٧٧٤ وغيرها .

(٤) ٧٣٩ ، ٧٧١ ، ٩٢٠ وغيرها .

(٥) ٤٦٩ ، ٩٥١ ، ١٠٨ / ٣ ، ١٥٦ ، ٢٤٥ ، ٦١٧ وغيرها .

(٦) ٤٤١ / ٢ (٧) ٥٧١ / ٢ (٨) ٧٠٠ / ٤

(٩) ٣٢٥ / ٢ ، وانظر ٣ : ١٢٥ (١٠) ٨٨١ / ٢

(١١) ياقوت : معجم البلدان ١ / ٨ . وانظر حديث كراتشكوفسكي عن المخطوطة المحفوظة بالمتحف

البريطاني منه ، ٣٢٢ - ٣٢٣ .

خصائص منهجية لنصر . ولكن الواضح أن نصراً كان ميالاً إلى الدقة في تحديد المواضع التي يذكرها ، وكان يحددها بذكر ما يجاورها أو إقليمها أو قطرها ، أو ساكنيها من القبائل ، أو أكثر من واحد من الأمور السابقة . وحاول أن يصف ما يحتاج إلى وصف من الأماكن ، واعتمد على الشعر والحديث في استخلاص مادته . ولا نعدو الحق حين نظن أنه كان مرتباً على الألقاب ، لأن الكتب التي اختصرته أو اعتمدت عليه كانت كذلك .

قال نصر : الأُدواء - بضم الهمزة وفتح الدال : موضع في ديار تميم بنجد<sup>(١)</sup> ... أديم - أيضاً : عند وادي القرى من ديار عذرة ، كانت لهم بها وقعة مع بني مرة ، عن نصر<sup>(٢)</sup> ... نَهْمَد : جبل أحمر فارد ، من أخيلة الحمى ، حوله أبارق كثيرة في ديار غنى<sup>(٣)</sup> .  
وألف محمد بن أبي القاسم بن بايخوك البقالي ، المتوفى في ٥٦٢ هـ ، كتاب « منازل العرب ومياها<sup>(٤)</sup> » ولكنني لم أعثر على مقتبسات منه تهديني إلى حقيقته ، ومنهجه ، وقيمه .

ولم يكن ياقوت وحده المعجب بكتاب أبي الفتح الإسكندري ، بل أعجب به أكثر من جاء بعده من المؤلفين . فاختصره أبو موسى محمد بن عمر المديني الأصفهاني ، المتوفى في ٥٨١ هـ ، في كتابه « ما اختلف واثلف من أسماء البقاع<sup>(٥)</sup> » .

وقد وقف ياقوت على الكتاب ومدحه ، قال<sup>(٦)</sup> : « تأليف رجل ضابط ، قد أنفد في تحصيله عمراً ، وأحسن فيه عيناً وأثراً » . وقد تعرض فيه للأماكن العربية ، وغير العربية ، واتسم تحديده مواقعها بالدقة . قال<sup>(٧)</sup> : « المضيح : جبل بنجد على شط وادي الجريب من ديار ربيعة بن الأصبط بن كلاب ، كان معقلاً في الجاهلية ، في رأسه متحصن وماء » .

وذكر في المواضع التي تحدث عنها من ينسب إليها من العلماء . ويبدو أن هذا من

(١) ١٧٠ / ١ (٢) ١٧١ / ١ (٣) ٩٤٢ / ١

(٤) السبوطي : البنية ٩٢ . (٥) ياقوت : معجم البلدان ٨ / ١

(٦) ٨ / ١ (٧) ٥٦٠ / ٤

زياداته على أبي الفتح الإسكندري ، لأن أكثرها منسوب إليه في معجم ياقوت . فإن كان الأمر كذلك ، كانت تلك الظاهرة تتجلى في هذا الكتاب للمرة الأولى ، وإن كانت غير فذة لأنها كانت منتشرة في كتب الأنساب والأعلام ، لمعرفة الألقاب .

كذلك اتخذ أبو بكر محمد بن موسى الحازمي ، المتوفى ٥٨٤ هـ ، كتاب أبي الفتح الإسكندري أساساً لكتابه المسمى « ما اتفق لفظه واختلف مسماه من الأمكنة المنسوب إليها نفر من الرواة ، والمواضع التي ذكرت في مغازي رسول الله » أو « المؤلف والمختلف في أسماء البلدان » ، حتى قال عنه ياقوت <sup>(١)</sup> : « وجدت الحازمي - رحمه الله - قد اختلسه وادعاه واستجمل الرواة فرواه » . ويبدو أن ياقوتا كان حاقداً على الرجل ، قال : « ونقد كنت عند وقوفي على كتابه أرفع قدره عن علمه ، وأرى أن مرماه يقصد عن سهمه ، إلى أن كشف الله خبيثته ، وتمحّض المحض عن زبدته » . ولذلك لم يرجع إليه إلا مرات قليلة نعين منها أن الرجل كان يرد على المدني أحياناً <sup>(٢)</sup> ، وكان يذكر المنسوبين إلى المواضع التي يتحدث عنها <sup>(٣)</sup> .

ثم بلغ هذا الفرع اللغوي الجغرافي القمة ، حين ألف أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي ( ٥٧٤ - ٦٢٦ ) كتابه « معجم البلدان » ، الذي قام بطبعه المستشرق فردنند فستنفلد في ليبسك عام ١٨٦٦م في أربعة أجزاء كبار ، وآخرين للنهارس والتعليقات ثم طبع في القاهرة في ٨ أجزاء ، بدون فهارس ولا تعليقات في سنة ١٩٠٦ م ، ثم في بيروت حديثاً .

وكان المؤلف يرمي فيه إلى ما رمى إليه البكري قبله ، أعني تخليص أسماء ، الأماكن من التصحيف ، لأهميتها عند أهل العلوم المختلفة .

أما مادة الكتاب ، فهي - تبعاً لقول المؤلف في مقدمته - : « أسماء البلدان والجبال والأودية والقيعان ، والقرى والمحال والأوطان ، والبحار والأنهار والغدران ، والأصنام والأبداد والأوثان » .

(١) ٢٠٥٦ : ٢ ، ٤٩٤ .

(٢) ٥٧٦ : ٢ .

(٣) ٨ / ١ .

ولم يقصر بحثه على بلاد العرب أو الخلافة الاسلامية ، بل تعداها إلى العالم القديم الذي عرفه المسلمون . واستمد هذه المادة من كتب المؤلفين السابقين في البقاع ، ومن كتب الأدب والحديث ، أو كما قال في مقدمته بعد أن ذكر بعض كتب البقاع : « وهذه الكتب المدونة في هذا الباب التي نقلت منها . ثم نقلت من دواوين العرب والمحدثين ، وتواريخ أهل الأدب والمحدثين ، ومن أفواه الرواة وتفاريق الكتب . وما شاهدته في أسفاري وحصلته في تطوافي أضعاف ذلك » .

ورتب الأسماء وفقاً لحروفها كلها : أصلية ومزيدة ، للمرة الأولى في هذا النوع . قال : « فأقسمه ثمانية وعشرين كتاباً على عدد حروف المعجم . ثم أقسم كل كتاب إلى ثمانية وعشرين باباً للحرف التالي للأول . وألزم ترتيب كل كلمة منه على أول الحرف وثانيه وثالثه ورابعه وإلى أي غاية بلغ . فأقدم ما يجب تقديمه بحكم ترتيب ا ب ت ث على صورته الموضوعه له ، من غير نظر إلى أصول الكلمة وزوائدها ، لأن جميع ما يرد إنما هي أعلام لمسميات مفردة ، وأكثرها مجمية ومرتبجة لامساغ للاشتقاق فيها » .

ووصف ياقوت منهجه في الحديث عن الأماكن التي تكلم عنها ، فقال : « فاستخرت الله تعالى وجمعت ما شئتوه ، وأضفت إليه ما أهملوه ... ووضعت وضع أهل اللغة المحكم ، وأبنت عن كل حرف من الاسم : هل هو ساكن أو مفتوح أو مضموم أو مكسور ، وأزلت عنه عوارض الشبهة ... ثم أذكر اشتقاقه إن كان عربياً ، ومعناه إن أحطت به علماً إن كان عجمياً ، وفي أي إقليم هو ، وأي شيء طالعه ، وما المستولى عليه من الكواكب ، ومن بناه ، وأي بلد من المشهورات يجاوره ، وكما المسافة بينه وبين ما يقاربه ، وبماذا اختص من الخصاص ، وما ذكر فيه من العجائب ، وبعض من دُفن فيه من الأعيان والصالحين والصحابه والتابعين [ والمنسويين إليه ] ، ونبدأ مما قيل فيه من الأشعار في الحنين إلى الأوطان ، والشاهدة على صحة ضبطه والإتقان ، وفي أي زمان فتحه المسلمون وكيفية ذلك ، ومن كان أميره وهل فتحه صلحاً أو عنوة ، لتعرف حكاه في النفي ،

والجزية ، ومن ملكه في أيامنا هذه . على أنه ليس هذا الاشتراط بمطواع لنا في جميع ما نوردّه ، ولا يمكن في قدرة أحد غيرنا ، وإنما يجيء على هذا البلدان المشهورة والأهات المعمورة ، وربما ذكر بعض هذه الشروط دون بعض على حسب ما أدانا إليه الاجتهاد .. واستقصيت لك الفوائد جلها أو كلها ... حتى لقد ذكرت أشياء كثيرة تأبأها العقول ... لبعدها عن العادات المألوفة ، وتنافرها عن المشاهدات المعروفة » .

وإذن فالكتاب يتأثر باللغويين في ترتيب الأسماء ، وضبطها ، وإبانة اشتقاق العربي منها ، ومعنى الأعجمي ، وفي تحديد أبعاد الأماكن بما جاورها من البقاع المشهورة ، والاستشهاد بالشعر على الضبط والتحديد . ويتأثر بالجغرافيين في إبانة أقاليم المواضع ، وخطوط طولها وعرضها ، وبالفلكيين في الكشف عن طالع كل منها تبعاً للكوكب المستولى عليه . ويأخذ من التاريخ تاريخ المدن ، والمنسويين اليها ، وفتح المسلمين لها ، وأميرها في عصر ياقوت . ويستمد من المأثورات الشعبية كثيراً من القصص والأخبار ، المتعلقة ببناء هذه المدن ، وخصائصها ومعجزاتها .

وصدر ياقوت كتابه بمقدمة جغرافية طويلة ، اشتملت على خمسة أبواب ، عالج فيها صورة الأرض ، وتقسيمها إلى أقاليم ، ومعاني المصطلحات الكثيرة الدوران في الكتاب وحكم البلاد التي فتحها الإسلام في الفتي ، والحراج ، وجملاً من أخبار بعض البلدان . وكلها أمور لا تدخل في نطاق بحثنا هذا .

وقد وصف كراتشكوفسكي أهمية معجم ياقوت ، فقال <sup>(١)</sup> : « هو أوسع وأهم ، بل وأكاد أقول أفضل مصنف من نوعه لمؤلف عربي للعصور الوسطى . ولتكوين فكرة عن حجمه يكفي أن نذكر أن المتن المطبوع يضم ٣٨٩٤ صفحة . وهو جامع للجغرافيا في صورها الفلكية والوصفية واللغوية وللرحلات أيضاً ، كما تنعكس فيه الجغرافيا التاريخية إلى جانب الدين والحضارة والاثنولوجيا ( علم الأجناس والفصائل البشرية ) والأدب الشعبي

وذلك في القرون الستة الأولى للهجرة . ويقرب عدد الشواهد الشعرية وحدها فيه - وذلك بين صغيرها وكبيرها - من الخمسة الآلاف .

واستخرج ياقوت من معجمه كتاباً مختصراً باسم « المشترك وضعاً والمفترق صقعا » . حذف منه كثيراً من الإطلاقات الجغرافية والأخبارية ، فاقرب به من كتب اللغة ، وجمله في مجلد واحد .

ووصل إلينا مصنف آخر يختصر معجم ياقوت تحت اسم « مرصد الاطلاع على أسماء الأماكن والبقاع » واختُلف في صاحبه ، فنسبه بعضهم إلى ياقوت ، ويبدو أنه خدعهم ما أعلنه ياقوت في مقدمة المعجم عن طلبوا إليه اختصاره . ونسبه بعضهم إلى صفي الدين عبدالمؤمن بن عبدالحكم (المتوفى في ٧٣٩) وبعضهم الآخر إلى السيوطي (المتوفى في ٩١١) ونختم بالإشارة إلى كتاب المنفق وضعاً والمختلف صقعا لأبي طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي الشيرازي صاحب القاموس المحيط<sup>(١)</sup> (٧٢٩ - ٨١٧) ، ولم يصل إلينا .

وصفة القول أن هذه الكتب جميعاً كانت تهتم بالاسم أكثر من المسمى ، باعتبار الاسم من المادة اللغوية التي تعالجها في الشؤون الأخرى ، واعتمدت على الشعر والأخبار العربية في استخلاص هذه الأماكن وتحديد مواقعها ، كما يعتمد عليه اللغويون في تفسير ما يريدون تفسيره من ألفاظ ، وأقامت تحديدها للمواقع على ذكر الأماكن المجاورة وأبعادها عنها بالمراحل والأيام ثم الأميال والبرد .

واختلفت بعد ذلك . فكان الأصمعي (في جزيرة العرب) والبكري والإسكندري وعرام والسكوني وياقوت أقرب من غيرهم إلى الدقة في تحديد المواضع التي يتحدثون عنها ، وكان أكثرهم دقة عرام والإسكندري وياقوت . وأتت الدقة إلى عرام والسكوني من وصفهم رحلات يقوم بها المسافر ، وما يمر به من مواضع على التوالي . أما الدقة فتمتد

(١) السخاوي : الضوء اللامع ١٠ / ٨٢ . الشوكاني : البدر الطالع ٢ / ٢٨٢ . السيوطي :

عند ياقوت على معلوماته الجغرافية البحتة ، حتى كان يحدد المواقع بخطوط الطول والعرض .  
وتوسع البكري وياقوت في الشواهد التي استخلصوا منها أما كتبهم . فاعتمد البكري  
على الأحاديث النبوية والأخبار العربية إلى جانب الشعر . واعتمد ياقوت على ذلك كله ،  
وأضاف إليه كثيراً من الكتب التاريخية والجغرافية وغيرها .

وكانت الجزيرة العربية وما تاخمها من أقطار عربية هي موضع دراسة المؤلفين الأولين .  
ولم يشذ عنهم غير الجاحظ الذي تناول بلاداً غير عربية . وبقي الأمر كذلك حتى القرن  
السادس ، فوسع المؤلفون مجالهم وتناولوا المدن الإسلامية الأخرى ، ثم توسع ياقوت إلى  
بقية أنحاء العالم القديم .

واختلفوا في ترتيب الكتب . فسار الأولون كما كانوا يسرون في الرسائل اللغوية  
الصغيرة ذات الموضوعات الواحدة ، مثل كتب الإبل ، والخيول ، وغيرها . فلم يرتب بعضهم  
كتابه ، مثل الأصمعي في داراته . ولكنه رتب جزيرة العرب وفقاً للأقاليم والتبائل التي  
تتلها ، وقسم عرام كتابه قسمين : واحداً لتهامة ، والآخر للاحجاز ، واتبع في الوصف  
ما يمر به المسافر بين المدينة ومكة من أماكن على التوالي . ثم ابتداء الترتيب الألفبائي قاصراً  
على حرفين في المغرب العربي عند أبي عبيد البكري ، وعلى حرف واحد في المشرق عند  
الزنجشيري ، ثم على حرفين عند العمراني ، إلى أن بلغ كماله عند ياقوت الذي راعى حروف  
الكلمة كلها : أصلية كانت أو مزيدة .

واتفق البكري وياقوت على ضبط الأسماء بالعبارة ، وإبانة حقيقة حروفها والحركات  
عليها ، والإشارة إلى اشتقاقها ، خشية أن يلحقها التحريف ، الذي كان السبب الذي دفعهما  
إلى تأليف معجميهما .

ثم اتجه كل منهم اتجاهاً خاصاً في المواد التي عنى بها في كتابه . فاهتم ابن الكلبي بتفسير  
أسماء البلاد وتعليلها ، وإيراد الخرافات المتصلة بذلك . وعنى أبو نصر الإسكندراني ، وأبو  
موسى الأصفهاني ، وأبو بكر الحازمي بذكر العلماء المنسوين إلى المواضع التي يعالجونها .

أما ياقوت فضم كل هذه الألوان - إذ أدخل هذه الكتب في معجمه - وأضاف إليها الأخبار التاريخية الكثيرة .

كل هذا جعل من معجم البلدان لياقوت القمى التي وصل إليها هذا اللون من التأليف والكتاب الذي يجمع كل اتجاهاته ، ويمثل كل الألوان ، ويضيف إليها ما أدخله من اتجاهات تاريخية وجغرافية . فقد مزج صاحبه فيه جميع ألوان الثقافة الإسلامية المتصلة به .

وقد تنبه أصحاب المعاجم اللغوية إلى هذا النهر منذ المعجم الأول . فأخذ الخليل بن أحمد في عينه منه بحظ يسير ، تعدى به شبه الجزيرة العربية إلى غيرها . ثم عبّ منه ابن دريد في جهرته ووسع الصغاني في عبابه مجاله . ثم حوّل الفيروزآبادي وضمه إلى الأنهار الأخرى التي صبها في قاموسه المحيط ، ثم شارحه السيد مرتضى الزبيدي . وتقوم الدعوة الآن إلى نفي هذا النهر عن محيط المعاجم ، إذ تعتبره دخيلاً على المجال اللغوي البحت . وأفاد أصحاب هذه الكتب بدورهم من المعاجم . فاستقى أبو عبيد البكري كثيراً من رسومه من جهرة ابن دريد . وأكثر ياقوت من الرجوع إليه وإلى الأزهري والجوهري وغيرهم . فتبادل كل من الفريقين التأثر والتأثير .

## المراجع

- الأصمعي: الدارات، المطبعة الكاثوليكية في بيروت، (في كتاب البلغة في أصول اللغة).
- ابن الأنباري: زهرة الألباء في طبقات الأدباء، مطبعة المعارف في بغداد ١٩٥٩.
- البيكري: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة.
- الثعالبي: ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، مطبعة الظاهر بالقاهرة ١٩٠٨.
- حاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، طبع تركيا ١٩٤٣.
- ابن حوقل النصيبي: صورة الأرض، الطبعة الثانية، لندن ١٩٣٩.
- الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، مطبعة السعادة بمصر.
- ابن خلكان: وفيات الأعيان، مكتبة النهضة المصرية.
- السخاوي: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، مكتبة انقدي بالقاهرة ١٣٥٥ هـ.
- السمهودي: وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، مطبعة الآداب والمؤيد بمصر ١٣٢٦ هـ.
- السيوطي: بغية الوعاة، مطبعة السعادة بالقاهرة.
- الشوكاني: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، مطبعة السعادة بالقاهرة ١٣٤٨ هـ.
- صالح أحمد العلي: المؤلفات العربية عن المدينة والحجاز - مستل من المجلد الحادي عشر لمجلة المجمع العلمي العراقي ١٩٦٤.
- عرام: أسماء جبال تهامة، نوادر المخطوطات، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ١٩٥٥.
- القفطي: إنباه الرواة، طبع دار الكتب المصرية بالقاهرة.

- كراتشكوفسكي : تاريخ الأدب الجغرافي العربي، نقله إلى العربية صلاح الدين عثمان  
هاشم ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ١٩٦٣ .
- ليل : ديوان عبيد بن الأبرص ، طبع أوروبا .
- مجلة المجمع العلمي العراقي ببغداد .
- مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق .
- المرزباني : معجم الشعراء ، دار إحياء الكتب العربية ١٩٦٠ .
- المسعودي : التنبيه والإشراف ، تحقيق روزن ، طبع أوروبا .
- : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، مطبعة السعادة بمصر ١٩٥٨ .
- المعلقات .
- المقدسي : أحسن التقاسم في معرفة الأقاليم ، مطبعة بريل ١٩٠٦ .
- ابن النديم : الفهرست ، طبع ليبسك .
- الهمداني : صفة جزيرة العرب ، مطبعة السعادة بمصر ١٩٥٣ .
- ياقوت : معجم الأدباء - طبعة أحمد فريد رفاعي .
- : معجم البلدان ، طبع ليبسك ١٨٦٩ .

## مصطلحات عمال الغزل والنسيج

أحال المجمع على لجنة فرعية مؤلفة من أعضائه السادة الدكتورة مصطفى جواد وإبراهيم شوكة وحميل الملائكة وصالح أحمد العلي الطلب المقدم من وزارة العمل والشؤون الاجتماعية لوضع مصطلحات لتسمية زهاء سبعين عاملاً يؤدون وظائف وأعمالاً مختلفة في الغزل والنسيج . وقد عقدت اللجنة عدة اجتماعات لهذا الغرض قدمت بعدها إلى المجمع مجموعة المصطلحات التي أوصت بها والتي أقرها المجمع بعد مناقشتها في جلسته المتقدمة في ١٤/٣/١٩٦٦ وفيما يلي قائمة بهذه المصطلحات :

Spinner	غزّال
Weaver	نسّاج
Knitter	سرّاد
Dyer	صبّاغ
Fibre Preparer	اليافي (اليافيتون)
Bale Transferer and Opener	فضائدي
Fibre Softener, Grader and Classifier	فراز
Fibre Mixer and Blender	خلائط
Rag Machine Man (Wool)	خرقي (بكسر ففتح)
Wool Fibre Scourer	مصول
Sketcher	نسّاق

Lap Carrier	لفائمي
Fibre Picker	لقاط
Fibre Carder (Wool and Jute)	مسرّح (صوف)
Fibre Carder (cotton)	مسرّح (قطن)
Gill Box Operator	ضفائري
Fibre Comber	ممشط
Wool Silvers Dryer and Washer	راحص
Fibre Lapper	ملفان
Fibre Drawer	جرّار
Fibre Slubber and Rayer	فتّال
Jute Softener	مرّقق
Thread and Yarn Winder,	مدوّر
Thread and Yarn Doubler	متّام
Thread and Yarn Twister	برّام
Thread and Yarn Conditioner	منبسط
Reeler	مسلسل
Pressman	رصاص
Beam Warper (Beamer)	مُسدي
Hand Loom Threader	مُسلك
Warp Tier	عقاد
Loom Gaster	معدّل
Hand Loom Weaver (Cloth)	نساچ
Machine Loom Weaver (Cloth)	حائك

Jacquard Loom Weaver	رامل
Lace Machine Weaver	شراطلي
Hand Loom Weaver ( Carpet )	سجادي
Machine Loom Weaver (Carpet )	طنافسي
Machine Loom Weaver (net )	شبيكي
Loom Fixer	منوئل
Power-Driven Machine Knitter	حباك
Hand-Operated Machine Knitter	حباك
Knitting Machine Setter	مُحكِّم
Pattern-Card Preparer	مقوياتي
Card Cutter Jacquard	مخرم
Textile Bleacher	قصار
Dyeing Solution Preparer ( Yarn and Fabric )	أصبغحي
Dyer ( Yarn )	صبغ ( غزول )
Dyer ( Fabric )	صبغ ( نسج )
Dyer ( Garment )	صبغ ( اردية )
Textile Washer	غسالي ( نسيج )
Gummer	مصمغ
Textile Carbonizer	مشذب
Textile Shrinker	مقلص
Yarn Textile Fuller	ممتن
Cropper or Shearing Machine Man	جزاز

Hydro Extracting Machine Man	عصار
Drying Machine Man	مجفف
Textile Waterproofer	كنام
Fabric Calender	كواء
Fabric Decatizer	مبخّر
Fabric Folder	لفاف
Raising Machine Man	نفاش
Silk Weighter	مقبّل
Fabrics Examiner	فاحص
Fabrics Cleaner	تناس
Fabrics Repairer	رفاء
Braid Maker (Hand)	جدال
Braid Maker (Machine)	ضفّار
Crocheting-Machine Operator	وشاء

# باب الكتب

## تاريخ علماء المستنصرية

تأليف الأستاذ ناجي معروف

نقد الدكتور مصطفى هوار

الطبعة الثانية منه ، طبعت في مطبعة العاني سنة ١٣٨٤ هـ = ١٩٦٥ م في مجلدين ،  
أولهما في ثمانين وأربعمائة صفحة ، والثاني في خمس وعشرين وثلاثمائة صفحة ، سوى  
الفهارس وما أشبهها فهي من الصفحة ٣٢٦ الى الصفحة ٥١٦ ، وقد طبع الكتاب طبعاً  
متقناً على ورق أبيض جيد .

قد كان الأستاذ ناجي معروف نشر هذا الكتاب الجامع النافع في مجلد واحد سنة  
١٣٧٩ هـ = ١٩٥٩ م في مطبعة العاني المشار إليها آنفاً ، ثم أعاد طبعه وقال في تقديمه  
للطبعة الثانية - ج ١ ص ١٠ - « وأزيد اليوم على ذلك أنني استطعت أن أعثر على معلومات  
أخرى تتعلق بالمدارس المشتركة بين ثلاثة مذاهب ، ووجدت مدرستين أنشئت على المذاهب  
الأربعة الأولى بحلب من الديار الشامية والأخرى بمكة المكرمة ، وبذلك أمكن القول بأن  
المدارس التي بنيت على غرار المستنصرية ، من حيث المذاهب الأربعة كانت في العراق ومصر  
والشام والحجاز ، كما عثرت على عدد آخر من علماء المستنصرية وفقائها ، أضفتهم الى ذلك

الثبت الطويل الذي سجلته في الطبعة الأولى ، وقد صححت في هذه بعض التراجم التي نقلتها من تلخيص مجمع الآداب في معجم الأسماء والألقاب لابن الفوطي...» ثم قال الأستاذ المؤلف في أبواب الكتاب : « أما تاريخ علماء المستنصرية هذا فقد جعلته في جزئين وقسمته الى اثني عشر باباً وبدأت الباب الأول بنظرة تحليلية في تاريخ هذه الجامعة وعلمائها وأثبت بالأدلة القطعية أنها أول جامعة إسلامية في العالم الاسلامي بل في العالم كله ثم بحثت في المدارس التي بنيت على صفتها ، وبحثت استمرار الدراسة فيها على عهد المغول وذكرت مستواها العلمي والمعاشي ونقدت المصادر التي استندت اليها في تأليفه ، وخصصتُ الباب الثاني لرجال الادارة فيها وتكلمت فيه على من تولوا النظر في مصالحها وفي إدارة أوقافها وعلى من كان معهم من المشرفين والخزان والكتاب والمستخدمين في شتى أمور هذه الجامعة... وقد أفردتُ باباً خاصاً بمجامع المستنصرية<sup>(١)</sup> تكلمت فيه على موقعه وخطبائه وأئمته ، كما أشرت الى الساعة والساعاتيين فيها في فصل خاص ، وذكرت في باب آخر دار الكتب المستنصرية وخزانتها وهي من دور العلم المهمة فيها ولذلك أسهبت في الكلام على خزائنها المشهورين والمشرفين عليهم والمناولين للكتب عندهم . ولئن اشتمل هذا الكتاب على عدد كبير من التراجم فالحق أني استنفدت الجهد وأفردت الوسع في جعل اكثر هذه التراجم بحوثاً قائمة على التحري والبحث ، توخيت فيها الحقائق العلمية الصحيحة ولذلك فهي تختلف عن غيرها من التراجم البسيطة التي لا تعتمد على التتبع والتقصي ، وشرحت في الباب الثاني عشر أثر علماء المستنصرية في الفكر الاسلامي والثقافة العربية بوجه عام... ورأيت بعد ذلك كله أن أختم الكتاب بذيول وملاحق بمادة الكتاب العلمية بصورة غير مباشرة... وقد ضبطت بالشكل كثيراً من الأعلام مخافة الخطأ فيها والتباسها على القارئ لاسيما إذا كانت متشابهة في الرسم كابن الحُصين وابن الحُصين وابن جزيرة وابن بوش<sup>(٢)</sup>

(١) هذه التسمية - أعني جامع المستنصرية - لم يرد ذكرها في النصر العباسي بل في العهد

الابليخاني . « م . ج » .

(٢) ذكره المؤلف في الصفحة « ١٥٠ » من الجزء بانهم « ابن القاسم يحيى بن أسعد بن يحيى بن تميم

ومصدق وابن المُرَّيخ والذهلي والذهلي . أو إذا كان مما يخشى تصحيفه أو يقرأ بأشكال شتى كالسنجاري والبخاري والابزاري والاثرياري وابن الفويره<sup>(١)</sup> والبرزبي وابن ورَّيده وابن الابري والحوي والأبرقوهي ... » . كذا قال « الخوي » وكذلك قاله في الصفحة « ٢٥٣ » من هذا الجزء وفي الصفحة ٢٩٦ وكذلك ذكره في الفهرست « ج ٢ ص ٤٢٦ » والصواب « الخويي » بأربع ياءات ، قال الذهبي في المشته - ص ١٣٠ - : « والخويي قاضي خوي أبو نعيم محمد بن عبيد الله ... وشمس الدين أحمد بن الخليل الخويي قاضي دمشق ... وأبو معاذ عبدان الخويي الطبيب ... والقاضي شهاب الدين محمد بن محمود الخويي الشافعي ... » . ولوورد « خوي » الأستاذ الفاضل بوجهين على الصحة وعلى الغلط ، لملنا الغلط على غلط الطبع بدا .

وقد ذكر المؤلف قصة تأليفه هذه الكتاب الجليل وولعه بموضوعه ، قال في الجزء الثاني منه - ص ٢٣٩ - « لقد كتب عن المستنصرية وعلمائها قديماً وحديثاً عدد من الكتاب والمؤلفين والرحالين والمستشرقين منذ سنة ٦٢٥ هـ (١٢٢٦ م) حتى اليوم ، وقد كنت أول من نشر عنها رسالة على هيئة كتاب صغير قبل ثلاثين سنة أي في عام ١٩٣٥ م ومنذ ذلك التاريخ وأنا أتحري المخطوطات العربية في بلاد الغرب وفي البلاد العربية والاسلامية حتى ظفرت بمعلومات قيمة عنها وعن علمائها فأذعت عنها من دار الاذاعة العراقية أحاديث مختلفة ونشرت عنها بحوثاً ورسائل منها : مقدمة في المستنصرية وعلمائها سنة ١٩٥٨ م وعلماء المستنصرية سنة ١٩٥٩ م وتاريخ علماء المستنصرية في مجلد ضخيم سنة

== بوش » وفي الصفحة ٢٣٤ « يحيى بن يونس » وفي الصفحة « ٢١٠ » من الطبعة الأولى « يحيى ابن أسعد بن كوشي » ، وفي الصفحتين ٧٦ و ٢٢٤ منه « يحيى بن بوش » وهو الصحيح . وقال في الفهرست في يحيى بن يونس « ولعله يحيى بن يونس » مع أنه يحيى بن بوش نفسه وغير محتاج الى « لعله » وقد ذكره بضبطه الفيروز آبادي في القاموس .

(١) نس الذهبي في كتابه في طبقات القراء على أن الفويره من الفروهة - يعني الفراهية - وكذلك قال التقي الفاسي في منتخب المختار « ص ٨٣ » وقال شمس الدين ابن الجزري في غاية النهاية ١ : ٣٧٢ « الفويره من الفروهية تصغير فاره لحسن فهمه » . وهذا من الواضح بأجلى مكان !؟

١٩٥٩ م وأول جامعة ببغداد سنة ١٩٦٥ م وخزانة المستنصرية سنة ١٩٦٥ م ثم تاريخ علماء المستنصرية في مجلدين ضخمين سنة ١٩٦٥ م وهو هذا الكتاب الذي بين يدي القارئ، وهذا عدا ما نشرته عنها في موجز تاريخ الحضارة العربية سنة ١٩٤٩ م وفي تاريخ العرب سنة ١٩٤٩ م والمدخل في تاريخ الحضارة العربية سنة ١٩٦٠ م .

فهذا الكتاب نتيجة بحث وتحقيق وتقص وتدقيق دامت مدة ثلاثين سنة، وهو عمل تاريخي جليل يستحق الثناء الأوفى، ويبعث على الإعجاب والاكبار له، وقد مرّ في كلامنا ذكر الباب الأول وهو نظرة تحليلية في تاريخ المستنصرية وعلمائها وفيها كلام على أنواع المدارس الفقهية والمدارس التي بنيت على المذاهب الأربعة أو بناء المدارس على صفة المستنصرية والمدرسة المستنصرية والدراسة فيها على عهد المغول وفيما بعد الغزو اللنكي والمستوى العلمي فيها، ومستوى المعيشة لطلابها ومصادر البحث عنها وعن علمائها .

والباب الثاني اشتمل على رجال الإدارة في المستنصرية والباب الثالث على مدرسة (١) الفقه المستنصرية، والباب الرابع في مدرسة القرآن أو دار القرآن والباب الخامس في مدرسة الحديث أو دار السنة المستنصرية والباب السادس في مدرسة الطب المستنصرية والباب السابع في مشيخة الأدب العربي بالمستنصرية والباب الثامن في مشيخة العلوم فيها والباب التاسع في الأئمة والخطباء في جامعها والباب العاشر في الساعاتيين فيها والباب الحادي عشر في مكتبة المستنصرية والباب الثاني عشر في أثر علماء المستنصرية في الثقافة الإسلامية .

وألحق بالكتاب ملحقات وذيولاً، فالملحق الأول في سيرة المستنصر بالله منشىء هذه المدرسة الفخمة، والملحق الثاني في أوقاف المستنصرية، والملحق الثالث في العلماء الذين امتنعوا عن التدريس بالمدرسة والملحق الرابع في العلماء الذين تطاولوا بالتدريس فيها

(١) هذا اسم جديد اختاره للمؤلف، وعليه ينبغي أن يقال مثلاً « درس فنون الفقه الحنبلي في مدرسة الفقه بالمدرسة المستنصرية وقرأ القرآن في مدرسة القرآن » وهو غير موافق للتاريخ، فأقسام المستنصرية المذهبية لم تكن تسمى مدارس، بل طوائف، وفيها دار القرآن كما ذكر المؤلف الفاضل بعد « مدرسة القرآن ». والالتزام بمصطلحات النجوم من اللوازم .

والمحقق الخامس في زوار المدرسة المذكورة ومكتبتها والملحق السادس في الدعوات والولائم فيها والملحق السابع في المآتم المقامة بها والملحق الثامن في نزلاء المستنصرية والمقيمين والملحق التاسع في مجالس المظالم بها ، وفض الخصومات فيها ، والملحق العاشر في المجالس العلمية بها والملحق الحادي عشر في المستنصرية عبر العصور والملحق الثاني عشر في قاموس المستنصرية .

وقد زوّد الكتاب خوارط وصوراً عدّة ، فأصبح الكتاب بجميع ما قدمنا ذكره شبه دائرة معارف للمستنصرية ، وقد تعرض المؤلف الفاضل لذكره في كتابه هذا غير مرة أكثرها على سبيل الاستدراك ، حتى في غلط الطبع ، واني لجدت شاكر له ما دامت نيّته خالصة لوجه التاريخ الصحيح ولعله أجاب رجائي الذي ضمنته الصفحة ٧٨ من تقدمتي للتلخيص ، وأحسبه أرحب مني صدراً للاستدراك الذي أستدركه عليه ، فأقول :

١ - قال في الصفحة الثلاثين من الجزء الأول : « وأما دور الحديث فقد كانت من مبتكرات الشهيد نور الدين زنكي » ثم قال في الفهرست - ج ٢ ص ٤٨٧ - « نور الدين زنكي » ونقل في حاشية الصفحة ٣٣ أنه نور الدين محمود بن زنكي فأيتها يتبع قارىء كتابه ؟ أيتبع ما في الفهرست وهو خطأ ، والصواب ماورد في الصفحة الثالثة والثلاثين .

٢ - وذكر في الصفحة الثانية والثلاثين أنّ من المدارس الحنفية « المدرسة البهائية » وأعاد ذكرها في الصفحة ٥١ من غير تخصيص ، ولم يذكر مرجعاً تاريخياً يثبت كون المدرسة البهائية للحنفية ، والذي أعلمه أنّها كانت للشافعية ثم أخذها بعض الحنفية ثم أعيدت الى الشافعية سنة ٥٦٦ قال ابن الجوزي في حوادث هذه السنة <sup>(١)</sup> : « وقبض في يوم الجمعة خامس عشري <sup>(٢)</sup> جمادى الآخرة على أحمد القوي (١) وابنه وسعد الشرايى وأخذت مدرسة كانت للحنفية ، وقد كانت قديماً للشافعية وهي بالموضع السّمى بباب

(١) المتظم « ج ١ ص ٢٣٤ » .

(٢) في المطبوع المشار اليه « عشرين » مع أن المؤرخين المتأخرين عصباً أضافوه وحذفوا النون .

المدرسة على الشط وقد حضرتُ فيها مناظرة يوسف الدمشقي وبيده كانت ، وآل أمرها إلى أن سُلمت إلى محمد البروي فدرّس فيها وحضر قاضي القضاة وشيخ الشيوخ وحاجب الباب ومدرس النظامية وابن سديد الدولة [ محمد بن محمد بن عبدالكريم ابن الأنباري ] كاتب الانشاء .

والبروي هو أبو المظفر محمد بن محمد بن محمد بن محمد الفقيه الشافعي المتوفى سنة ٥٦٧<sup>(١)</sup> وقال الذهبي في مختصره لتاريخ ابن الديلمي في سيرته : « ثم قدم بغداد فرزق قبولاً وبها درس الأصول والجدل بالمدرسة البهائية وكان يحضر دروسه خلق وجلس للوعظ بالمدرسة النظامية وأعجب الناس كلامه ...<sup>(٢)</sup> » وعلقت على المدرسة البهائية ما هذا نصه « في الأصل بالمدرسة البهائية قريبة من النظامية . واكد ذلك مؤلف الأصل - أعني به ابن الديلمي - في ترجمته داود بن بندار الجيلي وكانت بالموضع المسمى بباب المدرسة على الشط ( المنتظم ج ١ ص ٢٣٤ ) فكأنها كانت في محل القهوة المقابلة من الشمال لقهوة الشط الحالية ولما نعلم إلى من نسبت ؟ أ إلى بهاء الدين أم إلى بها الدولة أو [ الملك ]<sup>(٣)</sup> كما نسبت النظامية إلى نظام الملك<sup>(٤)</sup> والتفتية إلى ثقة الدولة .

٣ - وقال في الصفحة الثانية والثلاثين : المدارس الشاقعية كالنظامية ومدرسة زمرد خاتون وهي مدرسة الأصحاب بالجانب الغربي قرب الشيخ معروف ... » وقد أعلم القاريء بهذا القول أن مدرسة السيدة زمرد خاتون كانت تعرف أيضاً بمدرسة الأصحاب ، ولم يذكر مرجعاً تاريخياً لقوله هذا ، ثم قال في الفهرست - ف ج ٢ ص ٣٥٢ - : « مدرسة الأصحاب ( أصحاب الشافعي : راجع مدرسة زمرد خاتون ) .

ورجعت إلى مدرسة زمرد خاتون في الفهرست فوجدت فيه إحالة على الصفحات « ٣٢ ، ٥١ ، ٢٠٥ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢٢٤ » فابتدأت بالصفحة الحادية والخمسين فإذا هو يقول فيها :

(١) المنتظم « ج ١ ص ٢٣٩ » والمختصر المحتاج إليه « ج ١ ص ١١٦ » .

(٢) المختصر « ص ١١٦ - ١١٧ » .

(٣) سقطت في التصحيح .

(٤) وردت « الدولة » مكان الملك من خطأ الطبع .

« والثقتية على شاطيء دجلة تحت دار الخلافة بباب الأزج لأصحاب الامام الشافعي » ويقول في التعليق عليها : « الثقتية بناها ثقة الدولة على بن محمد وكيل الخليفة المقتفي لأمر الله ، بناها للشافعية بباب الأزج على دجلة وكانت تعرف بمدرسة الأصحاب أي أصحاب الشافعي وبنى الى جانب المدرسة رباطاً للصوفية يعرف برباط الابري ورباط شهدة .. » ثم قال في ص ٢٠٥ : « ولما تولى تدريس مدرسة الأصحاب أي أصحاب الشافعي وهي المدرسة المعروفة بالثقتية » . واحال استناده الأول على ابن النجار في الورقة ٢٩ والمسمى بالحوادث الجامعة في ص ٦٤ والكامل لعزالدين بن الأثير في ١١ : ٨١ وابن العماد الاصفهاني ( كذا ) في الخريدة وابن خلكان في ترجمة شهدة وابن الجوزي في المنتظم » . فان كانت مدرسة الأصحاب مدرسة زمرد خاتون بالجانب الغربي قرب معروف الكرخي فكيف تكون مدرسة ثقة الدولة علي بن محمد بالجانب الشرقي بباب الأزج على دجلة ؟ ! ومن المستغرب أنه ذكر في صفحة قوله الأخير ما هذا نصه « ومدرسة زمرد خاتون والدة الناصر بالجانب الغربي لأصحاب الإمام الشافعي أيضاً » . فحدث في قوله تناقض بين سببه أنه ينقل أحياناً أقوال غيره ويتبناها فيتحمل ما يمكن وجوده فيها من الخطأ ، وهو لم يذكر هذا التعليق في طبعته الأولى لكتابه الجليل هذا ، ولكنه رجع الى تعليق لي علقته على الصفحة ٢٢٣ من القسم الأول من الجزء الرابع من تلخيص معجم الألقاب لابن الفوطي وهذا نصها « الثقتية من الثقة ويا النسبة منسوبة الى ثقة الدولة علي بن محمد ابن الابري<sup>(١)</sup> الشافعي وزوج شهدة بنت الابري التي قدمنا ذكرها في تعاليقنا ، بناها للشافعية بباب الأزج على دجلة أي محلة المربعة ورأس الساقية وتعرف أيضاً بمدرسة الأصحاب وتوفي سنة ٥٤٩ . ترجمة ابن النجار في تاريخه ، وذكره العماد<sup>(٢)</sup> الاصفهاني في الخريدة وابن خلكان في ترجمة زوجه شهدة وابن الجوزي في المنتظم وبنى الى جانب المدرسة رباطاً للصوفية ،

(١) في المطبوع الأنباري نقلا من ترجمة « شهدة » في وفيات الأعيان . وهو تصحيف والصواب « الابري » كما في خريدة القصر « قسم العراق ج ١ ص ١٤٤ » والمنتظم « ١٠ : ١٦٠ » .

(٢) ورد في المطبوع « ابن العماد » سهواً ، فنقل الأستاذ ناجي السهوي أيضاً واضطلع به راضيا .

عرف برباط الابري» فهو قد نقل هذه الحاشية وحذف منها تعيين محلة باب الأزج عصرياً وزاد على جملة « يعرف برباط الابري » قوله « ورباط شهدة » والزيادة خطأ ، وقد تحمّل خطئي في اعتدادي مدرسة ابن الابري ( مدرسة الأصحاب ) . والذي زاده من الاحالة على كامل ابن الأثير انترعه مني في حاشية علقها على الصفحة ٦٤ من المسمى بالحوادث الجامعة قديماً فقد ورد في ترجمة أبي عبدالله محمد بن فضلان الفقيه الشافعي أنه درس بمدرسة الأصحاب ، وقلت أنا في الحاشية ما هذا نصه « بناها ثقة الدولة بن الأنباري ( كذا ) كما في الكامل ١١ : ٨١ والوفيات ١ : ٢٤٠ » ، ونقل الاحالة على الكامل مني ولعله لا يملك الطبعة التي اقتنيتهُها ، وإنه - أعزه الله - في علمه وفضله لفي غنى عن الاحتواء حتى على الخطأ . والصحيح أن مدرسة السيدة زمرد خاتون هي المعروفة حقاً بمدرسة الأصحاب ، كما ذكر الأستاذ الفاضل في أحد قوليهِ المتناقضين ، وإن لم يذكر مرجعاً تاريخياً للتصحيح ، فان كان اعتمد عليّ على سبيل التوثيق فلماذا لم يذكر اسمي لتكون عهدة الخطأ عليّ؟ والنص التاريخي الذي يثبت ما قلت هو قول ابن الفوطي في ترجمة كمال الدين أبي القاسم عبد الرحمن ابن محمد البرجوني : « ودرس بمدرسة الأصحاب المجاورة لتربة أم الناصر [ زمرد خاتون ] في المحرم سنة أربع وستائة ... » (١) .

٤ - وقوله : « وبني الى جانب المدرسة رباطاً للصوفية يعرف برباط الابري ورباط شهدة » ذكرت في الاستدراكة الثالثة أن زيادته فيه « ورباط شهدة » خطأ ، لأن رباط زوجها غير رباطها ، وقد تقدّم أن رباط الزوج كان بباب الأزج على شاطيء دجلة ، مع أن رباط السيدة شهدة زوجها كان برحبة جامع القصر الذي بقية الحالية « جامع سوق الغزل » وأين محلة المربعة ومحلة رأس الساقية من محلة الشورجة ومحلة جامع سوق الغزل؟ ولا أدلّ على وهم الأستاذ الفاضل من قوله هو نفسه في الصفحة ٢٣٣ من هذا الجزء تعليقاً على اسم شهدة الوارد فيها : « نخر النساء شهدة بنت أبي نصر أحمد بن الفرج بن عمر البغدادي الشافعية وزوجها ثقة الدولة علي بن محمد مؤسس المدرسة الثقتية بباب الأزج شرقي بغداد (١) تلخيص معجم الألقاب ، ج ٥ في الترجمة ٣٩٨ من باب الكاف » .

وكان له أيضاً رباط يعرف باسم كما كان يعرف برباط شهدة يقع في رحبة جامع القصر الذي بقيت منه المنارة المعروفة بمنارة سوق الغزل « وسبب نسيانه لما ذكر في الصفحة ٥١ من كون رباط ابن الابري بجانب مدرسته بباب الأزج على شاطيء دجلة هو اطلاعه على تعليق لي ذكرته في الصفحة ١٢٦ من القسم الأول من الجزء الرابع من تلخيص معجم الألقاب لورود ذكر « رباط الكاتبة » فيها ، قلت : « غنى بالكاتبة هنا المحدثه الأدبية المشهورة شهدة بنت الابري المتوفاة سنة ٥٧٤ وسيرتها مشهورة ولعلنا نعود الى ذكرها وترجمتها في المنتظم ووفيات الأعيان وغيرها من كتب التاريخ والتراجم المستوعبة لعصرها ، وكان رباطها في رحبة جامع القصر المعروف أيضاً بجامع الخليفة وكان من بقايا أرض جامع سوق الغزل ، الذي دخل في شارع وسط بغداد الجديد . مجلة سومر ج ٢ ص ١٩٠ مج ١١ سنة ١٩٥٥ . فالصحيح أن رباط شهدة كان في رحبة جامع القصر وأن رباط زوجها ثقة الدولة كان بباب الأزج على شاطيء دجلة .

٥ — وقال في الصفحة ٤٢ في ذكر المدرسة المستنصرية : « وكان مكانها اصطبلات ومشرعة للمزملات كما ذكر الصديقي » وقال التعليق ٣٤ : « الصديقي ، الورقة ٢٢٧ وهو ينفرد بهذه الرواية ... » ثم لم يلبث أن ذكر في حاشية الصفحة ١١٠ جامع الحظائر المعروف بجامع الخفافين وجامع الصاغة وذكر المستنصرية ودار الزعيم سنقرجه وقال : « وقد بنيت هذه المباني في أرض كانت تعرف بمشرعة المزملات كما يقول ابن النجار وكان مكان المستنصرية بوجه خاص اصطبلات كما يذكر ابن أبي السرور الصديقي » إذن لم يذكر الصديقي أن المستنصرية كان مكانها مشرعة للمزملات كما جاء في قوله الأول ، فان النقل الأول يشعر بجمعه بين القولين والنقل الثاني يشعر بتفرده بذكر الاصطبلات ، ثم إن الاستاذ الفاضل لم يذكر لقول ابن النجار مرجعاً تاريخياً ، كما ذكر لقول الصديقي .

٦ — وتطرق في الصفحة ٤٧ من هذا الجزء إلى ذكر نجم الدين البادرائي القاضي وإنشائه مدرسة للشافعية ، فقال : « وقد ذكر اليونيني في ذيل مرآة الزمان ج ١ ص ٧١ أن نجم الدين البادرائي ولد سنة ٥٩٤ وأن الطلاب في النظامية كانوا يلقبونه بالدعشوش

وأنه أنشأ مدرسة للشافعية بدمشق في مكان دار أسامة بن منقذ عرفت بالبادرائية . ولما قرأت قوله « دار أسامة بن منقذ » استغربت اسم الأب ، فرجعت الى ذيل المرأة فاذا نصه « فابتاع من ذلك دار أسامة بدمشق وعمّرها مدرسة للشافعية » . فعلمت أنه أضاف من عنده « ابن أسامة » . وهذه الزيادة خطأ منه فلم تكن الدار المذكورة دار أسامة بن منقذ الكِنَانِي الشيرزي بل دار أسامة الجبلي ، هذا الذي حفظناه في أثناء مطالعتنا التواريخ ، قال أبو المظفر سبط ابن الجوزي في ذكر بناء الدور بالقهر والاعتصاب والانتهاج : « وكذا جرى في زماننا فان أسامة الجبلي بنى داره بدمشق على هذا الوجه فأخربها الله على يد أيوب ابن الكامل محمد في سنة ٦٤٧ وكان أسامة قد غرم عليها أموالاً عظيمة وأخذ أراضى الناس والآلات بدون الطيف وضح فيه قول القائل: الحجر المعصوب في البناء أساس الخراب ، لبث الحلال سلم فكيف الحرام ، وكانت هذه الدار سبب هلاك أسامة فان المعظم عيسى - رح - اعتقل أسامة وأخذ قلاعه وأمواله وضياعه وأنسابها ومن جملتها قلعان : كوكب وعجلون ومات في حبسه بالكرك<sup>(١)</sup> وما هي من الظالمين ببعيد ، إن أخذه أليم شديد<sup>(٢)</sup> » . ثم ذكر السبط خبراً لهذه الدار في حوادث سنة ٦٣٩ - ص ٧٠٧ - من هذا الجزء .

٧ - ومثل للتصحيح الواقع في الأعلام قائلًا في الصفحة ٦٤ « وابن القويرة ، شيخ دار الحديث بالمستنصرية يذكر في صورة القويرة والعُويدة تارة والقويرة والقويزة تارة أخرى » ، وأحال بالتصحيح على الشذرات « ٥ : ٤٣٨ » وتاريخ العراق بين احتلالين « ١ : ٣٨١ » والدرر الكامنة « ١ : ١٠٦ » وابن رجب « ٢ : ٤٦٤ » . ثم قال في حاشية الصفحة ٢٤٣ من هذا الجزء في ترجمة هذا الشيخ : « جاء في طبقات الحنابلة ( كذا يعني ذيلها ) ٢ : ٤٦٤ القويزة وفي تاريخ العراق بين احتلالين ١ : ٣٨١ القويرة وفي الدرر

(١) راجع تفصيل ذلك في النجوم الزاهرة « ٧ : ٢٠٥ : ٢٠٦ » وأخبار دار أسامة الجبلي في ص ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٦٢ منه .

(٢) امرأة الإيمان « ٨ : ١٨ » طبعة حيدر آباد الدكن .

١ : ١٠٦ التويذة والعويذة وقال الدكتور مصطفى جواد في الحاشية ١ من ص ٣٩٧ من تلخيص مجمع الآداب ج ٤ ( ولقب بالتويذة تصغير الفارة ) وكلها تصحيف لكلمة الفويره . فهو قد أعاد ما ذكره في متن الصفحة ٦٤ وزاد عليه دعواه أي وهمت في الاسم كما وهموا<sup>(١)</sup> ، مع أني ذكرت في الحاشية التي أشار إليها من تلخيص مجمع الآداب أنه ابن الفويره وقد ترجمه الذهبي في عدة كتب من كتبه والصفدي في تاريخه وابن رافع ( في ذيل تاريخ بغداد الباقي منه المنتخب لالتقي الفاسي ) وغيرهم كمؤلف الشذرات ٥ : ٤٣٨ . وفي هؤلاء من صرحوا بأن الفويره من الفروده أو الفروهية ، فكيف يعقل أن أصرف الفروهية الى الفارة المعروفة؟! ثم إنه ادعى أن الاسم صحف في الشذرات والحقيقة أنه ورد فيه صحيحاً . نعم لو كان الاستاذ الفاضل وجد هذا التصحيح فيما لانعرفه من الكتب لشكرناه على تصحيحه ولكنه يحاسبنا على غلط الطبع . قد أشرت الى الاسم في حاشية ص ٢٣١ .

٨ — واستمر في الصفحة ٦٦ على تمثيله للتصحيح الوارد في غير الأعلام قائلاً : « ثم دقق العبارة التالية في منتخب المختار عن ابن الفصيح الكوفي الحنفي مدرس العربية بالمستنصرية : وله مصنفات في المذاهب ونظم النافع في العقد ، كيف تحرفت من العبارة الصحيحة ، وهي : وله النظم النافع في الفقه ه » . وقد أحسن الأستاذ الفاضل في إعادة « العقد » المصحف الى « الفقه » الصحيح ولكنه أخطأ باضافة « أل » التعريف الى « نظم » فأصل الجملة مضاف ومضاف إليه ، و « النافع » من كتب الفقه الحنفي المشهورة وهو في الفروع تأليف الشيخ الامام ناصر الدين أبي القاسم محمد بن يوسف الحسيني<sup>(٢)</sup> . وقد اعترف المؤلف الفاضل في كتابه هذا « ج ٢ ص ٢٢ » أنه الكتاب الموسوم بالنافع ، ونسي قوله الأول « النظم النافع » !

(١) اعل السبب في غلط المؤرخين غير العراقيين في الفويره وجود رجل من رجال العلم اسمه « بدر الدين محمد بن عبد الرحمن ابن الفويره » . توفي سنة ٦٧٥ « السلوك ١ : ٦٣٤ » ودرة الاسلاك لابن حبيب « الورقة ٤٠ » والشذرات « ٥ : ٣٤٧ » .

(٢) كشف الظنون في باب النون .

٩ - وقال في الصفحة ٨٠ من الجزء الأول أيضاً معلقاً : « ابن الناقد نصير الدين أبو الأزهر أحمد بن الناقد عربي هاشمي ولد في ربيع الأول سنة ٥٧١ هـ ... » ولم أقرأ في تاريخ من التواريخ أن نصير الدين ابن الناقد كان هاشمياً . وقد رجعت إلى مراجعه ، فقد ذكر فيها ما سميناه بالحوادث الجامعة فوجدت مؤلفه يقول - ص ٢٩٠ - : « ذكر وفاة نصير الدين أبي الأزهر أحمد بن الناقد . كان من أولاد التجار المعروفين بحفظ القرآن المجيد ... » ومنها المسجد المسبوك للخزرجي قال مؤلفه في حوادث سنة ٦٤٢ ووفياتها : « وفيها توفي الوزير الكبير ملك العراق أبو الأزهر نصير الدين أحمد بن محمد بن علي ابن الناقد البغدادي وكان مولده (١) ... » وبحثت في غير ما ذكر من المراجع كنزهة الأنام في تاريخ الاسلام لابن دقاق فاذا هو يقول في حوادث السنة المذكورة ووفياتها : « وفيها توفي الوزير نصير الدين أبو الأزهر أحمد بن محمد بن علي بن الناقد أحد أولاد التجار المشاهير وذوي الثروة واليسار (٢) ... » وقال ابن كثير في البداية والنهاية : « الوزير نصير الدين أبو الأزهر أحمد بن محمد بن علي ابن الناقد وزير المستعصم وأبيه المستنصر ، كان من أبناء التجار ... » وقال العيني في عقد الجمان : « الوزير نصير الدين أبو الأزهر أحمد بن محمد ابن علي بن أحمد ابن الناقد البغدادي (٣) ... » والحقيقة أن كونه من أبناء التجار لا ينفي أن يكون ذا نسب من الأنساب المشهورة إلا أنني كما قلت آنفاً لم أجد أحداً نسب إليه الهاشمية ، وليس في المرجعين اللذين ذكرهما المؤلف الفاضل ما يؤيد قوله بهاشميته فضلاً عن غيرها من أنساب الانخاد والعمارات والقبائل والأمم والأجيال .

١٠ - وذكر في الصفحة ٩٥ صدر الدين علي بن نصير الدين الطوسي الحكيم ، قال : « ذكر ابن شاکر الكتبي وابن تغري بردي والصفدي أنه ولي بعد أبيه غالب مناصبه ، فلما مات ولي بعده أخوه أصيل الدين . ورحل إلى الشام مع السلطان غازان وحكم في أوقاف

(١) نسخة المجمع الديني الصورة « و ١٦٥ »

(٢) أصول التاريخ والأدب من مجموعتنا الخطية « ٩٠ : ٩٦ » .

(٣) المرجع المذكور « ١٣ : ٨٦ » .

الشام... وذكره صاحب الحوادث الجامعة فقال : وفي سنة ٦٨٧ كفت يد صدر الدين وإخوته أولاً نصير الدين الطوسي عن النظر في وقوف العراق وأعيد الأمر فيها إلى حكام بغداد ثم عاد الأمر إليهم في سنة ٦٨٨ . وقوله « ورحل » يلتبس على القارىء فلا يدري أصدر الدين الراحل أم أصيل الدين ؟ فان يُقَلَّ إن الفعل « رحل » ينصرف إلى أصيل الدين ، يقل : وماذا نفعل بقوله بعد ذلك « وذكره صاحب الحوادث الجامعة ... » ؟ وليس هذا استدراكاً على المؤلف الفاضل بل هو استفهام واستعلام .

١١ — ونقل في الصفحة ١٠٢ موجز سيرة علاء الدين محمد بن سعد الدين الجاجرمي وفيها « قدم بغداد حاكماً عن السيد الأعظم عز الدين القندي وهو شحنة الوقوف ببغداد ... » وجاء في الفهرست — ص ٤٥٩ — « عز الدين القندي » مع أن الوارد في التلخيص هناك أي في الصفحة ١٠٨٤ ناقص والصواب « الدلقندي » وقد أحلت عليه في الحاشية ، وهو عز الدين الدلقندي الوارد في الصفحة « ١٧٠ » . وأنا معذور فالمصحح دمشقياً وأنا المحقق عراقي ببغداد ، ومن عادة الأستاذ الفاضل أن يتبع حتى الغلط المطبعية ، ففاته هذه وترك الغلط في كتابه فوجب عليّ التصحيح .

١٢ — وجاء في حاشية الصفحة ١٢٤ السلطان ملكشاه بن محمد بن أرسلان السلجوقي ... » وفي اسم الأب سهولاً أنه « ملكشاه بن ألب أرسلان » لا أرسلان وحده .

١٣ — وورد في ترجمة ظهير الدين البخاري — ص ١٢٨ — ما هذا نصه « واشتغل عليه أبو العباس أحمد بن الساعاتي ، سمع منه أبو العلاء الفرضي شيخنا قطب الدين » وأحل بذلك على الجواهر المضية في طبقات الحنفية لمحبي الدين القرشي ، وقال في الفهرست — ج ٢ ص ٦٤٩ — : « قطب الدين أبو العلاء ، راجع العلاء الفرضي » . فأقول في ذلك : إن الذي ورد في الجواهر هذا نصه « واشتغل عليه أبو العباس أحمد بن الساعاتي . سمع منه أبو العلاء محمود الفرضي — شيخنا قطب الدين » وهذا الخط بين كلمة « الفرضي » وكلمة « شيخنا » يمثل سقطاً لعله كلمة « أجاز » ولكن الأستاذ المؤلف الفاضل أدمج الاسمين وجعلها « أبو

العلاء الفرضي شيخنا قطب الدين « ظاناً أن أبا العلاء الفرضي هو الملقب بقطب الدين ، مع أن أبا العلاء محموداً الفرضي كان يلقب « شمس الدين » فهو ندسه يقول في الفهرست — ج ٢ ص ٤٤٧ — : « شمس الدين الفرضي : راجع أبو العلاء شمس الدين الفرضي » ، ومع أن قطب الدين إنما هو « عبد الكريم بن عبد النور الحلبي الأصل والمولد ، المصري » ترجمه صاحب الجواهر في موضعه قال : « عبد الكريم الامام ، كتب بخطه وسمع الكثير وحدث وأفاد وأحسن ودرس لطائفة المحدثين بالجامع الحاكمي وأعاد بالقبلة المنصورية لطائفة المحدثين وصنف وجمع ... ومات في سلخ رجب سنة خمس وثلاثين وسبعمائة بمنزله خارج باب النصر ، جوار خاله شيخنا نصر المنبجي ودفن بها <sup>(١)</sup> ... » والرجل فقيه ومحدث ومؤرخ مشهور ولو لا ذلك ما عرفناه .

١٤ — وأورد في الصفحة ١٥٦ من هذا الجزء قول شاعر يهجو محيي الدين يوسف بن الجوزي الفقيه الحنبلي وأستاذ دار الخلافة على عهد المستعصم بالله :

سَمَّوْهُ بِاسْمَيْنِ كَانَا صَدِيقٌ فِيمَا يَقُولُ

وشدد الدال المكسورة واثقاً بأن الكلمة « صديق » مع أنها تصحيف « ضدّين » مثني الضد ، فلو كان الاسمان « صديقاً » ما كان قول الشاعر هجواً بل كان مدحاً ، ويؤيد ما قلت أنا البيت الأخير الموضح للضدّين وهو :

محي تصدى مميماً ويوسفناً وهو غول

١٥ — وترجم في الصفحة ١٦٢ لكamal الدين أبي الحسن علي بن محمد المعروف بابن وضاح الشهرابي المتوفى سنة ٦٧٢ على أحد الأقوال وقيل سنة ٦٧١ أو سنة ٦٧٣ أو سنة ٦٧٤ ، ولم يدفع مؤرخ وفاته الى سنة ٦٧٥ ، وقد ذكر المؤلف الفاضل في ترجمته — ص ٢٨٤ — أن ابن رجب عبد الرحمن بن أحمد البغدادي الحنبلي الفقيه المحدث المؤرخ المولود سنة ٧٣٦ هـ المتوفى سنة ٧٩٥ ، سمع من ابن وضاح الشهرابي المقدم ذكره كتاب النكاح

(١) الجواهر المضيئة « ٢ : ٣٢٥ » .

بكاله ، وهذا نص قوله « وسمع منه ابن رجب كتاب النكاح بكاله » . فكيف يسمع الشيخ المولود سنة ٧٣٦ من الشيخ المتوفى سنة ٦٧٤ على أكثر تقدير وبين وفاة الشيخ ومولد التلميذ « ٥٢ » سنة؟! إن المؤلف أحال بهذا الخبر وأمثاله على كتاب « ذيل طبقات الحنابلة » وليس فيه ما يفيد ذلك ودونك نصه المهم « وحدث الشيخ بالكثير وسمع منه خلق وروى عنه ابن حصين الفخري ... وأبو عبد الله محمد بن عبد العزيز ابن المؤذن الوراق وروى عنه صحيح البخاري وسمعت عليه حضوراً في الرابعة كتاب النكاح بكاله » . وهذا يعني أنه سمع كتاب النكاح من صحيح البخاري على الشيخ أبي عبد الله محمد بن عبد العزيز ابن المؤذن الوراق لا على ابن وضاح ، فإن من المستحيل أن يكون سامعاً من ميت مات قبل ولادته بنصف قرن وأكثر منه .

١٦ - وورد في الصفحة ١٦٨ أيضاً « وكان يجلس للوعظ بمجلس القاعوس بدرج الحب » ولم يذكر للقاعوس هذا تعليقاً ولا لدرب الحب أو الحب ولا ذكر القاعوس في الفهرست ، والظاهر انه مصحف ولكنه لم يستطع إصلاحه والقاعوس الحية وغيرها .

١٧ - ويتعمد المؤلف الفاضل كسر السين من « السماع » الخاص بالحديث ، كما جاء في الصفحة ١٧١ ، والصفحة ١٩٩ والمعروف « السماع » بفتح السين ، لأنه في الأصل أحد مصادر الفعل « سمع » ثم نقل الى الاسمى واتخذ اصطلاحاً ، وفي المصباح المنير أن السماع اسم مصدر ، فإن كان عند المؤلف الفاضل مرجع لكسر السين فليقدناه فنحن من طلاب الفوائد .

١٨ - وذكر في الصفحة ١٧٢ منه « الكافي في شرح الخرقى » وكرر الخرقى مرتين بضم الخاء والراء ومرة ثالثة بلا شكل ، وأعاد الشكل بضميتين في الصفحة « ١٨٠ » وتأكد الضم يدل على تأكده عند المؤلف ، مع أن المعروف المحفوظ هو « الخرقى » جمع الخرق ، قال السمعاني في الانساب وابن الأثير في اللباب : « الخرقى بكسر الخاء المعجمة وفتح الراء وفي آخرها القاف ، هذه النسبة الى بيع الخرق والثياب ، منهم جماعة ببغداد واصبهان فمن بغداد أبو علي الحسين بن عبد الله بن أحمد الخرقى الحنبلي ... وابنه

أبو القاسم عمر بن الحسين الفقيه الحنبلي صاحب المختصر ... » . فالشرح المذكور آنفاً هو شرح مختصره . فهو الحُرْقِيّ لا الحُرْقِيّ كما ظن المؤلف الفاضل .

١٩ - وقال في حاشية الصفحة ١٩٨ « نسبتہ الى فاروث من قرى واسط على شاطيء دجلة بين واسط والمدار » وهو كلام معقول مقبول ، ثم قال في الصفحة ٢١٨ : « نصير الدين أبو بكر عبد الله بن عمر بن أبي الرضا الفارسي الفاروئي الشافعي ، ولد بفاروث وهي قرية من عمل شيراز وسكن بغداد ... » ثم قال في حاشية ٣٣١ : « نسبتہ الى فاروث إحدى قرى واسط . راجع لحظ الألفاظ ص ٨٦ » ، ومعلوم أن « فاروث » لاصلة لها بشيراز فهي من قرى أواسط العراق .

٢٠ - وقال في حاشية الصفحة ٢٠٦ تعليقا على اسم سيف الدين الأمدي المتكلم : « ولد بآمد سنة ٥٥١ وأنحدر الى بغداد ودرس بها على يحيى بن فضلان مدرس المستنصرية وعلى غيره وتوفي بدمشق سنة ٦٣١ ، الوافي ٢ : الورقة ١٢٦ » . وفي هذا القول خطأ هو أن يحيى بن فضلان لم يكن مدرس المستنصرية ولا عاش الى زمان إنشائها وافتتاحها ، لأنه ولد سنة ٥١٦ وتوفي سنة ٥٩٥ وقد درس بالمدرسة الفخرية المعروفة بدار الذهب (١) ، وقد التبس عليه بآبائه يحيى الدين أبي عبد الله محمد بن يحيى المتوفى سنة ٦٣١ فقد كان أول مدرس للشافعية بالمستنصرية كما هو مستفيض في التواريخ المستوعبة لعصره .

٢١ - وقال في ترجمة القاضي أبي المعالي عبد الرحمن بن مقبل الواسطي « ص ٢١١ » ناقلاً : « قال ابن النجار : وبرع في المذهب والخلاف وسمع الحديث من ابن كليب وحدث عنه . وسمع منه ابن الجوزي وغيرهما وأعاد وأفتى ودرس ، ولم يذكر ابن النجار المدرسة التي أعاد فيها » . قلت : في قوله « وسمع منه ابن الجوزي » خطأ لا أحسب ابن النجار قاله ، والصواب « وسمع الحديث من ابن كليب وحدث عنه وسمع من ابن الجوزي

(١) مختصر تاريخ ابن الديلمي للذهبي « الورقة ١٢٨ من النسخة المصورة بالمجمع ، وطبقات السبكي الكبرى » ٤ : ٢٢٠ « وتاريخ الاسلام للذهبي » نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ، الورقة ٨٤ « والشذرات » ٤ : ٣٢١ « وتكملة الكمال لابن الصابوني » ص ٥٤ .

وغيرها ... » فان أبا الفرج عبد الرحمن بن الجوزي توفي سنة ٥٩٧ كما هو مشهور ، وإطلاق « ابن الجوزي » لا يعني غيره من ابنائه ولا سبطه ، فكيف يسمع الحديث من ابن مقبل المتوفى سنة ٦٣٩ كما هو معلوم !؟

٢٢ — وترجم في الصفحة ٢١٥ لعهاد الدين أبي ذي الفقار محمد الحسيني المرندي الشافعي الفقيه المدرس وقال : « ولد بمرند سنة ست وتسعين وخمسة و توفي في شعبان في سنة ثمانين وستائة وجاء في تاريخ الاسلام للذهبي ومنتخب المختار أنه توفي سنة ٦٨٥ » وقال في الحاشية تعليقا على مولده مرند : « من مدن أذربيجان وجاء في منتخب المختار أنه ولد بنحوي وليس بمرند » . وقد خلط الاستاذ المؤلف ها هنا بين المترجم وابنه ذي الفقار بن محمد الحسيني ، فهو الذي ولد بمرند سنة ٦٢٣ هـ <sup>(١)</sup> وخلط أيضاً بين تواريخ وفاتها ، فالابن ذو الفقار هو الذي توفي سنة « ٦٨٥ » أي بعد وفاة والده بخمس سنين ، ولم يخص مؤلف منتخب المختار الوالد عماد الدين بترجمة حتى يقول المؤلف « وجاء ... ومنتخب المختار أنه توفي سنة ٦٨٥ » بل ذكره استطراداً ، ولم يذكر الذهبي أنه توفي سنة ٦٨٥ حتى يقول المؤلف : « وجاء في تاريخ الاسلام للذهبي ... أنه توفي سنة ٦٨٥ » ، وإنما قال الذهبي في وفيات ٦٨٥ : « ذو الفقار بن محمد بن الشرف ( كذا ) <sup>(٢)</sup> ابن محمد أبو جعفر العلوي الحسيني مدرس المستنصرية . ولد سنة ثلاث وعشرين وستائة ، بنحوي وسمع ببغداد من الكاشغري وابن الخازن مات في شعبان . ومات أبوه في سنة ثمانين ببغداد في شعبان وله ثمانون وثلاث سنين ... » فهذا تصريح بأن وفاة الوالد كانت سنة ( ٦٨٠ ) فلا يجوز أن ينسب الى الذهبي ما لم يقله وما لم يقل به .

٢٣ — وجاء في الصفحة ٢٢٠ من الجزء الأول أيضاً ترجمة جمال الدين عبد الله بن محمد ابن العاقولي ، وذكر في ص ٢٢١ أن وفاته كانت سنة ٧٢٨ هـ وقال في الحاشية : « ذكر

(١) منتخب المختار « ٥٥ » .

(٢) في نسخة المتحف البريطاني « ١٥٤٠ و ٤٦ » وفيها تصحيح .

السبكي أنه ولد في سنة ٦٢٨ ومات سنة ٧١٨ وليس بصحيح ، والصواب ما ذكرناه وجاء في الدرر ( ٢ : ٢٩٩ ) أنه مات في ذي القعدة . وجاء في أعيان العصر ، الورقة ٤٧ أنه توفي في سنة ٨٥٧ وهو خطأ فاحش .

قلت : ليس في طبقات السبكي الكبرى المطبوعة أنه ولد سنة ٦٢٨ بل فيه من خطأ الناسخ أنه ولد سنة ٦٨٣ ، وليس فيه أنه توفي سنة ٧١٨ بل فيه أنه توفي سنة ٧٢٨<sup>(١)</sup> هـ ، وهذا نص المطبوع « عبد الله بن محمد بن علي بن حماد بن ثابت الواسطي ، مفتي العراق جمال الدين ابن العاقولي البغدادي مدرس المستنصرية ببغداد . مولده سنة ثلاث وثمانين (كذا) وستائة . ومات في ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وسبعائة ببغداد » .

أما ما ذكره من أن وفاته في أعيان العصر للصفدي - و ٤٧ - في سنة ٨٥٧ وأنه خطأ فاحش ، فلا وجود له ، قال الصفدي : « عبد الله بن محمد بن علي بن حماد بن ثابت الواسطي الشافعي الامام المفتي بالعراق جمال الدين ابن العاقولي البغدادي مدرس المستنصرية ، كان يقول إنه سمع من محيي الدين بن الجوزي وسمع من الكمال الكبير وروى عن ابن الساعي شيئاً من تأليفه . كان إماماً عالماً ... حميد الطريقة ، منه في العراق على الحقيقة ، أفتى نحواً من سبعين سنة ... وتوفي رحمه الله في ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وسبعائة ، ومولده سنة ثمان وثلاثين وستائة ، وعدل سنة سبع وخمسين وستائة وورث في فتاويه ودفن بداره التي وقفها على ملقن وعشرة أيتام وكانت جنازته عظيمة الى الغاية مارؤي مثلها<sup>(٢)</sup> .. »  
فقول المؤلف الفاضل يبعث على الاستغراب .

٢٤ - وورد في ترجمة علي بن أبي الفرج الباصري - ص ٢٣٤ - ما هـ - ذانصه :  
« قال ابن رجب : ذكره الشريف عز الدين الحافظ وأظنه البزدي الواعظ<sup>(٣)</sup> » . والذي

(١) طبقات الشافعية الكبرى « ٦ : ١٠٧ » من الطبعة الأولى .

(٢) نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٥٨٥٩ ور ٤٧ .

(٣) واحال بذلك على ذيل طبقات الختابة « ٢ : ٢٤٩ » والشذرات « ٥ : ٢٥٤ » .

في ذيل طبقات الحنابلة هو « ذكره الشريف عز الدين الحسيني الحافظ . وأظنه البردوي <sup>(١)</sup> الواعظ المتقدم ذكره » . وقد أصلح البردوي بالبردوي . وهو إصلاح غير صالح والصحيح « البرزوري » فهو الواعظ المعروف بهذا النسب وسيرته مشهورة جاء في منتخب المختار ترجمة ابنه وحفيده ، قال في ترجمة ابنه محفوظ بن معتوق بن أبي بكر : « وكان يحضر مجلس أبيه الشيخ العلامة الواعظ معتوق بجامع دمشق وكان قد غاب سنين كثيرة في التجارة ودخل الى الهند والصين فاتفق أنه حج سنة بضع وثمانين وحج ابنه فالتقيا بالموقف فلم يكذ يعرف أحدهما الآخر من طول الغيبة <sup>(٢)</sup> ... » . فلا صلة لابن البرزوري بالبردوي . بله أن الوارد في ذيل طبقات الحنابلة هو « ابن فلان الواعظ » والبردوي لم يعرف « بابن فلان الواعظ » بل هو « البردوي » حسب ، كما ورد في هذا الكتاب « ١ : ٦٦ ، ١٣١ ، ١٣٢ » وابن فلان إما كناية وإما كنية .

٢٥ — وجاء في الصفحة ٢٣٥ ، أن ابن الصياد ابن رجب قال في سيرته : « روى عن ابن حنبل وابن طبرزد والكندي والطبقة » . كذا جاء « ابن حنبل » وأشار الى صفحته المؤلف الفاضل في فهرست « ج ٢ ص ٤٢١ » وقد استغربت أن يكون « ابن حنبل » الامام المشهور شيخاً محدثاً لرجل من أهل القرن السابع للهجرة ، فرجعت الى ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب « ٢ : ٣١٨ » فاذا هو يقول : « روى عن حنبل وابن طبرزد والكندي والطبقة ... » فلا ذكر لكلمة « ابن » ، وهو حنبل بن عبد الله الرصافي المحدث المتوفى سنة ٦٠٤ وقد استطرده المؤلف الى ذكره في موضع آخر من كتابه هذا « ١ : ٣٤١ » .

٢٦ — وجاء في ترجمة شافع بن عمر الجيلي - ص ٢٣٨ - قول المؤلف الفاضل : « وقال ابن رجب أيضاً : ودرس بالمدرسة المجاهدية بدمشق وأقرأ الفقه مدة ، قرأ عليه جماعة منهم والدي » ، وقد دعاني تصريف المؤلف بالنصوص أحياناً الى التحقيق فلم أجد ابن رجب يصرح

(١) كان المؤلف الفاضل في قال صفحة من صفحات افتخاره بإصلاح التصحيح - ص ٦٦ - : « والبردوي الى البردوي » أراد به هذا الموضع ، فقد ورد البردوي وأصلحه بالبردوي إصلاح من لا يشك في قول نفسه : ،

(٢) منتخب المختار « ص ١٦٧ »

بموضع المدرسة المجاهدية وهذا نص قوله - ج ٢ ص ٤٣٥ - « ودرّس بالمدرسة المجاهدية وأقرأ الفقه مدة ، قرأ عليه جماعة ، منهم والدي ... » . وأعاد ابن حجر العسقلاني بعض ذلك قائلاً : « وأعاد بالمستنصرية ودرّس بالمجاهدية وكان ماهراً في الطب والفقه (١) » . والظاهر أن المؤلف الفاضل اغتر بقول ابن العماد الحنبلي : « ودرّس بالمجاهدية بدمشق » وقوله بعيد ذلك : « ومدرسة المجاهدية تعرف الآن بالحجازية ثم صارت اصطبلًا خيل الطائشمندية (كذا) . لا حول ولا قوة إلا بالله ... » . فإبن العماد لم يتعد نص ابن رجب في ذيل الطبقات وليس في الطبقات ذكر لدمشق فكيف علم أنها كانت بدمشق وانها انتقلت الى الحجازية ثم صارت اصطبلًا لخيل الطائشمندية؟! وكيف جاز للأستاذ المؤلف أن يعزو قول ابن العماد الى ابن رجب؟! ولنحسب أنه كانت بدمشق مدرسة تعرف بالمجاهدية أفلم تكن ببغداد مدرسة تعرف بالمدرسة المجاهدية (٢) ؟ فهو أولى بأن يكون مدرساً فيها لأنه - أعني شافع بن عمر الحنبلي - سمع الحديث ببغداد ودرس الفقه بها وتزوج فيها ، وليس في سيرته اشارة الى أنه رأى دمشق فضلاً عن أن يدرس في مدرسة بها ، وقد وصف بالجيلي ومعنى ذلك أنه جاء ببغداد من البلاد الفارسية ، ولذلك قال مؤرخوه : « ... لكنه قاصر العبارة في لسانه عجمة » .

والصحيح أن المجاهدية المذكورة في سيرة الشيخ شافع الجيلي كانت مجاهدية ببغداد قال ابن قاضي شعبة في ذيل تاريخ الذهبى في وفيات سنة ٧٤١ هـ : « شافع بن عمر بن اسماعيل الامام ركن الدين أبو محمد الجيلي الحنبلي مدرس المجاهدية ببغداد ، تفقه على القاضي تقي الدين الزريراني وغيره وسمع من ابن الطبال والدواليبي وغيرها وأعاد بالمستنصرية ، ذكره المقرئ شهاب الدين ابن رجب في مشيخته وقال فيه : الفقيه الأصولي الطبيب اشتغل وصنف ، قرأت عليه غالب مختصر الحرقى بحثاً ، وصنف كتاب زبدة الأخبار في

(١) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة « ٢ : ١٨٦ » .

(٢) ورد ذكر المجاهدية هذه في هذا الكتاب الجامع في عدة مواضع منها في ج ١ ص ٥١ ولكن

المؤلف جعل هذه الصفحة في الفهرست - ص ٣٥٥ - المدرسة المجاهدية المظنون وجودها بدمشق .

مناقب الأئمة الأربعة الأبرار . توفي في هذه السنة ببغداد ودفن في دهليز تربة الأمام أحمد بالقرب منه (١) .

٢٧ - ووردت في الصفحة ٢٥١ ترجمة تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الواحد المقدسي المعروف الجوراني (٢) في باب « المعيدون بالشافعية » وقد جاء في تاريخه الأرقامي الذي وضعه المؤلف ما هذه صورته « المتوفى ؟ / ٧ / ٧٥٥ هـ » وفي أوصافه « الشافعي نقلا من منتخب المختار - ص ٢٣ » مع أنه ورد في آخر الترجمة أنه توفي بالمدينة في شهر رجب سنة ٦٧٦ هـ وأن الصيرفي ذكر أن والده الحسن بن علي الصيرفي « قال عنه إنه كان حنبلياً صالحاً عالماً ... » ولم يقل إنه انتقل من الشافعية الى الحنبلية ، فكيف نوفق بين قول مؤلف منتخب المختار ؟ وقد نقلها المؤلف وتركها على حالها من التناقض من حيث مذهب الشيخ - رح - . فأقول : ورد ذكره في لسان الميزان - ١ : ٢١٥ - خلواً من نعت « الشافعي » ومحتويها على قول القائل : « وكان حنبلياً صالحاً عاقلاً كثير التفكير » . وجاء ذكر أبيات له : في آخر الترجمة : « قلت : وهذا نفس صوفي فلسفي وهو عجيب من حنبلي » . فالشيخ أعاد للحنبلة لا للشافعية . وسنة وفاته في لسان الميزان تختلف عن سنة وفاته في منتخب المختار ، فهي في اللسان ( ٦٦٧ ) نقلا عن البرزالي وغيره ، بقي لنا أن نسأل المؤلف الفاضل ما معنى رسمه « المتوفى في ؟ / ٧ / ٧٥٥ » الذي ذكرناه آنفاً ؟

٢٨ - وذكر المؤلف في الصفحة « ٦٠ » معيداً لقبه ونسبه « شمس الدين الاصفهاني » قال : « يظهر أنه كان معيداً بالمستنصرية إذ نقل في المحرم من تلك السنة الى تدريس المستنصرية ... » . ولم نجد فيما بين أيدينا من كتب التاريخ عن شمس الدين الاصفهاني المعيد والمدرس غير هذا الخبر الحادث سنة ٦٨٧ ، ولكن المؤلف الفاضل لرغبته في الاستقصاء ذكر شمس الدين محمد بن محمود الاصفهاني المؤلف المشهور وأحال بترجمته على

(١) نسخة دار الكتب الوطنية المرقمة ١٥٩٨ و٥ والنسخة المرقمة ١٥١٦٠٠ .

(٢) قال المؤلف في الجوراني : « قرية على باب همدان » مع أن المترجم مقدسي ومن حوران فهو

« حوراني » لا جوراني .

فوات الوفيات ١ : ٧٢ (كذا) وقال : « ولعلّ هذه الترجمة لشمس الدين المذكور » وهذا من المجال فالرجل الأول نقل الى التدريس ببغداد من مدرسة الى مدرسة سنة ٦٨٧ والثاني محمد بن محمود كان قد قدم الشام بعد الحسين وستمائة وعاش بالشام ومصر ثم توفي سنة ٦٨٨ هناك ولم تكن له صلة بمدارس العراق بعد دخوله الشام وتدرسه بها وبمصر ، فترجمة شمس الدين الاصفهاني المعيد المدرس ببغداد لا تزال مجهولة ، والألقاب والأنساب تتشابه حتى بين المتعاصرين ، ومن شمس الدين الاصفهانيين « محمود بن عبد الرحمن بن أحمد الاصفهاني أبو الثناء الشافعي الأصولي شمس الدين المولود سنة ٦٧٤ هـ <sup>(١)</sup> وشمس الدين محمد بن محمود الاصفهاني شيخ خانكاه الأمير قوصون سنة ٧٣٦ « السلوك ج ٢ ص ٣٩٠ » فن الواضح جداً أنهما لا صلة لهما بذاتية شمس الدين الاصفهاني المدرس المعيد المقدم ذكره آنفاً ، وشمس الدين الاصفهاني الذي أحال بترجمته المؤلف الفاضل على فوات الوفيات مشهور جداً فترجمته في تاريخ الاسلام للذهبي ، وشذرات الذهب لابن العماد كما ذكر المؤلف نفسه ، وفي البداية والنهاية وبعية الوعاة وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي وحسن المحاضرة .

٢٩ - وقال في ترجمة صفي الدين عبد المؤمن بن يوسف الأرموي - ص ٢٧٤ - : « وقد رحل الى تبريز واجتمع فيها بالمؤرخ عز الدين حسن الاربلي سنة ٦٨٩ وقص عليه حياته التي ذكرنا جانباً منها » .

قلت ذكر ابن فضل الله العمري ما هذا نصه : « وذكر العز حسن الاربلي في تاريخه قال : جلست مع عبد المؤمن بالمدرسة المستنصرية وجرى ذكر واقعة بغداد فأخبرني أن هولاءكو <sup>(٢)</sup> ... الخ » وذكر ذلك مؤلف الكتاب نفسه في الصفحة « ٢٧٠ » فجائز أنه قص عليه سيرة نفسه ببغداد أيضاً ولا إزام بأن يكون الاقتصار بتبريز وخصوصاً هذه الحكاية التي ورد التصريح بأنها حكيت بالمستنصرية .

٣٠ - وذكر في الصفحة ٢٧٧ ترجمة قوام الدين أبي الفضل علي بن قتلغ التركي

(١) منتخب المختار « ص ٢١٨ » .

(٢) نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٥٨٧٠ و ١٥٧ « وثمرات الأوراق » ج ٢ ص ٣٤ .

البغدادي وقال نقلا من معجم الألقاب لابن الفوطي : « من فقهاء الطائفة المالكية بالمدرسة المستنصرية ، فقيه فاضل ، كاتب ناسخ ، كتب لنفسه ولغيره ... وجمع أشعار الأديب تقي الدين <sup>(١)</sup> بن علي المغربي ... » وقد استغرقت قول ابن الفوطي في اعتداده مالكياً مع أن الغالب على الأتراك وسكان ما وراء النهر وتركستان المذهب الحنفي . ثم قرأت في وفيات سنة ٦٨٤ من تاريخ الاسلام للذهبي فوجدت فيه ما يأتي « علي بن عبد العزيز بن علي بن جابر الفقيه الأديب البارع تقي الدين القرشي البغدادي الشاعر المعروف بابن المغربي صاحب تيك القصيدة السائرة التي أولها :

يادبده تدبدي أنا علي ابن المغربي

مات ببغداد فيما ورّخه ابن الفوطي في ثامن ربيع الآخر سنة أربع وثمانين ، وقد اعتنى الفقيه قوام الدين الحنفي بجمع ديوانه <sup>(٢)</sup> . فتحقق عندي أن قوام الدين حنفي لا مالكي . وهذا اعتراض على ابن الفوطي لا على المؤلف .

٢٩ - وترجم في الصفحة « ٢٨٠ » عبد السلام بن محمد بن مزروع البصري ثم المدني المولود سنة ٦٢٥ المتوفى سنة ٦٩٦ ، وقال فيما قال من سيرته - ص ٢٨١ - : « وسمع من أبي الحسن المبارك بن محمد بن مزيرد بن الهلال الخواص الأنصاري ، الأول والثاني من حديث ابن نجيم بالمستنصرية ... » وعلق المؤلف الفاضل على « ابن نجيم » بقوله : « ابن نجيم هو القاضي الفقيه الفرضي المحدث زين الدين أبو حفص عمر بن سعد الله بن عبد الأحد بن سعد الله بن عبد القادر الشهير بابن نجيم الحراني الأصل ، دمشقي الحنبلي . ولد سنة ٦٨٥ هـ وتوفي سنة ٧٤٩ وولي المشيخة الضيائية ، راجع التنبيه والايقاظ في ذبول تذكرة الحفاظ للطهطاوي الحنفي ص ٢٤ - ٢٥ . وهذا غير معقول البتة ولا صحيح ، لأن حديث ابن نجيم كان موجوداً قبل سماع المبارك بن الخواص له ، بزمن طويل فكيف يسمع الشيخ المتوفى سنة ٦٩٦ وهو ابن مزروع ، من شيخ آخر هو المبارك بن الخلاص ، كتاب شيخ

(١) كلمة « ابن » زائدة لا وجود لها في معجم الألقاب .

(٢) تاريخ الاسلام « نسخة للتحفة البريطانية ١٥٤٠ و ٢٨ » .

ولد سنة ٦٨٥ وتوفي سنة ٧٤٩؟! والصحيح أن ابن نجيح صاحب الأحاديث المروية هو « أبو بكر محمد بن العباس بن نجيح البزاز ، قال الخطيب البغدادي : « كان ينزل بالجانب الشرقي من مربعة الخرسى وحدث عن يحيى بن أبي طالب و ... حدثنا عنه أبو الحسن ابن زرقويه - وذكر لنا أنه كان حافظاً - وأبو الحسن بن الفضل وأبو علي بن شاذان » ثم ذكر أنه كان ثقة وتوفي سنة ٣٤٥ هـ (١) . فقول المؤلف الفاضل يدل على الاستعجال ، ولو قال إنه جد الشيخ الذي ذكره - أي عبد الأحد بن سعد الله بن نجيح الحراني (٢) - لم يصح أيضاً ، لأن ذلك يعني أنه روى عن شيخ توفي سنة (٦٩٠ هـ) وعن آخر توفي سنة ٦٩١ وعن ثالث توفي سنة (٧١٠) .

٣٠ - وورد في الصفحة ٢٨١ « ووالد منتخب المختار رافع السلامي » والمعروف أن مؤلف منتخب المختار هو تقي الدين القاسي لا رافع ، أما تأليف ابن رافع السلامي فهو المختار المذيل به على تاريخ ابن النجار (٣) .

٣١ - وقال في الصفحة ٢٢٣ مسـ تدركا على تلخيص معجم الألقاب ٤ : ٣٨٥ : « جرنداب مقبرة بتبريز دفن فيها شمس الدين الجويني ، راجع التلخيص ٤ : ٣٨٥ فقد وردت جرنداب بدلا من جرنداب وليست بذلك » والذي وقع في التلخيص إنما هو من غلط الطبع ، ولكنه حين أصلحه لم يسند تصحيحه الى مرجع تاريخي ، لأنه اخذه من المنتخب وتاريخ العراق بين احتلالين « ١ : ٣٢٥ » ، وهو يفعل مثل ذلك ولعله يستنكف أن يشير الى من استعان بمعارفهم ، كما قدمنا أمثلة له من قبل .

٣٢ - وورد في الصفحة ٣٢٨ ما هذا نصه : « وذكر الذهبي أن عز الدين القاروثي المصطفوي المتوفى سنة ٦٦٤ قدم بغداد سنة ٦٢٩ ... » والصحيح أنه توفي سنة ٦٩٤ كما هو مستفيض في التواريخ المستوعبة لسنة وفاته ولعل ذلك من غلط الطبع .

(١) تاريخ بغداد « ٣ : ١١٩ » .

(٢) راجع منتخب المختار « ٨٨ ، ١١٧ ، ٢٤٢ » . (٣) مقدمة المنتخب « ص ٥ » .

٢٣ — وقال في ترجمة محب الدين أبي عبد الله محمد بن محمود ابن النجار المؤرخ المحدث المشهور: « حفظ القرآن الكريم وقرأ علم النحو والأدب وبرع في التاريخ وسمع الكثير وقرأ بالسبع على أبي أحمد بن سكينه المعيد بدار القرآن المستنصرية ». وعلق على « ابن سكينه » بقوله: « ورد أبو محمد، راجع ترجمة ابن سكينه في المعيد بدار القرآن ». وقد اعترف المؤلف الفاضل أن الكنية الواردة في الأصل « أبو محمد » فغيّرهما إلى « أبي أحمد » ولكنه كان قال في الصفحة ٣١٣ « ابن سكينه ذكره ابن الفوطي فقال: علم الدين أبو محمد عبد الله بن عبد الغني بن عبد السلام بن سكينه الصوفي المقرئ<sup>(١)</sup> ». فان كان قرأ على أبي أحمد بن سكينه فمن أين أتى المؤلف الفاضل بأنه قرأ على « أبي أحمد بن سكينه المعيد بدار القرآن المستنصرية؟ لأن أبا أحمد بن سكينه توفي سنة ٦٠٧<sup>(٢)</sup> قبل الشروع في إنشاء المدرسة المستنصرية بعشرين سنة أو أقل منها، فقول ابن قاضي شعبة الذي أورده المؤلف الفاضل في حاشية الصفحة ٣١٣ من أن ابن النجار « قرأ بالسبع على أبي أحمد بن سكينه » هو المعتمد عليه لأنه نص، وأقوى منه ما ذكره ابن النجار نفسه قال: « صحبته قريباً من عشرين سنة ليلاً ونهاراً وتأدبت به وخدمته وقرأت عليه القرآن بجميع رواياته وسمعت منه أكثر مروياته وكان ثقة حجة نبيلاً عالماً من أعلام الدين<sup>(٣)</sup> ». فقول المؤلف « وقرأ بالسبع على أبي أحمد بن سكينه المعيد بدار القرآن المستنصرية » فيه خطأ هو إضافته من عنده إلى النص قوله « المعيد بدار القرآن المستنصرية » مع أن أبا أحمد ابن سكينه توفي سنة ٦٠٧ هـ كما ذكرنا آنفاً.

٣٤ — وجاء في الصفحة ٣٣٧ ما نصه: « وجاء في الحوادث الجامعة في أخبار سنة ٦٢٤ أن ابن النجار ... » وهو سهو والصواب « ٦٤٣ »، ومثله ما حدث في الصفحة ٣٤١ فقد ورد ٦٨٨ بدلاً من « ٦٠٥ ».

- (١) أحال على التلخيص « ج ٤ و ٣٠ » وقال: « وقد ورد أبو أحمد، قال ابن شعبة: وقرأ ابن النجار بالسبع على أبي أحمد بن سكينه، راجع الورقة ١٠٤ من مخطوطة لندن ».
- (٢) ذيل الروضتين « ص ٧٠ ». وتاريخ الاسلام للذهبي
- (٣) تاريخ الاسلام « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ١٥٨٢ و ١٦٠ ».

٣٥ - وجاء في ترجمة أبي اسحاق ابراهيم بن عثمان الكاشغري المحدث المعمّر - ص ٣٢٩ - « وقال الذهبي : حدثونا عنه وانفرد في زمانه بالغلو فيسه تشيع وفي دينه رقة ». والغلو في النص هو تصحيف « العلو » أي علو الاسناد ، ألا ترى ماورد في الترجمة مما يؤيد علو إسناده وهو قول القائل : « ورحل اليه الطلبة وكان آخر من بقي بينه وبين مالك خمسة أنفس ثقات <sup>(١)</sup> » وهو مالك المحدث لا الامام الفقيه ، ولما قلت أشباه في الكتاب كالذي في الصفحة ٣٤٦ وهو « وانتهى اليه علو الاسناد » ، ثم إنه لا يمكن أحداً أن يقول : انفرد فلان بالغلو ، فالغلو كثير على اختلاف العصور .

٣٦ - وجاء في ترجمة أبي الحسن المبارك الانصاري المولود سنة ٥٧٧ المتوفى بعد سنة ٦٥٠ قول المؤلف : « وأجاز له قاضي القضاة تقي الدين سليمان بن حمزة » . وتقي الدين سليمان <sup>(٢)</sup> بن حمزة القاضي ولد سنة ٦٢٨ وتوفي سنة ٧١٥ فكيف يجيز للمولود سنة ٥٧٧ المتوفى بعد سنة ( ٦٥٠ ) ؟! فالصواب « وأجاز لقاضي القضاة تقي الدين سليمان بن حمزة » . وكذلك القول فيما جاء من الأسماء بعد تقي الدين سليمان القاضي في كتاب المؤلف ، فهو أجاز لزينب بنت الكمال المقدسية المتوفاة سنة ( ٧٤٠ هـ <sup>(٣)</sup> ) ولم تجز له هي كما ورد فيه ، ومثل ذلك يقال في الشيخ أحمد بن إبراهيم المقدسي المتوفى سنة ٧٢٦ هـ <sup>(٤)</sup> الوارد اسمه في تلك الصفحة ، وعلى ذلك تكون ( ببغداد ) في الكتاب « من بغداد » .

٣٧ - وزعم في حاشية الصفحة ٣٤٣ أني صحفت « القويره » تصغير الفاره « إلى « القويره » من الفارة ، وهذا من غلط الطبع كما ذكرت لأن تلخيص معجم الألقاب طبع بدمشق وأشرف عليه فضلاء من وزارة الارشاد ، فظنوا أن القويره تصغير الفارة فزادوا تاء التأنيث ، وغلط الطبع مألوف في الكتب العربية السهلة فما ظنك بمثل تلخيص معجم الألقاب ، وقد قدمت القول في هذا الغلط المطبعي قبلاً ، وسأذكر غلطات الطبع الواقعة

(١) تاريخ علماء المستنصرية « ١ : ٣٣٨ » .

(٢) الدرر الكامنة « ٢ : ١٤٦ » والشذرات « ٦ : ٣٥ » .

(٣) الشذرات « ١٢٦٠٦ » . (٤) الشذرات « ٦ : ٧١ » .

في كتاب المؤلف بعد اتمام ذكر الاستدراكات .

٦٨ — وجاء في الصفحة ٣٥٩ ذكر « كتاب نقض عثمان الدارمي على الجهمي المرسي :  
العنيد فيما افتري على الله - عز وجل - في التوحيد » ، هكذا سمي الكتاب « العنيد  
فيما ... » وعلى هذا النحو ورد في الفهرست - ٢ : ٣٨٢ - « العنيد فيما افتري على الله  
عز وجل في التوحيد » . والصحيح أن « العنيد » صفة للمرسي الجهمي وأصل التسمية  
« كتاب نقض عثمان الدارمي على الجهمي المرسي العنيد فيما افتري على الله عز وجل - في  
التوحيد » فليس العنيد اسماً للكتاب ، وقد طبع هذا الكتاب سنة « ١٩٦٠ » نشره  
المستشرق ك . فيتسمان باسم « كتاب الرد على الجهمية » .

٢٩ — وورد في الصفحة ٢٦٩ في ترجمة أحمد بن محمد ابن السابق وشيخه ابن الزجاج  
ما هذا نصه : « قال الذهبي : حدثنا عنه ببغداد العفيف محمد بن السابق ، شيخ  
المستنصرية » . وأحال المؤلف الفاضل هذا الخبر على ذيل طبقات الحنابلة « ٢ ، ٣١٦ »  
ومعلوم حقاً أن الذهبي لم يقدم بغداد فكيف يحدث ابن السابق بها ؟! وقد رجعت الى  
ذيل الطبقات المقدم ذكره فاذا القائل هو ابن رجب ونص قوله « حدثنا عنه ببغداد العفيف  
محمد بن السابق شيخ المستنصرية ... » .

٤٠ — وورد في الصفحة ٣٨٠ ما هذا نصه : « صفى الدين الباصري ٧١٢/٩/١٢  
المقتول في ٧٤٩/٩/١٧ » ثم قال : « وتوفي مطعوناً شهيداً ببغداد يوم الجمعة ١٧ شهر  
رمضان سنة ٧٤٩ هـ ودفن بمقبرة باب حرب » وقد ظنّ قولهم « توفي مطعوناً » يعني أنه  
طعن برمح وما أشبهه ، ولذلك عنون له بقوله « صفى الدين الباصري المقتول » وذلك  
خطأ والصواب أنه توفي بالطاعون والمتوفى بالطاعون يسمى « مطعوناً » أيضاً ، قال الفيومي  
في المصباح : « والطاعون الموت من الوباء والجمع الطواعين ، وطعن الانسان بالبناء  
للمفعول : أصابه الطاعون فهو مطعون » .

والطاعون الذي طعن به مشهور في التواريخ المستوعبة لسنة ٧٤٩ قال المقرئ في

حوادث سنة ٧٤٩: « فكانت سنة كثيرة الفساد في عامة أرض مصر والشام ... ومع ذلك فكان فيها الوباء الذي لم يعهد في الاسلام مثله ... ووقع الوباء ببغداد أيضاً وكان الانسان يصيح وقد وجد بوجهه طلوعاً فما هو إلا أن يمير بيده عليه مات فجأة<sup>(١)</sup> ... » .

٤١ - وقال في شرح خارطة المستنصرية التي جعلها مع الكتاب ، « ١٥ - باب صغير كان فيما يظهر يفضي الى المدرسة من بستان الخليفة الذي ربما كان في خان الملح أو بالقرب منه حتى دجلة » ، ولكنه لم يستقر على هذا الرأي فقال في ج ٢ ص ٣٨ : « وإذا لم تكن المكتبة - يعني خزائن الكتب وموضعها - ودار السنّة في هذه القاعات الكبيرة فمن المحتمل أن تكون وراء هذه القاعات على جزء من الساحة الكائنة بين المستنصرية وبين مسجد الحظائر أو في محل آخر ... » . وكان قال في ج ١ ص ١١٠ في الكلام على مسجد الحظائر « وهو منسوب الى محلة الحظائر القديمة التي كانت تجاوره ، وبينه وبين المستنصرية دار الزعيم سنقرجة » فكان الموضع دار سنقرجة ينفي سائر الاحتمالات ، وقد جاء في حوادث سنة ٦٩٦ خبر دخول السلطان غازان الايلخاني المستنصرية على هذا النحو « ثم إنه دخل المدرسة المستنصرية من الدار المجاورة لها ، وكان يسكن بها نظام الدين محمود شيخ المشايخ<sup>(٢)</sup> » . ومن الواضح ان الدار المذكورة غير دار القرآن المستنصرية الملاصقة لها ، من أعلاها أي أعلى المستنصرية . أما حديث البستان فنقله ابن العبري ولا يعتمد عليه في مثل هذه الأمور . ولعل حديقه كانت في الدار .

٤٢ - ويستعمل المؤلف الفاضل أحياناً ألفاظاً لمعان لم تعرفها العرب كالدهلير للممر في ج ١ ص ٤٤٠ « والرفة للحجرة ، فقد قال في الصفحة المذكورة « دهليز المستنصرية الذي يفصل بين مدرسة الفقه والقاعات الكبرى التي كانت تتخذ فيما يظهر للإدارة والتدريس وربما اتخذت لتدريس الحديث وخزن الكتب<sup>(٣)</sup> » . أراد بالدهليز الممر ، جاء في لسان

(١) السلوك « ج ٢ ص ٧٧٢ ، ٧٧٤ . (٢) كتاب الحوادث « ٤٩٢ » .

(٣) وكرر هذا الاصطلاح في ٤٤٢:١ ، ثم قال في ج ٢ ص ٢٦١ : « الفرقان تكون من الدار في الطابق الأعلى » .

العرب « الدهليز : الدليج ، فارسي معرب والدهليز بالكسر ما بين الباب والدار » .  
والغرفة أعلى من الحجرة ، جاء في مختار الصحاح « والغرفة : العلية والجمع غرفات بضم  
الراء وفتحها وسكونها وغرف » . وهو نفسه يميز بين الحجرة والغرفة قال في ١ : ٤٢٤  
« وجود عدد من الحجر والغرف والمعرات والسلام ... » . ومن هذا الضرب قوله في  
٢ : ٩ من الكتاب : « إنما كانت تعقد في رواقها أي في صحنها وأواوينها » فتى سمي  
الصحن والأواوين رواقاً؟ وقوله في الصفحة ٣٢ : « غير أنه فيما يظهر لم يكن في  
المستنصرية جناح خاص أو نباتات معروفة لأكثر هذه العلوم » مع أن « الجناح » اصطلاح  
حضاري خاص بجزء معلوم من البنيان فلا صلة له بما اصطلاح عليه الانكيز وترجمه التراجمه  
المحدثون بالجناح (١) .

٤٣ — وتكلم في الصفحة ٣٧ من الجزء الثاني على ما سماه « جامع المستنصرية » الى  
أن قال في ص ٢٩ : « إننا لا نشك في أن جامع المستنصرية كان في داخل المستنصرية وهو  
جامع لرجال المستنصرية ... » .

وقال في الصفحة ٣٨ : « وهذا الجامع قد ذكرته المصادر على اختلافها غير أنه لم تعين  
مكانه ، وكأنها لم تر حاجة إلى ذكر موقعه لأنه كان يقع في داخل المستنصرية ، ولو كان  
يقع خارج المدرسة لأشارت بذلك » . ولم يشر الأستاذ المؤلف الى المصادر التي ذكرت  
جامع المستنصرية على اختلافها ، ولا متى سمي جامع المستنصرية؟ وهل عنده مرجع  
تاريخي غير الذي نشرته أنا نفسي وهو يعود الى عهد الملك أباقا بن هولاقو في سنة  
٦٧٢ هـ ونصه : « ثم عاد - يعني أباقا - الى بغداد ونزل بالمحول وأمر بالأحتان الى الرعايا  
وتخفيف التبعات وحذف الاثقال عنهم وكتب ذلك على حيطان باب جامع المستنصرية (٢) » .  
إنه لم يذكر بهذا الاسم إلا في عهد المغول ، فلماذا لم يرد ذكره منذ أنشئت المستنصرية

(١) وكرر ذلك في ٢ : ٣٧ بقوله : « وكانت دار السنة فيما ترجمه في جناحها الشرقي الذي  
فيه المكتبة » .

(٢) الحوادث « ٣٧٥ » .

الى تلك السنة؟ إنه كان جامعاً وله باب يمر به الناس ليروا إعلان حذف الانتقال عنهم  
وتخفيف التفتات، فكيف يرونه إذا كان داخل المدرسة وهي مقصورة على التلامذة؟  
ولماذا لا يكون المسجد المجاور لدار القرآن المستنصرية الذي ذكره المؤلف انفاضل وقال:  
« وهو غير الجامع الذي نبحت عنه »؟ واستدل المؤلف على وجوده في المستنصرية بخبر  
جاء في حوادث سنة ٦٥٤ في وصف الغرق الذي أصاب بغداد فيها مفاده: « أن الناس  
صلوا عدة جمع في المدرسة المستنصرية وكان الناس يحضرون بالسفن فامتلات المدرسة  
وأغلق بابها واتصلت الصفوف في السفن من باب المستنصرية الى سوق المدرسة والى آخره» .  
أجل صلى الناس عدة جمع بالمستنصرية مضطرين ولكن الخبر لم يذكر فيه « جامع  
المستنصرية » فلو كان معروفاً إذ ذاك لذكره المؤلف، وكيف يكون للمدرسة جامع يجتمع  
الناس فيه وجامع القصر موجود وصلاة الجمعة فيه واجبة بأمر الشريعة المانعة من تعدد  
الجامع ما لم يكن في الأمر مانع يمنع التجميع في الجامع الخاص بذلك؟ وكيف كان الأمر  
فالأستاذ يريد وجود جامع بالمستنصرية، فلنسلم له ذلك؟

٤٤ — وقال في الصفحة ٣٨ في الكلام على المسجد المجاور لدار القرآن المستنصرية:  
وربما كان قرب المدرسة التنشية التي كانت في محل جامع الوزير المذكور أو أنه كان مسجد  
المدرسة التنشية نفسها... » وكان قد قال في الجزء الأول ص ١١٩: « المدرسة التنشية  
إحدى المدارس الحنفية ببغداد الشرقية... وتقع المدرسة بمشرعة درب دينار على دجلة  
قبالة جامع الأصفية الحالي وليس قرب جامع مرجان، كما ذكر الدكتور مصطفى جواد في  
الحاشية ١ من تلخيص جمع الآداب ج ٤ ص ٣٥٠ » .

قلت: ظني أن المدرسة التنشية كانت قرب جامع مرجان رأي قديم علقته على مجمع  
الآداب سنة ١٩٤٣ غير أنني عدلت عن هذا الرأي وذكرت في مجلة الثقافة الإسلامية  
البغدادية ج ٨ ص ٣ سنة ١٩٥٨ أنها كانت في موضع جامع الوزير فانزع المؤلف  
الفاضل رأيي وانتقد به علي رأيي الأول، وإلا فليخبرنا هل ذكر هو قبل سنة ١٩٥٨

أن المدرسة التنشئية كانت في موضع جامع الوزير؟ ثم إني ذكرت في دليل خارطة بغداد مع شريك في تأليفه الدكتور أحمد سوسة - ص ١٨٣ - أن المدرسة التنشئية هي اليوم جامع الوزير، فلماذا لم ينسب الي رأيين رأيتهما أحدهما صحيح والآخر موهوم فيه فيسألني عن الصحيح منها عندي؟ إنه أغفل الصحيح، وآخذني بالوهم.

٤٥ - ونقل في الصفحة ٤٧ موجز سيرة شيخ اسمه « أبو المظفر النوحاباذي » وقال : « الحنفي إمام المستنصرية ببغداد ، ولد سنة ٦١٦ وتوفي سنة ٦٦٨ ومن تصانيفه كشف الابهام لرفع الأوهام وكشف الأسرار في الأصول والملخص في مختصر القدوري » . وأحال بجميع ذلك على كتاب هدية العارفين « ج ٢ ص ١٢٩ » ، والصحيح أنه « ظهير الدين محمد ابن عمر البخاري النوحاباذي الحنفي مدرس المستنصرية ، ذكره المؤلف نفسه في ج ٢ ص ٦٣ وذكر له كتاب « كشف الابهام لدفع الأوهام » المقدم ذكره ، وقد كان ذكره بأوسع من ذلك في الجزء الأول من كتابه هذا « ص ١٢٧ » وقال : « المتوفى بعد سنة ٦٨٣ » وهو الصحيح ، فلا يصح الاعتماد على هدية العارفين في هذا الأمر ، لأنها ورطته في الخطأ .

٤٦ - وورد في الصفحة ٦٥ منه في الكلام على الحاوي في الفروع : « ومن شروحه شرح الشيخ علاء الدين الطاوسي يحيى بن عبداللطيف اقزويني الشافعي مدرس المستنصرية ببغداد ، فرغ منه سنة ٧٥٥ » . وقد أحال بذلك على كشف الظنون » . وفي سنة الفراغ خطأ والصواب « سنة ٧٧٥ » وذلك من أقوال المكل لكشف الظنون لا من مؤلف الكشف ، ولذلك حصر بأقواس صغيرة .

٤٧ - وورد في الصفحة ١١٩ في الحاشية أن « الحدادي نسبته الى الحدادية وهي قرية بقرب بغداد » . والصحيح أنها كانت بقرب واسط ، قال ياقوت الحموي : « الحدادية منسوبة : قرية كبيرة بالبطيحة من أعمال واسط ، لها ذكر في الآثار ، رأيتها » .

٤٨ - وورد في ص ١٢٩ ، « وما وراء النهر أي تركستان » وليس ذلك بصواب ، فما وراء النهر هي ما وراء نهر جيحون حيال خراسان فما كان في شرقيه كان يسمى بلاد الهياطلة وفي

الأسلام سموه « ما وراء النهر » ، وما كان في غربيه فهو خراسان وولاية خوارزم ،  
 وخوارزم ليست من خراسان إنما هي اقليم بنفسه . ذكر ذلك كله ياقوت الحموي في معجم  
 البلدان ، وذكر ياقوت « تركستان » قال : « هو اسم جامع لجميع بلاد الترك ...  
 وأوسع بلاد الترك بلاد التتغزغز وحدثهم الصين والتبت والخزج والكيماك والغزو الجنر  
 والبجناك والبذكش واذكس وخنشاق وخرخيز وأول حدهم من جهة المسلمين فاراب ... » ،  
 ولم يقل إن تركستان هي ما وراء النهر كما قال الأستاذ ، وقال ياقوت : « فاراب ... ولاية  
 وراء نهر سيحون في تخوم بلاد الترك وهي أبعد من الشاش قريبة من بلاساغون ... » ،  
 فتركستان وراء « ما وراء النهر » .

٤٩ — وجاء في الصفحة ١٣٦ ذكر خزان لدارالكتب المستنصرية ، وقد ذكر منهم  
 شمس الدين علي بن السكتبي وابن الحظيري مع أن الاسمين لرجل واحد وقد كان المؤلف  
 الفاضل ذكره في الصفحة ٧٣ .

٥٠ — وذكر في الصفحة ١٤٥ موجز سيرة الخليفة المستنصر بالله وذكر موته الطبيعي  
 المشهور ولم يذكر ما قاله ابن واصل الحموي نقلاً عن ابن سويد التكريتي من أنه فُصد  
 بمبضع مسموم فمات مسموماً<sup>(١)</sup> ، قال ابن واصل : « وكان سبب موته على ما حكاه لي  
 وجيه الدين بن سويد التكريتي — وكان خبيراً بأحوالهم — أنه فُصد بمبضع مسموم  
 وقدم تقدم ذكر ذلك ... » يعني أنه قاله في وفاة الخليفة الناصر لدين الله « لكن سمعت  
 من جماعة منهم وجيه الدين بن سويد - رح - أن المستنصر فُصد بمبضع مسموم فمات »<sup>(٢)</sup>  
 وليس مرادي بإيرادي هذا الخبر أنه صحيح ولكن مرادي الاستقصاء في ذكر أسباب وفاته .  
 ٥١ — وجاء في الصفحة ١٤٩ ذكر « اسحاق العلي الحنبلي الزاهد » . محيلاً له على  
 امرأة الزمان « ٨ : ٤٨٩ » وقال : « وقد جاءت فيه العلب والعلبي والصحيح ما ذكرناه  
 ويقال لهذا الموضوع اليوم العيث على مقربة من سامراء » ، قلت قال ابن عبد الحق البغدادي

(١) مفرج الكروب « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ١٧٠٣ و ٤٠٠٣٩ » .

(٢) المرجع المذكور « ١٧٠٢ و ٢٣١ » .

في مراصد الاطلاع : « العيث بكسر أوله وسكون ثانيه وآخره ثاء مثلثة : قرية على دجلة بين عكبرا وسامراء موقوفة على العلوين ، كانت في شرقي دجلة وهي الآن من عمل دجيل على الشطيطة . والعت كانت قرية لا أرضاً واسعة كالعيث الحالي ، وصارت بالجانب الغربي من دجلة قبل القرن الثامن للهجرة مع أن « العيث » قرب سامراء وبالجانب الشرقي ، فالصحيح ان العيث الحالي كان يسمى « العيثة » قال مؤلف المراصد « ... العيثة أرض على القبلة وقيل هي رمل في تكريت » ، فهي الرمل المقابل لتكريت حتى جنوبي سامراء الشرقي .

٥٢ — وجاء في الصفحة ١٤٨ « وقال أيضاً : لما وردت بغداد في سنة ٦٦٤ حكى لي بعض الثقات ... » ، وأحال بهذا الخبر على مرآة الزمان في حوادث سنة ( ٦٤٠ ) ففيه سهو إذن والصواب « سنة ٦٤٠ » .

٥٣ — وأعاد في ص ١٥٤ ، ١٥٦ مقاله سابقاً في كون نصيرالدين بن الناقد وزير المستنصر بالله علويًا ، وقد نبهت على أنه لم يكن هاشمياً فكيف يكون علويًا ؟ .

٥٤ — وذكر في الأرضين الموقوفة على المستنصرية - ص ١٦٨ - « قوسنينا وهي ثلاثة آلاف جريب ونيف » . وقال في الحاشية : « قوسنينا ليس في القاموس مثل هذا الاسم وإنما توجد كلمة قوسنينا وهي كورة من كور مصر وليست هي المقصودة ، وربما كانت الكلمة ممزقة عن قوسان وهي كورة كبيرة ونهر عليه مدن وقرى بين النعمانية وواسط ... » . قلت : لم لا يكون « قُسين » ثم تطوّرت على حسب القاعدة اللغوية من ابدال أحد الضعفين حرف علة ، قال ياقوت : « قُسين بالضم ثم الكسر والتشديد وياء مثناة من تحت ونون : كورة من نواحي الكوفة » ، وكانت قرية قرب الكفل الحالية تعرف بالقسونات ، قال ياقوت في برملاحة : « موضع في أرض بابل قرب حلة ديبس بن مزيد شرقي قرية يقال لها القسونات ... » . وهذا استرجاح .

٥٥ — وورد في الصفحة ١٨٣ في الكلام على استفناء الطاغية هولاء العلماء في

السلطان الكافر العادل والسلطان المسلم الجائر أيهما أفضل ، قول المؤلف : « وكان رضي الدين علي بن طاوس حاضراً هذا المجلس ... » . وقال المؤلف في الصفحة ١٨٤ معلقاً على رضي الدين علي بن طاوس الحلبي<sup>(١)</sup> ما هذا نصه « جاء في التلخيص - يعني تلخيص معجم الألقاب - أنه رضي الدين أبو القاسم علي بن علي بن طاوس الحسيني ، وفي الحوادث الجامعة وروضات الجنات ١ : ٣٩٢ رضي الدين علي بن سعد الدين أبي إبراهيم موسى النقيب . قدم بغداد من الحلة سنة ٦٣٥ في خلافة المستنصر فأزله داراً بالجانب الشرقي وعرضت عليه النقابة يومئذ فامتنع عنها ورجع الى الحلة غير أنه تولاها سنة ٦٦١ هـ في أثناء حكم المغول وظل ببغداد حتى سنة ٦٦٤ وهي سنة وفاته بها . »

ولم يفعل المؤلف الفاضل غير نقل حاشيتي في التلخيص وتقليدي في حيرتي ، مع أنني كنت واهماً في هذه الحيرة فرضي الدين أبو القاسم علي بن علي بن طاوس الحسيني الوارد ذكره في التلخيص ٤ : ٥٠٩ هو رضي الدين ابن طاوس الصغير - أعني أنه حفيد رضي الدين الكبير المتوفى سنة ٦٦٤ - قال السيد ابن عنبه : « فأما أبو القاسم رضي الدين صاحب الكرامات فولد رضي الدين مجدداً الملقب بالمصطفى ، مات دارجاً ، والنقيب رضي الدين علياً ولد النقيب قوام الدين أحمد<sup>(٢)</sup> » . وهو المراد هاهنا وقد أدرك القرن الثامن للهجرة على حين أن جده توفي سنة ٦٦٤ هـ وقد ورد ذكره في تلخيص معجم الألقاب في غير هذا الموضوع قال ابن الفوطى : « ولما توجه النقيب رضي الدين علي بن طاوس الى الحضرة في شوال سنة أربع وسبعائة كان في الصحبة<sup>(٣)</sup> ... » ، وقال في ترجمة مجد الدين أبي الحسن علي بن عبد الصمد الدوني الغوي تلميذ الصغاني المتوفى سنة (٦٥٠) : « ولما توجهنا الى المعسكر في صحبة النقيب الطاهر رضي الدين أبي القاسم علي بن طاوس الحسيني نزلنا بأسد

(١) منسوب الى الحلة المدينة العراقية المشهورة وقد جاء في التلخيص ٤ : ٥٠٩ الحلبي من خطأ الصبع .

(٢) عمدة الصائب « س ١٦٩ من طبعة الهند » وقوام الدين أحمد ابن رضي الدين الكبير ، ذكره

ابن الفوطى في « قوام الدين » من تلخيص معجم الألقاب .

(٣) تلخيص معجم الألقاب « قسم ٢ ص ٨١٧ » .

أباز<sup>(١)</sup> ... » . وقال في ترجمة قطب الدين أبي علي حيدر بن الحسين ابن زبارة العلوي السوكندي : « وسوكند قرية على باب نيسابور استوطن تبريز مع أهله وجاء الى حضرة النقيب الطاهر رضي الدين علي بن طاوس الحسيني لتصحيح نسبه وسأل النسابة شرف الدين محمد بن عبد الحميد الحسيني فوعده بتحصيله . وقدم بغداد سنة سبع وسبعمائة وكتبت له نسبه<sup>(٢)</sup> » .

٥٦ — وورد في الصفحة ١٩٣ في أخبار الملك الناصر داود بن عيسى الأيوبي : « وكان في صحبته نحر القضاة نصر الله بن بزاقة والشيخ شمس الدين عبد الحميد الخرومشاهي » . وجاء في الفهرست — ص ٤٤٧ — « شمس الدين الخرومشاهي » وقد تصحف النسب على المؤلف الفاضل ، وإن أحال به على الوافي بالوفيات ، والصحيح « الخسروشاهي<sup>(٣)</sup> » . قال الصفدي : « عبد الحميد بن عيسى بن حمويه بن يونس بن خليل الشيخ الامام العلامة شمس الدين أبو محمد الخسروشاهي التبريزي ، ولد سنة ثمانين وخمسمائة بخسروشاه وتوفي بدمشق سنة اثنين وخمسين وستمائة<sup>(٤)</sup> ... » . وقال ابن العماد الحنبلي في وفيات سنة ٦٥٢ : « وفيها شمس الدين الخسروشاهي — بضم الخاء المعجمة وسكون المهملة وفتح الراء وبعد الواو شين معجمة نسبة الى خسروشاه : قرية بمرو — أبو محمد عبد الحميد بن عيسى بن عمويه بن يوسف ابن خليل بن عبد الله بن يوسف التبريزي الشافعي العلامة المتكلم<sup>(٥)</sup> ... » . وهذا واضح غير محتاج الى الاطناب .

٥٧ — ومع حرص المؤلف الشديد على صحة النصوص تفوته تصحيحات أحياناً كما في الصفحة ٢١٦ فقد جاء فيها « أنا أفعل وأحضر في دارك وتنجد أنت الى الخليفة ... » .

(١) تلخيص معجم الآداب . الترجمة ٣٩٠ من باب الميم .

(٢) الجزء الرابع في لقب « القطب » .

(٣) تصحف في الحوادث — ص ٣١١ — الي « عبد الحميد بن الحسن بن شاهي » وذلك سنة ١٩٣٢ ثم اهدت ال صحته سنة ١٩٣٤ .

(٤) نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢٠٦٦ و ١٣١ » .

(٥) لاشذرات « ٦ : ٢٥٥ » .

والصواب « وتنحدر » لأن داره كانت فوق دار الخلافة كما يفهم من العجد المسبوك .  
٥٨ — وخلط الأستاذ في الاصطلاحات المفيدة التي ضمنها هذا الجزء بين الشحنة  
ووظيفته الشحنية — ص ٢٥٢ — قال : « الشحنة والشحنية الحاكم العسكري ورئيس  
الشرطة و .. » والشحنية وظيفة الشحنة.

٥٩ — وقال في الصفحة ٢٥٦ : « تحت الاستظهار : على حالة الاكرام والمراعاة »  
وهذا خطأ فان الاستظهار هنا بمعنى الاحتياط والرقابة والتوكيل ، إلا أن من الرجال من  
كان يكرم ويراعى مع وجود حال الاسـ تظهار عليه ، ولذلك كانوا يذهبون على الرعاية  
والاكرام لمباينتها الحال المألوفة في الاستظهار ، قال ابن الطقطقى في ترجمة الوزير نصير الدين  
ناصر بن مهدي العلوي : « ونقل الى دار الخلافة فأقام بها تحت الاستظهار على حالة الاكرام  
والمراعاة الى أن مات تحت الاستظهار<sup>(١)</sup> . فلو كان الاستظهار اكراماً ومراعاة لم يُنقل نقلاً  
بل انتقل انتقالاً ، ومما نسوقه شاهداً على ذلك قول ابن الأثير في حوادث سنة ٦٠٦ :  
« في هذه السنة في ربيع الأول عزل نحرالدين بن أمسينا عن نيابة الوزارة وألزم بيته ثم  
نقل الى المخزن على سبيل الاستظهار عليه وولي بعده نيابة الوزارة ... » ، وقال في خبر  
الوزير نصير الدين : « فاختار أن يكون تحت الاستظهار من جانب الخليفة لكلا يتمكن منه  
العدو فتذهب نفسه » . وقال في عصيان سنجر مملوك الناصر بخوزستان والقبض عليه :  
« فعادوا الى بغداد وسنجر معهم تحت الاسـ تظهار ... وخرج أهل بغداد الى تلقيهم  
فدخلوها وسنجر معهم راكباً على بغل بكاف وفي رجليه سلسلتان في يد كل جندي سلسلة » .  
فأي إكرام ومراعاة مع هذه الحال والسلسلتين ؟ ! .

٦٠ — وجاء في الصفحة المذكورة « يُفتي : يشـ رتف الناس بلباس الفتوة بطريق  
الوكالة » . وليس هذا القول بمتسق فالتفتية هي إدخال الانسان في حزب الفتية بالأصالة أو  
بالوكالة فان كان طالب الفتوة بعيداً عن المفتي أنفذ اليه من يفتيه بطريق الوكالة ، والظاهر  
أن المؤلف الفاضل قرأ في سيرة الملك الأشرف الأيوبي في كتاب الحوادث - ص ١٠٦ -

(١) الفخري « ص ٢٢٦ » طبعة بيروت .

قول مؤلفه « راسل الخليفة يسأل تشريفه بالفتوة فننذ اليه من فتاه بطريق الوكالة ». فظن أن كل تفتية تكون بالوكالة ، مع أن النص المذكور يوضح أن صاحب الفتوة المفتي وهو الخليفة كان ببغداد والملك الأشرف بعيد عن العراق ، فأرسل اليه من فتاه بالوكالة عن الخليفة المذكور .

٦١ — وقال في الصفحة ٢٥٧ : « البتي نسبة الى البت موضع من نواحي البصرة » هكذا قال بالجزم ، مع أن السمعاني صاحب هذا الرأي قال : « البتي ... هذه النسبة الى البت وهو موضع أظن بنواحي البصرة .. » . وقال ابن الأثير : « البتي ... هذه النسبة الى البت وهو موضع قال : أظنه بنواحي البصرة ... » . فالسمعاني لم يكن واثقاً بأن البت من نواحي البصرة ، والذي في معجم البلدان « البت : بالفتح ثم التشديد قرية كالمدينة من أعمال بغداد قريبة من راذان ... والبت أيضاً قرية بين بقوبا وبهرز كبيرة » . وقد تطور اسمها الى « البط » فنسب اليها البطي ، قال الذهبي في المشتهر — ص ٤٩ — : « البطي ، قرية بط على طريق دقوقا فأبو الفتح محمد بن عبد الباقي نسب إنسان من القرية فعرف به » . فبط هذه التي ذكرها ياقوت قريبة من راذان ، وراذان تعرف اليوم بروضان في طريق الخالص الى المؤدّي كركوك شرقي وادي العظيم .

٦٢ — وورد في الصفحة ٢٥٨ « السروجي : نسبة الى سروج مدينة بنواحي خراسان » وهذا خطأ ، قال ياقوت الحموي في معجم البلدان : « سروج : فعول بفتح أوله ... وهي بلدة قريبة من حران من ديار مضر ... » وقد تصحفت حران على المؤلف الفاضل الى خراسان كما ترى .

٦٣ — وقال في الصفحة المذكورة : « العبادي نسبه الى عباد بن ضبيعة بن قبيس بن ثعلبة أو الى عبادة وهم حي من العرب كثير عددهم نزلوا على القرات » . فلماذا أثبت هذه النسبة في كتابه ؟ لأنه قد ورد في هذا الجزء — ص ١٤ — يعقوب بن يوسف بن قاسم الأنصاري الخزرجي العبادي ، مع أن نسبه يشعر بأنه منسوب الى سعد بن عبادة الخزرجي لا الى غيره ، ألا تراه . ووصوفاً بالانصاري والخزرجي ؟ ومنسوباً الى الأنصار والخزرج ؟

فمن اين العبادي من عباد بن ضبيعة أو من حي عبادة أن يكون خزرجياً ؟

٦٤ — وقال فيها : « المعدني نسبة الى المعدن ومنه شرف الدين ذو النون بن أحمد بن محمد بن فضلان المعدني ... » . فلم يفهم القارىء من المعدن شيئاً ، وانما نقل المؤلف هذا القول من المشتهر للذهبي - ص ٤٩٢ - وترك آخره وهو « والمعدن بليدة من نواحي اسعرد » . هذا ما عدا ما ذكره ياقوت الحموي في معجم البلدان من أن المعدن قرية من قرى زوزن من نواحي نيسابور منها « أبو جعفر محمد بن ابراهيم المعدني » .

٦٥ — ونسب في الصفحة ٢٥٩ عمر الدورقي وزير اقبال الشرايبي الى القلائس الدورقية أو الى الدورقي اي الناسك ، ولم يذكر نصاً يثبت ذلك ، لأنه يجوز أن يكون منسوباً إلى بلدة دورق بخوزستان .

٦٦ — وقال المؤلف الفاضل في الصفحة ٣٠٢ : « ويبدو أن نهر المعلى كان يخرج من دار الخلافة ينصب في دجلة ولعله كان يصب بجذء المستنصرية في الحد الأسفل منها بينها وبين دار الزعيم سنقرجة ومسجد الحظائر ، ولعل فوهة نهر المعلى هناك كانت مكشوفة أي من دون عقود فوقها ، وقد يدل على ذلك التدوير الظاهر في ركني الجدار الجنوبي للمستنصرية الكائن في خان الملح أي موقع نهر المعلى في رأينا ، لأن مثل هذا التدوير لا يكون إلا في الجدران التي يكون جانبها في الماء ، وليس الأمر كذلك في بقية أركان المدرسة الأخرى وقد يستعمل هذا التدوير في الأنهار للتخفيف من حدة تيار الماء ولتساعد المياه على المرور ، ويلاحظ مثلاً ذلك (كذا) التدوير تماماً في أركان قنطرة حربي<sup>(١)</sup> ... » وقول المؤلف

(١) كان الأستاذ المؤلف قد ذكر هذه الفكرة في الجزء الاول « ١ : ٤١٨ » وأورد بيت عز الدين ابن أبي الحديد :

مخيمة على نهر للمعلى فندجة لا التيفة فالضمار

وعاد اليها نالته في ج ٢ ص ٣٠٥ واستدل أيضاً بوجود باب في جدار المستنصرية الجنوبي وادعى أن شِبارة المستنصر لعلها كانت تدخل من مصب نهر المعلى حتى يصل الى الباب . وقد ذكرنا له سابقاً أن السلطان غازان دخل المستنصرية من الدار المجاورة للمدرسة ومن المؤكد أنه دخلها من الباب المذكور ، ولم يذكرها في غيره شِبارة ولا سفينة ولا زورقاً .

الفاضل : إن نهر المعلى يخرج من دار الخلافة ، ينبغي أن يكون النهر محاداً للمستنصرية لأن المستنصرية لم تكن في عداد مباني دار الخلافة لا هي ولا مسجد الحظائر ولا دار سنقرجة ولا رباط شيخ الشيوخ ولا المدرسة البهائية ولا رباط بهروز ولا خان علاء الدين الجويني « خان الدفتردار » فكيف يخرج نهر المعلى ويصعد الى جانب المستنصرية ؟ ثم إنه ذكر في حاشية الصفحة ١٩٥ أن « المستنصرية كانت مخيمة على نهر المعلى أي قريبة منه » . مع أنه في القول السابق يجعلها مخيمة على نهر المعلى حقيقة لا مجازاً .

والتحقيق الخططي أن نهر المعلى كان يصب في دجلة في دجلة من داخل دار الخلافة لا من جنوبي المستنصرية ، قال الخطيب البغدادي وابن الجوزي في ذكر أنهار بغداد : « وكان في الجانب الشرقي نهر موسى ، يأخذ من نهر بين الى أن يصل الى قصر المعتضد المعروف بالثريا ثم يخرج الى موضع يقال له مقسم الماء فينقسم ثلاثة أنهار فيدخل أحدها بستان الزاهر فيسقيه ويمضي الثاني الى باب ببرز فيدخل البلد ويسمى نهر المعلى يمر بين الدور الى باب سوق الثلاثاء ثم يدخل قصر الخلافة المسمى بالفردوس فيدور فيه ويصب في دجلة (١) ... » .

أما التدوير فوجود مثله في جدار المدرسة المرجانية في الركنين الشمالي الشرقي والجنوبي الغربي من وجه المدرسة فهل معنى هذا أن كلا من الركنين كان على نهر جارٍ ؟ هذا ما لم نسمع الالتزام به في وصف التدوير في البنايات الاسلامية .

والصحيح أن نهر المعلى كان يمر من باب سوق الثلاثاء كما جاء في التاريخ ، وهو عند الحيدر خانة فينحدر موازياً لدجلة إلى دار الخلافة التي أعلى باب لها باب الغربية أي باب شارع المستنصر الحالي ، قال الخطيب البغدادي : « ويمر بين الدور إلى باب سوق الثلاثاء ثم يدخل قصر الخلافة المسمى بالفردوس فيدور فيه ويصب في دجلة (٢) » . وقال هذا القول غيره من المؤرخين .

(١) تاريخ بغداد « ١ : ١١٤ » ومناقب بغداد « ص ١٩ » .

(٢) تاريخ بغداد « ١ : ١١٥ »

وهذه قائمة بالغلطات المطبعية وان كان فيها ما يجوز عده غير مطبعي مما ورد في الجزء الأول :

الصفحة	السطر	الغلط	الصواب
٢٠	٧	ثقاة	ثقات
٤٢	٢	قونين	قرنين
٥٥	١٤	ثمانين	ثمانين
١٢٠	٧	الرياضيات	الرياضات
١٢٨	٢١	الكردي	الكردري
١٣١	٦	البزودي	البزدوي
١٤٤	١٣	شذر	شذور
=	١٨	زكي الدين بن عبدالعظيم	زكي الدين عبدالعظيم
١٤٧	١٨	حمادي	محمّادي
١٥٠	١١	وابن الحسن	وأبي الحسن
١٥٢	٦	بيغدادة	بيغداد
١٥٨	١٥	الطبرس والدويدار	الطبرس الدويدار
١٦٢	٢٠	من نواحي الخالص	من نواحي طريق خراسان
١٧٢	٨	الشافعي	الشافى
١٨٢	١٢	عكبر	عكبرا
١٨٨	٢٠	ابن الخطاب	أبي الخطاب
١٩٩	١٠	الدهلي	الدهلي

الصفحة	السطر	الغلط	الصواب
٢٠٨	٣	يخطون	يخطئون
٢١٠	٢٢	٢٤٠	٢٠٤
٢١٣	٢٥	الاوربيون	الاوربيون
٢٤٣	١٦	الحضائري	الحضائري
٢٤٦	١	الأدي	الأدي «أولى»
٢٦٤	١٧	وطايفة	وظائف
٢٧٧	٩	تقي الدين بن علي	تقي الدين علي
=	١٢	استنسخ معه	استنسخ منه
٢٩٦	١٨	والمرجي بضم	والمرج بفتح
٣٠٧	٨	شيخنا	شيخاً
٣٢٢	٣	العزّي	العزّي
٣٤٠	٢٠	ابن شرف الدين	شرف الدين
٣٤٢	٣	كمال	كمال
٣٤٥	١٢	بخان الحسنية	بخان الخليفة
٣٤٦	٨	أبي القاسم بن عبدالله	أبي القاسم عبدالله
٣٥١	٩	أبي عبدالله	أبي عبيد
٣٥٣	٢١	للقضاء	للقضاء
٣٧٤	٩١	مم أولاده	مع أولاده
٣٩٣	١٥	بالمستصرية	بالمستصرية

وهذا ما في الجزء الثاني

الصفحة	السطر	الغلط	الصواب
١٠	١٦	الشهر بابي	الشهر بابي
١٤	١٧	الشهر بابي	الشهر بابي
٧٥	٨	نمىج البلاغة	شرح نمىج البلاغة
٧٨	١٤	النحاس	النحاس
٩٩	١٠	والنحاسي	والنحاسي
١١٥	١	حاجبة	حاجبة
١١٦	١١	أرعون	أرعون
١٣٠	٩	الرّهاوي	الرّهاوي
١٣٥	١	ابن الجوري	ابن الجوزي
١٤٧	١٢	الموخوذة	المأخوذة
١٤٨	٦	الدايرة	الدايرة
١٥٤	١١	بمصالحها	بمصالحها
١٥٧	١٨	ديوان لروم	ديوان الزمام
١٦٩	٢٥	باب المؤرخون	المؤرخون
١٨٢	١٨	الأسر	الأسر
=	٢٣، ١٩	الايوائية	الايوائية
١٩٠	١٣	أحمد	حمد
٢١٠	٣	عبدالرزاق	عبدالرازق
٢٢٦	١٢	الادرهني	الأردهني
٢٤٢	٥	١١٦٤	١١٨٠
٢٩٤	١٣	المخلطون	المخلطيون

إن الملاحظات التي ذكرتها ما هي إلا كالتخال في وجه الحسنة فان هذا الكتاب الذي

هو حصيلة بحث وتحقيق واستقصاء وترتيب وتنسيق مدة ثلاثين سنة ، كما أشرت إليه في أولها ، لجدير بالأكبار والاستعظام ، وإن مؤلفه لجدير بالاعجاب الكثير ، والشكر الوفير ، على ما بذل من جهد تاريخي وسعي أدبي ، ونفقات طبعية ، وسبقى الكتاب كما قلت آنفاً دائرة معارف للمدرسة المستنصرية ، وفق الله مؤلفه لمثل هذا العمل التاريخي النافع ومد في عمره ليتمتعاً بأمثال هذا الكتاب الأنفس وهذا المجهود الأكيس .

مصطفى حواد

# معرض أعمال المجمع

١٩٦٥ - ١٩٦٦

أيها الزملاء الكرام أعضاء المجمع العلمي العراقي العاملين .

السلام عليكم :

هذه هي السنة الثالثة من سنوات المجمع العلمي العراقي بعد تنفيذ قانونه رقم ( ٤٩ ) لسنة ١٩٦٣ ، وهي نهاية الدورة الأولى التي حددها القانون بثلاث سنوات وقد عقد المجلس خلال هذه السنة تسعاً وعشرين جلسة تناول فيها مختلف شؤون العمل الجمعية والاستشارات التي عرضت عليه وحاول أن يؤدي رسالته على أتم وجه غير أن تخفيض الميزانية سيحول دون تنفيذ الكثير من المشروعات في السنة المقبلة .

وتتلخص أعمال المجمع خلال سنته الجمعية ١٩٦٥ / ١٩٦٦ بما يأتي : -

## « لجان المجمع »

١ - لجنة النظر في قضايا غياب العضو العامل عن حضور الجلسات تألفت من السادة :  
الاستاذ محمد شفيق العمالي والدكتور عبد العزيز الدوري والدكتور ابراهيم شوكة  
والدكتور جميل سعيد والدكتور يوسف عز الدين ( مقررأ )  
وقدمت تقريرها الآتي الذي أقره المجمع في جلسته السابعة عشرة للمقودة في ١٤ / ٣ / ٦٦  
« تمنع المسكافة التي أشارت اليها المادة ( ٢٠ ) من قانون المجمع العلمي العراقي رقم ٤٩ لسنة  
١٩٦٣ إلى المقيمين داخل العراق الذين يشاركون في جلسات المجمع وفعالياته ويستثنى

من شرط المشاركة في جلسات المجمع وفعاليات لجانة الاعضاء المرضى والمقعدون سواء  
أكانت إقامتهم داخل العراق أم خارج العراق . أما الاعضاء الذين يتغيّبون عن العراق مدة  
تزيد على ثلاثة أشهر وبعذر يقره المجمع وينقلون محل إقامتهم الى خارج العراق فيوصفهم  
غير مشاركين في جلسات المجمع وفعالياته تقطع عنهم المكافأة ويحتفظون بعضوية المجمع  
العاملة » .

٢ - لجنة الاشراف على كتاب مصور الخط العربي :

الدكتور جميل سعيد والدكتور محمد عبد العزيز مرزوق ( الاستاذ في معهد الدراسات  
الاسلامية ) وهي ماضية في عملها

٣ - لجنة ترشيح الموظفين للترفيح :

السيد رئيس المجمع و الدكتور ابراهيم شوكة و الدكتور يوسف عز الدين ( مقررآ )

وهي ماضية في عملها واصدرت أربعة قرارات بترفيح أربعة موظفين استحقوا الترفيح

٤ - لجنة الاشراف على اعمال النشر في مؤتمر مجمع اللغة العربية الذي عقد في بغداد ما بين

٢٠ تشرين الثاني و ٢٩ منه ١٩٦٥ من السادة :

الاستاذ كوركيس عواد و الدكتور جميل سعيد و الحاج محمود شيت خطاب ( مقررآ )

وقد انجزت عملها

٥ - وقد طلب المكتب الدائم للتعريب في الرباط لجنة لمساعدته في أموره فألف المجمع

اللجنة الآتية :

الاستاذ الحاج محمود شيت خطاب و الدكتور مصطفى جواد و الدكتور يوسف عز الدين

٦ - لجنة المجلة :

وتم تأليف لجنة للاشراف على مجلة المجمع العلمي العراقي من السادة الدكاترة :

عبد الرزاق محيي الدين و عبد العزيز الدوري و مصطفى جواد و جميل للملائكة و يوسف

عز الدين ( مقررآ )

وقد أصدرت المجلة الثالث عشر ووضعت قرارات لتنظيم صدور المجلة وهي مستمرة في عملها

٧ - لجنة مصطلحات النسيج من السادة الذكارة :

مصطفى جواد وصالح أحمد العلي وإبراهيم شوكة وجميل الملائكة (مقرراً)

وقد أتمت عملها وأقر مجلس المجمع المصطلحات التي قدمتها

٨ - لجنة لوضع قائمة بأسماء قادة المجتمع العربي لتخليد ذكراهم بإصدار طوابع بريديسة تذكارية من السادة :

الشيخ محمد رضا الشبيبي والدكتور عبد العزيز الدوري والدكتور صالح أحمد العلي (مقرراً)

٩ - لجنة لتسمية الشخصيات والاحداث العامة المهمة في العراق لتزويد انيونسكو بها لاحياء ذكراها خلال عامي ١٩٦٧/٦٨ من السادة الذكارة :

صالح أحمد العلي وعبد العزيز الدوري ومصطفى جواد (مقرراً)

١٠ - لجنة مطابقة تعليقات تعضيد النشر والتأليف والترجمة على الكتب المساعدة من السادة :

الدكتور يوسف عز الدين

٢ - السيد خالد عبد الحليم مدير الادارة والذاتية في المجمع (مقرراً)

٣ - السيد محمد صالح العزاوي رئيس شعبة المطبعة في المجمع

وهي مستمرة في عملها وأصدرت عدة قرارات بمطابقة الكتب التي تم طبعها بمساعدة مالية من المجمع

١١ - لجنة وضع أسماء أعلام العراقيين من رجال المسلم والأدب والفن والشعر لتخليد ذكراهم بإصدار طوابع تذكارية من السادة الذكارة :

عبد العزيز الدوري وجميل الملائكة ويوسف عز الدين (مقرراً) ولم تنجز عملها

١٩ - لجنة العلوم تألفت من السادة :

الدكتور فاضل الطائي والدكتور عبد العزيز البسام والدكتور جميل اللاثكة

٢٠ - لجنة الآداب تألفت من السادة الذكارة :

عبد الرزاق محيي الدين وسليم النعمي ومصطفى جواد ويوسف عز الدين (مقررأ)

### « المساعدين المالية للمؤلفين »

ساعد المجمع العلمي على طبع الكتب التالية على وفق تعليمات تفضيد النشر والتأليف والترجمة :

١ - العمارة الاسلامية في العهد الأتابكي - للسيد محمد باقر الحسيني

٢ - تخطيط مدينة الكوفة - الدكتور كاظم الجنابي

٣ - تاريخ قطر - لسيد محمود بهجة سنان

٤ - عمان الموصلية - الدكتور عادل البكري

٥ - ترجمة الأولياء في الموصل الحدياء - لأحمد ابن الخياط الموصلية - قام بتحقيقه

ونشره السيد سعيد الديوهجي

٦ - القاضي التنوخي وكتابه نشوار المحاضرة - السيد بدري محمد فهد

٧ - المامة بالجز في الجاهلية والاسلام - السيد شاكر الجودي

٨ - التعريف بمصادر البحث عن الامثال - السيد حسين علي الحاج حسن

٩ - الاب أنستاس ماري الكرملي : حياته ومؤلفاته - للاستاذ كوركيس عواد

١٠ - ثبت المصادر العربية في فلسطين - السيد عبد الرحيم محمد علي

١١ - السبيل الى القيادة لموتشكومري - ترجمة العميد الركن المتقاعد حسن مصطفى

١٢ - تحقيق الأمانى لطلاب الأمانى - السيد نعوم جرجيس زرازير

- ١٣ - الفوائد العوالي - لآل صاحب الجواهر قام بنشره الشيخ محمد حسن الجواهري
- ١٤ - المشهد الكافلي - الشيخ محمد حسن آل ياسين
- ١٥ - التنبيه على حدوث التصحيف - الشيخ محمد حسن آل ياسين
- ١٦ - الأمثال البغدادية للمقارنة - العميد المتقاعد عبد الرحمن التكريتي

### « كتب طبعت على نفقة المجمع »

- ١ - مصور الخط العربي - الحاج ناجي زين الدين
- ٢ - بحوث ومحاضرات دورة مجمع اللغة العربية
- ٣ - صحيفة دورة مجمع اللغة العربية ج ١ و ٢ و ٣ و ج ٣-٩
- ٤ - المباحث اللغوية في مؤلفات العراقيين المحدثين - الاستاذ كوركيس عواد
- ٥ - تاريخ التفسير - الشيخ قاسم القيسي
- ٦ - ترائفنا الفلسفي ، حاجته الى النقد والتحخيص - الشيخ محمد رضا الشبيبي
- ٧ - دراسة في سيرة النبي ومؤلفها ابن اسحاق - الدكتور عبد العزيز الدوري
- ٨ - عقبة بن نافع - الاستاذ محمود شيت خطاب
- ٩ - الوضع ، تحديده ، تفسيراته ، مصادر العلم به - الاستاذ محمد تقي الحكيم
- ١٠ - التفاحة في النحو - تحقيق الاستاذ كوركيس عواد
- ١١ - المجمع العلمي العراقي ، نشأته ، أعضاؤه ، أعماله - لسيد عبد الله الجبوري
- ١٢ - ميزان البند - الدكتور جميل الملايكة
- ١٣ - المباحث اللغوية في العراق ومشكلة اللغة العصرية - الدكتور مصطفى جواد
- ١٤ - صلاح اللغة العربية لدراسة العلوم الجامعية والبحث العلمي - للدكتور فاضل الطائي
- ١٥ - حول توحيد المصطلحات القانونية في البلاد العربية - الاستاذ محمد شفيق البعاني

١٦ - رأي في المصطلحات الطبية - الدكتور عبد اللطيف البدري

« شراء بعض المطبوعات »

ورأي المجمع أن يساهم بصورة رمزية في مساعدة المؤلفين فقرر شراء نسخ من الكتب الآتية :

١ - تاريخ العراق في العصر السلجوقي - الدكتور حسين امين

٢ - الملايا ( بالغة الانكليزية ) - الدكتور محمد الدباغ

٣ - الحدود القانونية لسلطة القاضي الجنائي - الدكتور اكرم نشأة

٤ - علم النفس الجنائي - الدكتور اكرم نشأة

٥ - جرائم الاعتداء على الاشخاص - الدكتور حميد السعدي

٦ - فهارس المعلم الجديد - السيد حكمة توماشي

٧ - خواطر - الدكتور ابراهيم عبدالله

٨ - دراسات في علم النفس ... السيد دحام السكيال

٩ - ديوان الحمداني - الدكتور عبدالهادي الحمداني

١٠ - الوطن العربي - الدكتور حسن العطار

١١ - مبادئ المالية العامة والتشريع - الامتاذ هاشم الجعفري

١٢ - العراق في الشعر العربي والمهجري - الدكتور محسن جمال الدين

١٣ - الفرائد الفوالي ج ١ - اشترت من الشيخ حسن الجواهري

١٤ - مع الشرقي الصغير ... السيد مومي الكرياسي

١٥ - علم المالية العامة - الدكتور عبدالعال الصكبان

١٦ - قلبي وسيفي - ترجمة الدكتور داود سلوم

١٧ - الكشف عن مساوي شعر المتنبي - تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين

١٨ - الامثال السائرة - تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين

١٩ - مفاهيم اسلامية - الشيخ محمد حسن آل ياسين

- ٢٠ - المدخل الى العتبات المقدسة - اشترت من السيد جعفر الخليلي
- ٢١ - موسوعة العتبات المقدسة ( قسم النجف ) - اشترت من السيد جعفر الخليلي
- ٢٢ - مبادئ علم السياسة - الدكتور لؤي بحري
- ٢٣ - فلسفة الشهادة - السيد محمد علي البهادلي
- ٢٤ - رجال السيد بحر العلوم - اشترت من السيد حسن بحر العلوم
- ٢٥ - المبسوط في الاوراق التجارية - الدكتور صلاح الدين الناهي
- ٢٦ - تسجيل الشركات التجارية - الدكتور صلاح الدين الناهي
- ٢٧ - الدليل العراقي - اشترت من السيد خالد العائلي
- ٢٨ - بيارق الآتين - لاسيدين خالد يوسف وعبد الامير الحصري
- ٢٩ - تاريخ المشعشين - السيد جاسم حسن شبر
- ٣٠ - الضرائب على التركات - الدكتور عبدالعال الصكبان
- ٣١ - الحجر على المدين لحق الغرماء ... السيد احمد علي الخطيب
- ٣٢ - العلاقات الدولية ومعاهدات الحدود بين العراق وايران - السيد شاكر صابر الضابط
- ٣٣ - لمحات من تاريخ الطب القديم - الدكتورة آمنة صبري مراد
- ٣٤ - تاريخ علماء سامراء - السيد يونس السامرائي
- ٣٥ - ديوان الناصري ج ٢ - جمع السيدين عبدالله الجبوري وهلال ناجي
- ٣٦ - شرح رسالة الحقوق ج ١ - اشترت من السيد حسن القبانجي
- ٣٧ - القوي البحرية في الخليج العربي - الدكتور عبدالامير محمد امين
- ٣٨ - ديوان الكواز - اشترت من الشيخ موسى اليعقوبي
- ٣٩ - في مهبط الوحي - الدكتور بديع شريف
- ٤٠ - الرهيمة - السيد عبد الرحيم محمد علي

« جوائز للطبيب النابرين »

وخصص مجلس المجمع جوائز تقديرية بالطلاب النابرين فوضع ست جوائز للطلبة الاوائل

في كليات الآداب والتربية والشريعة من قسمي التاريخ واللغة العربية واهدى مطبوعاته اليهم .

### « المطبوعات المرزوقية والمباركة »

وقد اهدى المجمع العلمي عدداً من كتبه ومطبوعاته للأعضاء المساهمين والمؤازرين ووزراء الدولة وشخصيات العلم والفكر في المعاهد والمستشرقين واعلام الفكر والمتاحف والمكتبات العربية والاجنبية وسفاراتنا واليونيسكو واتحاد العمال العرب في بريطانيا .  
ويبلغ مقدار ما اهدى ( ١٠٦٥ ) نسخة عدا مطبوعات المؤتمر .

### « مكتبة المجمع »

وقد تمّ جرد كتب المكتبة وزودت بدواليب وصناديق لوضع بطاقتها وهي تقوم حالياً بمرسة جميع ما لم يسجل فيها وتنظيم بطاقات الكتب لتشمل على اسم الكتاب واسم مؤلفه ومحل الطبع ونوعه مما لم يكن يتسنى لها من قبل .

### « صلات المجمع الثقافية »

وتزاد صلات المجمع الثقافية بالجامع العلمية والاعلوية في البلاد العربية وغيرها بمبادرة المطبوعات أو عرضها في مؤتمرات الكتاب التي عقدت في واشنطن والكويت والرباط وفرانكفورت .

### « شؤون الأعضاء »

- ١ - توفي العلامة الجليل الشيخ محمد رضا الشيبلي رئيس المجمع وشيخ الأدباء في العراق .
- ٢ - صدر مرسوم جمهوري بتعيين الدكتور احمد عبدالستار الجواربي عضواً عاملاً في المجمع .
- ٣ - تم انتخاب الاستاذ عبدالهادي التازي عضواً مؤازراً .

### « خدمات ثقافية »

المجمع يوالي خدماته الثقافية الأخرى بتصوير المخطوطات في العراق على الرقوق وبأي نوع من أنواع التصوير ويعين الباحثين في هذا الشأن حسب طاقته .

### « استشارات المجمع »

وادل برأيه في خطة التعاون الثقافي مع الصين الشعبية والاتحاد السوفياتي وخطة  
التعاون بين العراق ومنظمة اليونسكو .

### « اجازات اروعضاء »

١ - اجاز المجلس الدكتور فاضل الطائي للحضور الى اتحاد الجامعات العربية الذي عقد  
في القاهرة .

٢ - واجاز الدكتور يوسف عز الدين للحضور الى مؤتمر الأدباء الافريقيين الأسويين  
الذي عقد في بكين .

### « مخطوطات المجمع »

واضاف المجمع الى مكتبته مخطوطات مصورة بمختلف المقاييس جلبها من مختلف  
مكتبات العالم منها :

١ - ديوان الرحوم عبدالله باشعالم - ابو محمد نور الدين عبدالله العمري جمع جوبنجمي  
زاده محمود

٢ - حاشية المطار على مقولة السجاعي - حسن بن محمد المطار

٣ - ديوان خالد بن يزيد بن معاوية ( في الكيمياء )

٤ - رسالة مشتملة على ما يتعلق بالمساحة - للشيخ علي عبدالبر بن علي الزناتي الحسني

٥ - رشف الزلال في معرفة استخراج قوس مكث الهلل بطريق الحساب - رمضان

ابن صالح الخوانسكي

٦ - لامية الافعال - جمال الدين ابو عبدالله محمد بن مالك الطائي

٧ - كتاب المقدمة المزيحفية في علم الحساب - ابو عبدالله محمد بن داود الصنهاجي

المزجفي

٨ - رسالة في النحو - الحاج محمد بن احمد

- ٩ - كتاب الدر والترياق في علم الاوضاع والاطواق - عبدالرحمن الجرجاني
- ١٠ - رسالة في كتب اوائل الحديث - احمد البجرمي
- ١١ - رسالة النمن الثابت في مسألة الثابت - للشيخ حسني
- ١٢ - برد الظلال في تكرير السؤال - جلال الدين السيوطي
- ١٣ - شرح البسمة - محمد بن علي الصبان
- ١٤ - منظومة في معرفة الكسوفين - مؤلف مجهول
- ١٥ - نجاة الروح وكذب الفتنوح - ابن حسن الخلوقي الشافعي
- ١٦ - شرح رسالة الوضع العضدية - ابو القاسم السمرقندي
- ١٧ - الطرق الواضحات في عمسل المناسخات - ابو عبدالله محمد بن محمد الازموي

#### الصالحي الشافعي

- ١٨ - مفيد الصبيان في علم البيان - مؤلف مجهول
- ١٩ - كتاب عقيدة التوحيد - مؤلف مجهول
- ٢٠ - رسالة في المقصد - مؤلف مجهول
- ٢١ - ذكر نسب النبي (ص) - بخط محمد بن ابراهيم
- ٢٢ - متن الاجرومية - ابو عبدالله محمد بن داود الصنهاجي المعروف بابن اجروم
- ٢٣ - مسلسلات شريفة واسانيد منيفة - للحافظ جلال الدين ابي الفتوح
- ٢٤ - تفسير كلام خير البرية - لمحمد بن العابد بن العمري
- ٢٥ - رسالة في الحساب والمساحة - لشيخ ابي العباس احمد بن الابار
- ٢٦ - فهرست كتب الخزانة المتوكلية بالجامع المقدس بمدينة صنعاء
- ٢٧ - السر في الكيمياء - لهرمس بود شيرا الكاهن
- ٢٨ - كتاب في صناعة الكيمياء
- ٢٩ - تفسير الاحلام

٣٠ - مختصر في علم المعادن

٣١ - كتاب كليلة ودمنة

٣٢ - مجموعة في الحكمة والكيمياء وتحتوي على ٢٦ رسالة وتسمى كتاب قر الاثمار

٣٣ - دين الله الغالب على كل منكر مبتدع كاذب - نضر الدين ابوسعيد عثمان بن سليمان

### الجليلي

٣٤ - رسالة في منافع أعضاء البدن - علي بن ابي انحزم القرشي

٣٥ - ادب القاضي - ابو يوسف يعقوب بن ابراهيم

٣٦ - الجواهر النضيفة في تلميح مردي الصوفية - محيي الدين بن عربي

٣٧ - كتاب التراجم - محيي الدين بن عربي

٣٨ - ديوان جمال الدين بن زكريا الصرصري

٣٩ - حديقة الزوراء للسويدي

٤٠ - كتاب العيل في الفقه - لابن مكرمة ابي حاتم محمود بن الحسن

٤١ - كتاب تحفة الشارب ومعجزة الراكب

٤٢ - كتاب الطبقات - لابن الجوزي

٤٣ - المبين في شرح الفاظ الحكماء والمتكلمين - ابو الحسن علي الأمدى

٤٤ - المرائي - محمد بن محمد بن علي ابن العربي

٤٥ - ديوان الحقيقة والاشعار - لنظام الدين الاصبهاني

٤٦ - ديوان المتنبي شرح ابن جني نسخة المتحف البريطاني

٤٧ - ديوان المتنبي شرح ابن جني نسخة المتاتيكاز

٤٨ - ديوان المتنبي شرح ابن جني نسخة كوتنگن

٤٩ - جامع الاسرار ج ١ - مؤيد الدين ابو اسماعيل الحسين بن علي الطغرائي

٥٠ - الدر المنظم في السر الاعظم - كمال الدين ابو سالم محمد بن طلحة العدوي الجفاري

### الشافعي

- ٥١ - عمدة الكتاب وعدة ذوي الالباب
- ٥٢ - مجموعة خمس كتب ثلثاوية
- ٥٣ - الدررة البيضاء في علم الصنعة ( في الكيمياء ) - لعلي الجلبلي
- ٤٥ - حل الطلسم وكشف السر - لمحمد العمري المصري
- ٥٥ - حل الرموز وكشف الكنوز من متمات كتاب نهاية الطلب في شرح  
المكتسب ج ٣ - للجلدي
- ٥٦ - عيون الحقائق وايضاح الطرائق وكشف الدك وايضاح الشك في علم النواميس  
والمخاريق الكبرى والتعاقين والنارنجيات والخواص المجربات - ابو القاسم احمد بن  
محمد العراقي
- ٥٧ - الاقاليم ( مصورة على طبعة اوربا ) - لأبي اسحاق الاصطخري
- ٥٨ - خلاصة اخبار المسافر والمعجم في معرفة بلاد عراق المعجم لابن حوقل ( مصورة  
على طبعة اوربا )
- ٥٩ - علم تفسير الاحلام
- ٦٠ - مختصر في علم المعادن
- « المصطلحات العلمية »

اقر مجلس الجمع سبعين مصطلحاً في النسيج واربعين مصطلحاً في التشريح وما تزال  
بقية للمصطلحات الطبية معروضة على المجلس وارجو ان تنجز خلال هذه الدورة .

### « مجلة الجمع العلمي العراقي »

اصدر الجمع المجلد الثالث عشر من مجلته وقد وضع مجلس الجمع خطة حسنة فيها  
صلاحيات لجنة المجلة بالشكل الآتي :

- ١ - ان يكون للجنة المجلة الحق في نشر البحوث ورفضها وللعقد الذي يرفض بحته  
ان يستأنف لدى المجلس .

٢- ان تكون اللجنة مسؤولة عن تنفيذ خطة المجلة وتقديم المقترحات في شأنها الى المجلس .

٣- ان تصدر المجلة مرتين في السنة . ولكن عدم تقديم العدد الكافي من البحوث حال دون اصدار العدد الجديد وارجو ان يصدر خلال هذه الدورة .

٤- ان يكون عدد صفحات المجلة ( ٢٥٠ - ٣٠٠ ) صفحة .

٥- ان لا تزيد صفحات كل مقال على الثلاثين .

٦- ان تغلب على المجلة مقالات لها صلة بالتراث الإسلامي والفسكر العربي .

٧- ان تكون في المقالات اضافة جديدة في البحث والتحقيق .

٨- الا تنشر لكاتب غير مقال واحد ويجوز ان تنشر له نقداً او تعريفاً في باب الكتب .

٩- ان تعين اللجنة مشرفاً على التصحيح ويمنح مكافأة مقدارها ١٥ ٪ من تكاليف

المجلة . وعند ما يباشر طبع العدد الجديد من المجلة سنطلب تعيين من يشرف عليها .

١٠- ان يخصص بها ملاحظ ليقوم باعمالها الادارية .

هذا وقد جمعت اللجنة مقالات وبحوث المجلد الرابع عشر من المجلة وسيباشر طبعه

قريباً عند ما يقرها المجلس حسب قراره السابق في مناقشة البحوث والمقالات ويقدم العدد الكافي منها .

### « دورة مؤتمر مجمع اللغة العربية في بغداد »

عقد مجمع اللغة العربية في القاهرة دورته الثانية والثلاثين في بغداد ساهم فيها أعضاء

الجمعيتين وقدم أعضاء المجمع العلمي العراقي البحوث التالية :

سيرة ابن اسحاق - الدكتور عبدالعزيز الدوري

ابن النفيس - الدكتور محمود الجليلي

المستدرك على المعينيات - الدكتور مصطفى جواد

المصطلحات العسكرية في القرآن الكريم - الاستاذ محمود شيت خطاب

المصطلحات الطبية - للدكتورين عبداللطيف البدرى ومحمود الجميلي .  
 ميزان البند ومكانه في تراثنا الادبي - الدكتور جميل الملايكة  
 الطرماح بن الحكيم - الدكتور سليم النعيمي  
 بحوث لغوية تطورت على ايدي علماء الاصول - الاستاذ محمد تقي الحكيم  
 توحيد المصطلحات القانونية - الاستاذ محمد شفيق العائى  
 آلات الجراحة عند العرب - الدكتور عبداللطيف البدرى  
 اشعارات الفسرية في الادب الحديث - الدكتور يوسف عز الدين  
 كتاب التفاحة في النحو - الاستاذ كوركيس عواد  
 العربية وتدريس العلوم - الدكتور فاضل الطائى  
 والمطبعة توالى طبع كتاب المؤتمر الذي تضمن بحوث اعضاء الجمعين والتعليقات  
 والقرارات التي اتخذت مع محاضر الجلسات ، كما تم صدور صحيفة خاصة بالمؤتمر عنيت  
 بوقائع المؤتمر واخباره وصدرت تسعة اعداد منها باربعة اجزاء .

#### « قرارات متروكة »

- ١ - تم عقد جلسات يومية لمجلس الجمع من ١٢/١١/٩٦٥ لغاية ١٩/١١/٩٦٥ ( ثلاث جلسات ) وذلك لتدوير شؤون دورة مؤتمر جمع اللغة العربية .
- ٢ - اناط مجلس الجمع مهمة ترجمة قانونه ذي الرقم ( ٤١ ) لسنة ٩٦٣ الى لغات مختلفة بالسادة التالية اسماؤهم :

الدكتور جميل الملايكة - الى الانكليزية

الدكتور حسن الجملي - الى الفرنسية

« بديع شريف - للألمانية ( وقد اعتذر لكثرة اعماله ) الى الالمانية

« علي غالب - الى التركية ( وقام بالترجمة )

« نعمة السعيد - الى الفارسية

٣ - طبع جميع الرقوق الموجودة في مكتبة المجمع على الورق لتسهيل دراستها  
وقراءتها على الباحثين

٤ - طلب المنحة السنوية على وفق فصول و أبواب الميزانية وحددها بـ (٣٠) ألف دينار  
إلا أن ما خصص بالمجمع كان ( ٢٠ ) ألف دينار وهو أقل من ميزانية السنة الجمعية  
المنصرمة بخمسة آلاف دينار

٥ - تمديد مدة تحقيق كتاب تاريخ واسط الذي يعنى به الاستاذ كور كيس عواد الى  
نهاية هذه السنة

٦ - قرر ان يشرف الدكتور مصطفى جواد والدكتور يوسف عز الدين على كتاب  
مؤتمر مجمع اللغة العربية، ونظراً لمرض الدكتور مصطفى جواد فقد شارك الدكتور عبدالرزاق  
محبي الدين في العمل

٧ - تخويل ديوان الرياسة صلاحيات مجلس المجمع في أثناء عطلة  
هذه خلاصة وافية عن أعمال مجعنا خلال السنة الماضية وأرجو أن يوفقنا الله في عمل  
مستمر ورغبة دائمة

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

يوسف عز الدين

« فهرس المجلد الرابع عشر »

من مجلة المجمع العلمي العراقي

	الصفحة
مصادر خطط بغداد في العصور العباسية ... .. الدكتور صالح احمد العلي	٣
نبذة عن جابر بن حيان ... .. الدكتور فاضل الطائي	٣٤
الشعر والانشاد ... .. الدكتور جميل سعيد	٥٦
ابن الفوطي ... .. الدكتور مصطفى جواد	٧٧
زهير بن قيس البلوي ... .. الدكتور الركن محمود شيت خطاب	٨٥
رسالة في الاسجار السكرية ... .. الدكتور كميل هادي	١٠٨
الوثائق السابعة ... .. محمد الحائلي	١٢١
انيس الجلبس في اخبار تنيس ... .. الدكتور جمال الدين الشيباني	١٥١
التراث الجغرافي المذوي عند العرب ... .. الدكتور حسين نصار	١٩٠
مصطلحات عمال الغزل والنسيج ... .. المجمع العلمي العراقي	٢٢٥
تاريخ علماء المستنصرية ... .. الدكتور مصطفى جواد	٢٢٩
خلاصة اعمال المجمع العلمي العراقي ... .. الدكتور يوسف عز الدين	٢٧٢
الفهرس ... ..	٢٨٨

# تَيْسُ وَالْمَنْطِقَةُ الْمُحِيطَةُ بِهَا

فِي الْقَرْنِ السَّابِعِ الْهَجْرِيِّ  
الثَّلَاثِ عَشَرَ الْمِئْرَادِي

كَيْسَرُ

الْبَحْرُ الْبَيْضُ الْمَتَوَسَّلُ

